

-

.

. - -

-



[Handwritten signature]

الجن في الشعر الجاهلي

إعداد

حليمة خالد رشيد صالح

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 13/06/2005م واجيزت

أعضاء اللجنة

1- د. احسان الدوك/ مشرفا ورئيسا

2- أ. د. ابراهيم الخواجه/ متحنا داخليا

3- أ. د. كمال حامد الديب/ متحنا خارجيا

التوقيع

[Handwritten signature]

[Handwritten signature]

[Handwritten signature]

()

()

.

المقدمة

لقد استهوتني فكرة البحث، رغم ما فيها من مخاوف ومخاطر ومصاعب؛ ربما لما فيها من إثارة وتشويق، فالاعتقاد بوجود الجن، وما يتعلق به موغل في القدم، ومعاصر لكثير من معتقداتنا وسلوكنا، وحقيقة راسخة في عقيدتنا الروحية، لا تقبل جدلاً، ولكن الاعتقاد بالمسميات المحسوسة والغيبية، يداخله كثير من الإضافات والانحرافات، وينسج خيال الناس حولها حكايات وتصورات مع مرور الزمن، مما يقتضي الوقوف على الأصول الأولى للمعتقد، وهي عملية ليست يسيرة.

ومن دواعي البحث ومبرراته، إضافة إلى غرابة موضوعه وجدته؛ أنّ الموضوع لم ينل من الدراسة حظاً وافراً، ولم يحظ بدراسة سابقة شاملة ومتخصصة من هذا النوع، وإنما اقتصرَت الدراسات السابقة على بعض الدراسات النظرية التقليدية المبعثرة في ثنايا الكتب التراثية القديمة وكتب الأساطير.

ويسعى البحث إلى تنقية الفكر مما علق به من شوائب، وتهذيبه مما طرأ عليه من إضافات، وإلى إعادة الأصالة والعذرية له؛ لما لج فيه الناس، واختلفوا حوله، وإلى تجاوز الطريقة التقليدية في دراسة الشعر، وتتبع تأثير الفكر في الشعر، فيما يتعلق بالجن والرموز، والدلالات التي استخدمت لها، وإثبات علاقة الفكر بالشعر.

وما يميز الموضوع أنه يتمتع بقيمة أدبية ومعرفية، تكشف بطريقة مباشرة زيف كثير من معتقداتنا عن الجن في الوقت الحاضر، ويثبت أن الفكر المعاصر امتداد وتواصل للفكر الإنساني البدائي، وذلك بناءً على مفهوم اللاشعور الجمعي، إلا أنه تواصل يتعرض للتغيير والتحوير، مع المحافظة على البذور الأولى لذلك المعتقد.

كما أنه يتناول موضوع (الجن) تناوياً شاملاً ومفصلاً على مستوى الشعر الجاهلي، معتمداً على الموروث القديم في الأساطير العالمية والتوراة والإنجيل وعند العرب.

واعتمدتُ على المنهج التكاملي؛ فأخذت من المنهج التاريخي والوصفي والاجتماعي والنفسي، واتكأت كثيراً على المنهج الأسطوري؛ بغية الكشف عن الصلة بين النتاج الشعري والطقوس الشعائرية البدائية.

وقد استعنت بالمصادر التاريخية للتزود بأخبار العرب ومعتقداتهم، ووجدت في دواوين الشعراء، وما تفرّق من أشعارهم زاداً لا ينفد، ومعيناً لا ينضب، وكان اعتمادي على المصادر العربية القديمة كلسان العرب، والحيوان، وحياة الحيوان الكبرى، و الأصمعيات، والمفضليات، والأغاني، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ومن المراجع ما كان مهماً مثل بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، وبعض الكتب التي تتحدث في أساطير الشعوب القديمة، بدءاً بلغز عشتار، وكتب الماجدي وخاصة بخور الآلهة، وانتهاء بكتب الأساطير العربية، أشهرها أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، والأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، وغيرها.

ثم تتبعت الدراسات النقدية والأدبية الحديثة التي اعتنت بجزئيات عن موضوع الجن، أهمها الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، والصورة في الشعر العربي حتى نهاية آخر القرن الثاني الهجري، ولاحقت قدر المستطاع ما كتبه النقاد في الدوريات.

وقسمت الموضوع إلى مقدمة وستة فصول وخاتمة.

أما **الفصل الأول** فقد تناولت فيه " الجن في الموروث القديم"، وقسمته إلى مبحثين، تناولت في الأول الجن في الموروث الإنساني " بدءاً بالسومريين، ومروراً بالبابليين والكنعانيين، والمصريين القدماء، واليونانيين والعبريين، وانتهاء بالإنجيل، وفي المبحث الثاني " الجن في الموروث الجاهلي عند العرب" وبينت مدى تأثرهم بالأمم السابقة في معتقداتهم وطقوسهم، وعلاقتهم بالجن.

وتناولت في **الفصل الثاني** المفهوم اللغوي والاصطلاحي للجن، وبينت علاقة كل منهما بالآخر، وعرضت لأصناف الجن، وتشكلاتها وأشكالها، وتحدثت عن أنواعها، وقوفاً عند إبليس والشيطان والغول والرئي، وأبرز ملامح كل منها.

أما **الفصل الثالث** فقد وقفت فيه على مواطن الجن في الشعر الجاهلي من حيث علاقتها بالإنسان، بدءاً بالصراع بين الجن والإنسان، والوقاية من الجن، والاستعانة بها، ثم الاستعاذة منها، ومروراً بالعلاقات الإيجابية بينهما من حيث زواج الإنس من الجن، والجن من الإنس، وتسخير الإنس للجن، ثم مكافأة الجن للإنس والإنس للجن.

وختمت الفصل بالحديث عن قضية الإلهام في الشعر، ودور الجن والشياطين فيها، والعلاقة اللغوية بين أسماء شياطين الشعراء، وما استقرت عليه أذهان العرب عن الجن، ثم انتقلت إلى الحديث عن السحر، وعن الكهانة والجن، والعلاقة بينهما من خلال الحديث عن الشعر وبدايته، وصلة الجن بالكاهن.

وقد عرضت في **الفصل الرابع** علاقة الجن بالحيوان، فتحدثت عن مطايا الجن وتشكلاته، بدءاً بالجن والكلب الأسود، ثم الجن والإبل، ومين ثم الجن والخيل، ووقفت ملياً عند الجن والحية؛ لما لها من حضور بارز في عالم الجن، وفي عقلية الجاهليين، وأخيراً عرضت إلى علاقة الجن بالغزال، والجن بالطير، متحدثة عن الطيرة، وبعض المعتقدات المتعلقة بها.

ثم عرضت في **الفصل الخامس** إلى الجن والطبيعة، وخاصة أماكن تواجدها وتخليها، فبدأت بعلاقة الجن بالصحاري، ثم الجن والشجر، معللة تقديس العرب لبعض الأشجار، ونظرتهم إليها، ثم الجن والآبار والأودية، ونظرة العرب إليها، وتقديسهم لها، وبعض المعتقدات والطقوس المتعلقة بكل منها، كل ذلك من خلال استقراء ما ورد في الشعر الجاهلي. وقصرت **الفصل الأخير** على ماهية الصورة وأبعادها، ودلالاتها، ثم انتقلت إلى أبعاد ودلالات صورة الجن في الشعر الجاهلي، بدءاً بالبعد الميثولوجي، ثم البعد الاجتماعي فالنفسية.

يلي ذلك **خاتمة** اشتملت على النتائج التي خلص إليها البحث، وإن كنت لا أخفي الصعوبات التي واجهتني في عملية البحث والدراسة، ومن أهمها تناثر المادة في مصادر ومراجع عديدة، إذ لم تكن أكثر من ملاحظات سريعة، يتطلب الحصول عليها الجهد المضني، فلم يحظ موضوع ذكر الجن والشياطين في الشعر العربي، وبخاصة الجاهلي بالذكر والتوسّع، كما حظي غيره من الموضوعات الأخرى.

ولا أدعي الكمال لبحثي هذا؛ لأن الكمال لله وحده، وحسبي أنني اجتهدت، وأنها خطوة على الطريق، عسى أن تتبعها خطوات تكمل ما اعتراه من نقص أو خلل. ولا بد من الإشارة إلى شعوري باللذة والاستمتاع كثيراً في مادة البحث، ويرجع الفضل في ذلك لله تعالى الذي أعانني، كما وأعترف بفضل أستاذي الكريم الأستاذ الدكتور إحسان الديك الذي لم يبخل عليّ بوقته، ولا بنصحه وتوجيهاته، وساندني خطوة خطوة، فجزاه الله عني كل خير.

الفصل الأول

الجن في الموروث القديم

المبحث الأول: الجن في الموروث الإنساني القديم

المبحث الثاني: الجن في الموروث العربي القديم

المبحث الأول

الجن في الموروث الإنساني القديم

منذ أن حطَّ الإنسان على سطح الأرض، أخذ يتأمل ظواهر الطبيعة، ومن خلال صراعه معها، أحسَّ بأن في تلك الظواهر قوى خفية، أو أرواحاً تسبب أصواتاً، وحركات غريبة، كهبوب الرياح والعواصف، وحدوث البرق، والرعد وهطول الأمطار، وحدوث الفيضان، فحاول التوصل إلى مصدرها، الأمر الذي دفعه إلى ربطها بغريزة دينية عظمية، وقد عزا إلى هذه القوى جميع مظاهر التجدد والعطاء، ثم ما لبث أن ربط هذه القوى بكائنات غيبية أو خفية، قادرة على التشكل في هيئات متعددة، سيطرت على مشاعره، فرسم لها صوراً مثيرة مرعبة، ممزوجة بصور من واقعها.

وقد لاحظ إنسان ما قبل التاريخ أن هناك قوة خارقة تحلّ فيما حوله، وتصور عالماً من الأرواح، يجهل طبيعتها وغاياتها، ونسب إليها كل ما يلحق به من الأذى والضرر، واعتقد أن بقدرتها دفع هذا الأذى عنه، فراح يتوسل إليها بإقامة الطقوس؛ لدرء أذاها أو لتسخيرها له، وقد عمل على استرضائها، واجتلابها في صفه لمعونته⁽¹⁾، يتولى ذلك أشخاص يمتلكون قوة خارقة، ولهم القدرة على التأثير فيها، فسخروها لأعمال كثيرة كالصيد واستئزال المطر، والشفاء من بعض الأمراض، ومواجهة الكوارث، وحلّ النزاعات⁽²⁾، فهي تمثل بالنسبة إليهم صورة الإله الذي بيده الخير والشر، ثم ما لبث هذا الإنسان أن أخذ يتصورها ويتخيلها بأشكال حيوانية وشيطانية متعددة، فبدت بأشكال بدينة مترهلة، مبالغاً في حجمها، وبخاصة في مناطق الأعضاء الجنسية، عديمة الملامح من ناحية الوجه⁽³⁾.

1 - : - -

() :

2 - : / .

3 - :

وقد أوحى هذه الصور بأفكار كثيرة منها، وجود أنواع شاذة من المخلوقات التي اتخذت صفة الإنسان، يؤكد ذلك ما ورد في قصة الكاهن البابلي (برغوشا) التي كتبها عن تأملاته في فترة ما قبل التاريخ، وجاء فيها "وقد ظهر رجال مزودون بجناحين.... وكان لبعضهم أربعة أجنحة ووجهان، وللبعض الآخر جسد واحد ورأسان، رأس امرأة ورأس رجل.... وأعضاء مذكرة ومؤنثة في آن واحد، وهناك رجال آخرون، لهم قوائم ماعز، وبعضهم على شكل إنسان في مقدمته، وعلى شكل حصان في مؤخرته، وكذلك ثيران برؤوس إنسانية، كما يوجد أسماك وزواحف وأفاج، ومخلوقات أخرى غريبة لها أشكال متبادلة فيما بينها"^(٤)، وتعكس هذه الكائنات خيال الإنسان المضطرب، وعقائده وأفكاره التي أوجدها دافع الرعب والفرع من تلك الكائنات، وتدلل على وجود مخلوقات غريبة، قبل وجود الإنسان، ويتفق هذا مع ما جاء في القرآن الكريم من خلق الجان قبل آدم عليه السلام، إذ قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ تَعَالَى: "إِنَّمَا أَشْكَلَ بَنَاتِي إِذْ يَخُنَّ ۗ لَقَدْ جِئْتَنَّهُنَّ مِنَ الرِّجَالِ غَائِبِينَ"﴾^(٥)

ويعد السومريون من أقدم الأمم التي آمنت بوجود مثل هذه القوى وتلك الأرواح؛ إذ اعتقدوا "أن الكون مليء بالعفاريت الطيبة والخبيثة، وصوروها وحوشاً مخيفة، أو كائنات مركبة، أو أشباحاً كأرواح الموتى، منها ما يخفى ولا يظهر لأحد، ومنها ما يخفى على أناس، ويظهر لآخرين بالرقى والعزائم، ومنها ما يتلبس جسم الإنسان"^(٦)، "ومنها الشياطين الطيبون الذين ينتمون لأصل سماوي؛ وهم أبناء الآلهة الذين لا يسببون الأذى، أشهرهم "الشيدو" و"لاماسو"^(٧)، وهم كالملائكة حراس لا يرون، "يتولون حراسة المعابد، وهم قوم من الجن

4 -
5 -
6 -
7 -

والأرواح الطيبية، يتوسطون بين الآلهة والإنسان، ويتخذون أشكال الثيران المجنحة مع رؤوس البشر"^(٨).

وهذه الصورة تقربهم من صورة الملائكة التي وردت في قوله تعالى: "الحمد لله، فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع"^(٩)، وقد غلبت على صورة الجن عند السومريين صورة الطائر؛ لما يمتاز به من قدرة على الصعود والهبوط، فكأنه واسطة بين العالمين السفلي والعلوي. وهناك نوع آخر ينتمي إلى أصل بشري، وهم أشباح الموتى، ويسمون (الأطيمو)، ويمثلون الناس الذين تعسوا في حياتهم أو الذين لم يدفنوا دفناً صحيحاً، أو لم يجلب لهم أهلهم النذور الجنائزية، ويثبت ذلك إيمانهم أن أرواح الموتى تخرج على شكل طائر، وتطير باتجاه مغرب الشمس، ثم تتحول إلى أرواح شريرة في النهار، تهاجم الأحياء، وتلحق بهم الأذى وربما الموت^(١٠)، وقد أطلقوا عليها "اسم (كدم)، أي مخلوقات الظلام"^(١١)، "وهناك الشياطين المركبة التي تتكون من تزواج البشر والشياطين مثل (الليلو) التي تتصف بالعنف والشر، فهي تثير الرعب وتطارد النساء"^(١٢)، "ويشكل العالم السفلي عند السومريين مكاناً ومركزاً للشياطين والأرواح الشريرة، وقد أطلقوا عليه (kur)^(١٣) الذي ما لبث أن أصبح اسماً للمخلوقات المتوحشة التي تقيم في العالم السفلي، والوحش السفلي الجبار الذي يختطف الآلهة إلى عالم الأموات"^(١٤) ومهما يكن من أمر، فإن هذه الشياطين هي "عفاريت عالم الأموات وجنوده، التي تنسب إليها الأمراض والشرور"^(١٥).

8 -

:

9 -

.

10 -

- (

)

:

11 -

.

12 -

-

13 -

-

:

14 -

-

:

15 -

وأهم هذه الشياطين في معتقداتهم "الكالا" "الكالو" الذين يُعدُّون جنودَ هذا العالم، وشرطته وحرَّاسه؛ إذ أنَّ مهمتهم تكمن في تنفيذ الأوامر الصادرة، ومن صفاتهم القسوة والطغيان، ومن أعمالهم هدم اللذات، وتفريق الجماعات، ويؤكد ذلك الدور الذي قاموا به عندما خرجوا بصحبة "إنانا" بمهمة الإتيان ببديل تعيُّه الإلهة؛ ليحلَّ محلها حسب قانون العالم السفلي^(١٦)، وقد جاء وصفهم وبيان دورهم في ملحمة جلجامش كما يلي:^(١٧)

عفاريتٌ صغيرة، كأنها من القصب

وعفاريتٌ هائلة، كأنها... ()

مَشَتْ معها (جميعاً).....

فالماشونَ أمامها كانوا بلا () وفي أيديهم العُصيَّ.

فقالَت العفاريتُ لِإنانا:

إي "إنانا" امضي إلي مدينتك، ودعينا نحمله معنا، فأجابت "إنانا" الطاهرة

العفاريت، قائلة:

إنَّه رسولي ذو الكلمات الطيبة

ورفضت أن تسلِّم أحداً حتى وصلت دموزي... انقضت عليه العفاريتُ

وجرَّته من ساقيه، كانوا مخلوقاتٍ لا تأكلُ الطعامَ ولا تعرفُ الشراب، هرب إلى أخته

قائلاً: "أنقذيني من العفاريت، ولا تدعيهم يأخذونني"، وتستمر العفاريت في ملاحظته، وإلقاء

16 - () :

/ - -

. - - 17

القبض عليه مرة، ويفلت منها أخرى، حتى استطاعت في النهاية أخذه^(١٨)، وقد جاء ذلك في
الملحمة أيضاً: (19)

- 18

- 19

دخل الحظيرة العفريت الأول

وضرب خدود "دموزي" بمُسَمَارٍ طويل نقاذ.....

ثم دخل العفريت الخامس فحطّم الممخضة الخاوية لبنها

وكسر الكوب، فدموزي لم يعد بين الأحياء، وحظيرته قد راحت نهياً للرياح.

وهكذا فقد بدا في أعمالها وصفاتها ما يدلّ على وحشيتها وهمجيتها. وهناك نوع آخر من الشياطين يسكن العالم الأسفل، يتولى عملية نقل الأمراض من الآلهة إلى البشر، وخاصة إذا ارتكب أحدهم بعض الأخطاء، أو قصرَ في أداء واجبه، وأشهرها "أساج" الذي "يعدّ عفريت العالم السفلي وإله العلل والأمراض، والساعد الأيمن "الكور"^(٢٠)، "ونمتار" الذي "يمثل روحاً شريرة ترسل الأوبئة، وتنفذ الخطط التدميرية "لنرجال"، ويجسدّ قدر الإنسان ونصيئته، موطنه "أرالو"^(٢١)، يقوم بدور سفير الموت المقابل "لعزرائيل" فقد أمر من قبل إلهة العالم الأسفل "اريشكيغال" برمي "عشتار"، عندما نزلت تبحث عن "دموزي" بستين مرضاً، وفعل، إلا أنها شفيت منها وخرجت"^(٢٢).

ولا بد من الحديث عن الشيطانة "إلييث" التي احتلت المركز الأول عند السومريين، والتي مثلت رمزاً للشرّ والعداء، وهي إلهة الظلام، وسيّدة السحر الأسود، تظهر في الأعمال التشكيلية على صورة امرأة جميلة الجسد، مكنزة الصدر مجنّحة، واقفة على لبوتين، ممسكة بالعصا والصولجان، تسكن الأماكن المهجورة، لها مخالب الطير، وتنتمي إلى قوى العالم السفلي، وتظهر صورتها في القصيدة السومرية "جلجامش وأنكيدو في العالم الآخر"، وقد توحدت بالحياة، واتخذتا مسكناً لهما عند قاعدة شجرة الإلهة "إثانا"، بقصد القضاء عليها، فهما تمثلان عنصر الشرّ والدمار، والعماء والفوضى، العنصر المقابل للنظام والحياة، والخصب الممثل بالشجرة،

- () -

/

- 21 -

- 22 -

تقول الأسطورة: (٢٣) عندما حاولت "إثانا" قطع الشجرة، ولم تستطع، أرادت معرفة الأمر، وجدت أن:

طائر الصاعقة "زو" قد بنى عشه ووضع

فراخه في أعلاها، وأنّ عذراء الأرض المُقفرة ليليث

الإلهة التي تهيم في البراري ليلاً، قد نَحَرَتْ وَسَطَهَا، وسكَّنت فيه

وأن الحية استقرت في قاعدتها.

يبدو من النص الصراع الذي دار بين الآلهة المتمثلة في "جلجامش" البطل الأسطوري الذي قضى على الشرّ والفوضى، ممثلاً في الشيطانة "ليليث" والحية، "فقد قتل جلجامش الحية؛ فقوضت الشيطانة بيتها عائدة إلى البراري حيث اعتادت أن تصيد (٢٤). وتظهر فكرة عداء "ليليث" للحياة من خلال الدور الذي تقوم به مع أختها الشيطانة نعامة أو (نعمة) في خنق الأطفال حديثي الولادة، والإضرار بهم، وإصابة البشر بالجنون "إذ تعدّ (نعامة) المصدر الأساسي لنشر الشياطين، فقد نسب إليها نشر ما لا يُعدّ ولا يحصى من الشياطين والجن" (٢٥).

وتشاركها في الدور نفسه، الشيطانة "لاماشتو" التي تظهر بصورة وحش غريب الشكل، ذي رأس أسد وجسد امرأة، وتنصب العداة للأطفال، والأمهات المرضعات، وتفتك بهم، وتعذب المرضى، وتقذف الرعب في القلوب (٢٦)، فهي "شيطانة حمى الأطفال" (٢٧)، وكذلك "دمة" عفريئة حمى الأطفال الرضع، "وتظهر بصورة امرأة عارية الصدر، ترضع من ثديها كلباً وخنزيراً، وتحمل في يديها مشطاً ومغزلاً" (٢٨)، ويُعد شيطان الحمى أهول هذه الشياطين، ويبدو

- 23

- 24

- 25

- 26

- 27

- 28

"برأس أسد وأسنان حمار، وأطراف نمر أو قط، وصوته كصوت النمر أو الأسد، يمسك بيديه أفاعي هائلة، ويداعب ثدييه كلب أسود وخنزير"^(٢٩)، وكلها تمثل رمز العداء للحياة الإنسانية؛ وتأسيساً على ذلك أخذ السومريون يفكرون في وسائل لردّ أذى هذه الكائنات عنهم، وحماية أنفسهم من شرّها، "فاستخدموا التمام التي جاءت على شكل وحش برأس أسد، وجسد امرأة"^(٣٠)، وقد اعتادت المرأة أن تقدم منذ بداية حملها تقدّمات من اللحوم للعفريّة (لاما شتو)، وكثيراً من الهدايا والدمى، كي تهرب دون أن تتربص بها، وتوقع طفلها^(٣١)، وهناك (الأوتوكو) وهم سبعة شياطين أشرار، يعيشون في الصحاري والجبال، ينسب إليهم السحر الأسود، قساة، لا يعرفون الرحمة، ولا يسمعون التماساً ولا دعاءً، معادون للآلهة، يعرقلون الطرق^(٣٢)، وينطوي تحت هذه الفئة، من يمثل دور الطبيب الذي يستعمل مضاداً للسحر الأسود، وهم "أوتوكو، شيدو، لماسو"^(٣٣)، وينسب إلى بعض هذه الشياطين أمراض التشنجات العصبية والصرع؛ وقد أطلق عليها قبضة الشياطين، وتحدث بسبب دخول الشيطان إلى الجسم عن طريق الخطيئة، ويعلن عن وجودها بظواهر كريهة مختلفة، كالأصوات التي تتردد في البيت، أو لفحات الريح، والرؤى المفزعة^(٣٤)، وقد مارس السومريون الكهانة، كوسيلة لطرد هذه العفاريت، والتخلص منها، وأشهر كهنتهم "الأشيبو" الذي كان ينطق كلمات خاصة، مستمدة من وحي الآلهة، ويمارس الشعائر اللازمة؛ لطرد العفاريت المسببة للمرض، فيقوم بدور الوسيط بين الآلهة والبشر، ولكي يظهر بمظهر مميز، كان يلبس اللون الأحمر؛ لأن الشياطين تحب ذلك اللون وتهواه، وقد استخدموا قراءة التعاويذ والرقى؛ لطرد العفاريت؛ ولاستدعاء الشياطين الطيبة^(٣٥)، ويتجلى ذلك

- 29

- 30

- 31

- 32

- 33

- 34

- 35

من خلال الدور الذي قامت به "أنا"، عندما حاولت قطع شجرة الصفصاف، ولم تستطع، تقول
الملحمة: (٣٦)

حاولت قطعها إلا أنها جفّت وتراجعت،

فقرأت التعاويذ والرقى لتكسرهما، فلم تستطع.

وإلى جانب هذه الشياطين الخيرة والشريرة، هناك "شياطين بقيت حيادية مثل (الأد)
الذي يعدّ شخصية حيادية غلب عليها طابع الخير" (٣٧)، "واستخدم في التنبؤ بالغيب، ومعرفة
القال، وتفسير الأحلام، ورؤية الطالع" (٣٨).

ولم يقتصر أثر هذه الكائنات على الإنسان، بل تعدّاه إلى تجسيد كوارث الطبيعة، وظواهرها
المؤذية في الليل خاصة، فقد وجدت شياطين شريرة تؤذي الطبيعة، وتسبب عدم توازنها،
فالكوارث والزلازل والفيضانات والقحط كلها بفعل هذه الشياطين، فقد نسبوا خسوف القمر،
وكسوف الشمس إلى نوع من الشياطين، منها (سبيتو) التي تقوم بسرقة القمر واحتجازه مؤقتاً،
ويتم فك أسره بتقديم القرابين، وتأدية الطقوس لها (٣٩)، وهذا ما سنجدّه عند معظم الشعوب (٤٠)،
وقد ظهرت كائنات خرافية شبيهة بهذه العفاريت، "منها (خمبابا) المارد أو العفريت الذي يبدو
رمزاً للشر، وعقبة من العقبات التي اعترضت جلجامش، حينما سعى إلى تحقيق أهدافه، ويظهر
بصورة وحش هائل، مثير للرعب، عملاق كاسر، سلحّه "إنليل" بسبعة ألوان من الرعب" (٤١)،
وتتضح شخصية "خمبابا" في حديث أنكيو، لصاحبه، عندما قال: (٤٢)

36 -

37 -

38 -

39 -

40 -

41 -

42 -

كيف سندخل غابة الأرز يا "جلجامش"

إن حارسها مقاتلٌ، وهو قويٌّ لا ينام.

هيئته تبعثُ الرعبَ في النفوس.

إذ أنه الماردُ العفريتُ الذي عينه الإلهُ لحراسةِ غابةِ الأرز.

وهناك كائنات تثير الرعب في النفوس، تحرس الأماكن الأسطورية، "مخلوقات مركبة من الإنسان والعقرب، يطلق عليها "الرجال العقارب"، وتبدو بأشكال مخيفة، وتشير "ساندوز" إلى أن الرجل العقرب نصفه بشر، ونصفه تنين، وله ذنب عقرب، نظراته تقذف الموت في قلوب الناس، وهالاتها المتلألئة تعني الجبال التي تحرس الشمس في الشرق، وهي تحرس الطرق المؤدية إلى مكان "أوتونبشتم" الذي يمتلك نبتة الخلود"^(٤٣).

يتبين مما سبق أن الكون مليء بالشياطين، إضافة إلى الآلهة "منها الطيبة، وهي أبناء وبنات الآلهة العظام، يتميزون بوجود أجنحة على أكتافهم، ووجوه كوجوه الآلهة، يسكنون العالم الأسفل، يستخدمهم الناس كملائكة حراسة لهم شخصياً، أو لبيوتهم ومدنهم، ومنها الشياطين الخبيثة والشريرة، وهي مخلوقات لا نسب لها، بل هي كائنات ظهرت في الأماكن المهجورة والمظلمة، وأصبح بعضها جنوداً في العالم الأسفل، ومنها أرواح الموتى، وقد اتخذت صوراً كثيرة، منها وحوش مخيفة، أو حيوانات مركبة، أو كائنات مرعبة، كانت لها أطراف غريبة، وقد تكسو جلودها الأشواك والأصداف"^(٤٤).

أما البابليون فقد أخذوا كل ما خلقه السومريون في المجال الروحي من معتقدات، لدرجة أنه يصعب التمييز بينهما؛ فكلاهما يعتقد بوجود عالم سفلي يعجّ بشياطين تمتلك أجنحه، لها أجساد مركبة من الحيوانات المختلفة أو من الحيوان والإنسان، وتعمل على خدمة الآلهة، وتنفيذ أوامرها، ومعظمها ذات أصل إلهي، إذ ينتمي بعضها إلى الإله "أنو" "وكي"، ومنهم من ينتمي إلى "أيا" و

- 43

- 44

"نرجال"^(٤٥)، وقد ورد أن "الإله مردوخ صرع "تيامت" وشق جسدها شقين، ثم مزج دمها بالتراب، وخلق منه الإنسان"^(٤٦)، فالمخلوقات إذن كلها شيطانية؛ لأنها خلقت من تراب ممزوج بدم شيطانية؛ ويتضح أنها مصدر الشياطين المؤذية، والأشباح الشريرة؛ لأنها شكلت جيشاً من هذه المخلوقات الجبّارة العتية لمواجهة "مردوخ" الذي استخدم الرياح الشيطانية، والعواصف المدمرة؛ لمصارعة تيامت وجنودها^(٤٧)، ويبدو ذلك من خلال ما جاء في الملحمة البابلية "الإينو ما إيليش"^(٤٨):

الأم "هابور" تعامة" خالقة الأشياء جميعاً

أنت بأسلحة لا تقاوم، أفاع هائلة

خلقت الأفعى الخبيثة، والتنين، وأبا الهول

أنت بتنانين ضاربة تبعث الهلع

عفاريت العاصفة، الذبابة العملاقة

وهكذا تبدو "تيامت" وجنودها عنصر الشر الذي استطاع "مردوخ" القضاء عليه، و تخليص الآلهة الفتية من شروره؛ فهي تمثل بداية الصراع الثنائي بين الخير والشر^(٤٩).

45 - () :

46 - () - () :

47 - - - () :

48 - - :

49 - :

ويبدو أن هناك علاقة بين الشياطين والريح؛ فقد كان البابليون يسمون، هبوب الريح الجنوبية "أولوجن"، والشرقية "كورجن"، والغربية "مارجن" والشمالية "سجن"^(٥٠)، مما يدلّ على أن الريح لها أجنحة، تستطيع أن تنتقل من مكان إلى آخر، فتشبه بذلك الجن، كما أنها تمثل عنصر الشر والدمار، ويتبين من خلال التسمية أنّ الجن هي المسؤولة عن هبوب الرياح.

وقسمت الشياطين والمردة الذين يجوبون العالم الأسفل، ويحرسونه إلى أقسام، حسب وظيفة كل منها ودوره، فمنهم الآخذ والمتربص، والمخرّب، وروح الليل، وشيطان "الليلو"، وأنتاه "ليليث"^(٥١).

تذكر الأسطورة أن "نرجال" كان إلهاً سماوياً، هبط إلى العالم الأسفل؛ بسبب رفضه إظهار الاحترام والطاعة لرسول الإلهة "أريشكيغال"، فتحوّل إلى إله عالم الظلام والموت، ولقب إبليس البابلي^(٥٢)؛ نظراً لتشابه قصته مع قصة إبليس في الفكر الإسلامي، ومع قصة لوسيفر.

وقد حظيت الشياطين والجن بعبادة البابليين، وتقديسهم، من ذلك "الإله" "موتا بريك"، وهو من العفاريت التي ورد اسمها في نصّ وجد في تلّ العمارنة^(٥٣)، ومنها "أرداتليلي" وهي من عفاريت الليل، ومعناها فتاة الريح^(٥٤)، ويبدو أن عبادتهم لها عبادة خوف ورعب؛ لتلافي غضبها، وليس حباً لها؛ فقد قدّموا لها الأضاحي؛ كي تكفّ عن قتل الناس، وتصدّ شرورها عنهم، "وظهر" "نمتار" وزير القضاء والقدر بشكل عفريت، يستلّ سيفه بيده، ويقبض شعر رأس أحد ضحاياه باليد الأخرى^(٥٥).

- 50

- 51

- 52

- 53

- 54

- 55

وتشير النصوص إلى أن "ارداتليلى" هي عشتار الأم الكبرى التي تظهر شيطانة، تدعو نفسها بسيده الليل، وسيده النواح، ونجمة العويل، وسيده الجنون... تمتلك وجهين متناقضين، أحدهما يشير إلى الحب والجمال والخصب، والأخر إلى القتل والدمار^(٥٦)، وتجمع بين الحكمة والجنون^(٥٧)، ويتجلى ذلك في الترتيلة البابلية؛ إذ يختلط وجهها الأغر بوجهها الأبيض: ^(٥٨)

أي عشتار، يا مليكة كل الشعوب، وحاكمة البشر

أنت سبب العويل والنواح، تزرعين العداوة، وتفرقين بين الإخوة

لذكر اسمك تهتز السماوات والأرض.

ترتجف الآلهة، وترنح أرواح البشر.

ويبدو أن هذه هي نفسها "ليليث" السومرية التي لم يبق من صورتها في الأذهان إلا "صورة الجنية أو الغولة، أو الساحرة العجوز"^(٥٩)، التي تمثل "مصدر الإلهام، ومنبع الإبداع الفني والأدبي"^(٦٠)، وقد "مارست" ليليث "دور العراف؛ إذ تؤكد قدرتها على التنبؤ بالغيب، مما يثبت شيطانتها"^(٦١).

ويبدو التشابه بين السومريين والبابليين من خلال نظرة كل منهما إلى هذه الشياطين أنها رمز الشر والمرض، ووسيلة لنشر الدمار والخراب، "إذ يُعدُّ "ايرا" إله الطاعون والأوبئة الفتاكة"

(٦٢)

56 - () - -

57 -

58 -

59 -

60 -

61 -

62 -

وتبدو "لاماشتو" بالهيئة نفسها التي ظهرت بها عند السومريين، "عدوة للحياة والأطفال، رمز الغواية والضلال، تهاجم النساء ساعات الولادة، والأمهات المرضعات، تُعذب المرضى، تقذف الرعب في قلوبهم"^(٦٣)، ونلاحظ غلبة شياطين الشرّ على الأرواح الخيرة، لأن الآلهة يمثلون قوة كافية لموازنة الأرواح الشريرة، والتصدي لها؛ ولأن الأرواح الطيبة تبدو مزيجاً من البشر والحيوانات، تستخدم لمقاومة الأرواح الشريرة، والقضاء على تأثيرها أو التخفيف من حدتها"^(٦٤).

وعزاً البابليون كثيراً من الأمراض إلى هجمات الأرواح الشريرة، أو إلى مكر الساحرات والمشعوذات، وحاولوا اتقاء خطرهما باستعمال التمانم والطلاسم والكهانة^(٦٥)، واستخدموا السحر الأسود والأبيض، فالأبيض استخدم لمعالجة الأمراض، عن طريق معرفة الشيطان المسبب للمرض، ثم محاولة طرده بطريقة معينة؛ واعتقدوا أنّ للماء بشكل عام دوراً هاماً في التغلب على الأرواح الشريرة، باعتباره مضاداً لها، لذلك "أدّعوا أن رشّ جسم المريض بالماء المحمول من أحد المجاري المقدسة، يخرج الشيطان من الجسم، وأن عمل صورة للشيطان، ووضعها في قارب، وإلقاءها في الماء بعد تلاوة التعويذات عليها، يخرج الشيطان"^(٦٦).

ويرون "أن الصواعق والرياح الصيفية تنسب إلى الشيطان" بازوزو"، وهو شيطان ذو عضلات قوية، وسواعد مقتولة، يظهر بذيل طويل معقوف، وأربعة أجنحة، تظهر صورته وفوقه صف من الكهنة المعزّمين الذين يلبسون أقنعة لحيوانات مختلفة، ويحمل الصاعقة في يده

- 63

- 64

- 65

- 66 : () - -

غالباً^(٦٧)، وقد ورد "أنّ الكاهن والساحر في بابل كانا يرتديان الأحمر، وتعرف ملابسهم باسم "أشيبو"؛ لأنه لون تنفر منه الشياطين"^(٦٨).

ومن الكائنات الخرافية "اللابو" الذي يبدو "وحشاً جباراً خرج من الأعماق المائية إلى ديار الحضارة، محاولاً تدمير كل ما بناه الإنسان"^(٦٩) فهو إله أرضي.

ولم يبتعد الآشوريون عن سابقهم من حيث اعتقادهم بوجود كائنات مجنحة مخيفة، الأمر الذي قادهم إلى تخيلها على شكل مخلوقات عجيبية، تسكن الأماكن المهجورة والمظلمة، والخرائب والمدافن، وإلى تصورها بأجسام بشرية، ورؤوس حيوانية^(٧٠)، وزعم الآشوريون أن هذه الكائنات هي سبب العدوى، ونقل الأمراض، ورأوا "أن سبب الأمراض أجسام غير منظورة، تدخل الجسم مع الهواء عن طريق النفس، وعن طريق الجهاز الهضمي كالفيروسات"^(٧١).

و اعتقد الحثييون كذلك "بوجود الشياطين والأرواح الشريرة التي تكون مستعدة لاستغلال فرصة غفلة الإله؛ كي تعيث فساداً "^(٧٢)، وسيطرت هذه الكائنات على عقول الكلدانيين حتى اعتقدوا أن الجن إله؛ "فأخذوا يضحون له بنحر الخرفان، ويطبخون ماءً يستحمون به سراً لرئيس الجن"^(٧٣)، وراحوا يتوسلون إليه بوسائل مختلفة، كتعليق الجناح الأيسر للفراخ على صدور الأطفال والحوامل؛ اتقاءً لشر "الليليث" والجن، وقرأوا التعاويذ ضد آلهة المرض والشياطين

- 67

- 68

- 69

- 70

- 71

- 72

- 73

والأشباح^(٧٤)، واستخدموا السحر، وقاموا ببعض الأعمال الرمزية، كحرق المواد التي تشبه الأرواح الشريرة، وحل العقد التي يتصور الساحر أن ضحيته قد ورط فيها^(٧٥).

ثم ما لبثت أن تداخلت هذه المعتقدات مع الثقافة الأرامية بفعل التداخل الزمني؛ فالفنون الأرامية حافلة بأشكال عدة للجن، تظهر ككائنات مجنحة، مختلفة الأنواع، منها الحيوانية والإنسانية، ومنها المركبة، وآمنوا بوجود كائنات طيبة، استخدموها كوسيلة لطرد الأرواح الشريرة، وردّها أذاها^(٧٦)، وتبدو الشياطين في لوحاتهم الفنية كائنات شريرة بأشكال مختلفة، تتمثل في شخصية الشيطانة "الليليث" التي "تبدو بصورة فتاة جميلة، تتوسط نافذة، توصف بأنها الوصيعة الأولى لـ(عشتار)، وقد صورت مجنحة وبدون أجنحة"^(٧٧)، ومما يؤكد اختلاف الجن عن الشيطان في المعتقدات الأرامية "أنّ الجنية العنقاء ترمز إلى القوة والعنف، تستخدم ككائن حامٍ للمدن والقصور"^(٧٨)، وهكذا فقد عرف الآراميون الجن والشيطان متأثرين بسابقيهم، "ورمزوا بها إلى الإله "حدد" أحياناً"^(٧٩)، وركزوا على صورة الطائر والحيوان المجنح، وظهرت الجن بصورة إيجابية، أمّا الشياطين فقد شكلت عنصر الخوف والفرع للإنسان، "فقد اتخذت الشياطين في الحكايات الأرامية شكل الغربان"^(٨٠)، التي توحى بالتشاؤم.

ولم تختلف صورة الجن في المعتقدات الكنعانية عن سابقتها؛ فقد ظهرت بصورة كائنات مجنحة في نقوشهم وتمثيلهم، وعبرت عن العنف الذي يبدو من شكلها؛ إذ تبدو بأشكال مختلفة، "ومنها الجن الذي يمسك سوطاً بيده اليسرى، وكرةً بيده اليمنى، وله رأس طير وجسد بشري، ومزوّدٌ بأجنحة"^(٨١)، "ومنها الكروبيم أبالسة يقال بأنهم أبناء الإله "إيل"، والإلهة "ريا" إلهة

74 -

75 -

76 -

77 -

78 -

79 -

80 -

81

الأرض"^(٨٢)، "ويعدّ الإله "بعل" من وجهة نظر الديانة الإيلية زعيم الأبالسة والشياطين، وسيّد الجحيم، والعالم الأسفل، يرافقه الشيطان حارس الأموات، ودليل المتوفين، كما يرافقه شيطان علة الموت قابض الأرواح"^(٨٣)، ويتبع "بعل" كثير من الشياطين، كل يحمل اسمه الذي يدلّ على صفاته وأعماله، منها "الذي يعمي البصيرة"، "والذي يجعل الشفاء مستحيلاً"^(٨٤)، وقد ارتبط الإله "بعل" ببليس؛ لما له من صفات الدهاء، والفتنة، والتحالف مع الشرّ، الأمر الذي دفع الناس إلى التوجّه إليه بالتقديس والعبادة؛ ويبدو الإله "بعل" في المعتقدات الكنعانية بصورة الأمر الذي يأمر الشياطين، ويبدو قادراً على إطلاق قوى الغيب من عقالها والسيطرة عليها، وهو ذو قوة تدميرية قوية^(٨٥).

وهكذا فقد خلط الكنعانيون الآلهة بالشياطين، ونسبوا إلى الآلهة صفات شيطانية؛ لدرجة اعتقادهم، "أنّ الأرواح الشريرة تتحالف مع بعض الآلهة ضد البشر، وتتآمر مع بعض الأعداء ضد البلاد"^(٨٦)، فقد كان "الإله "إيل زبوب" أمير المردة والشياطين، وهو كذلك الإله المعبود، ربّ الطب والشفاء، يشفي المرضى لأنه رئيس الشياطين"^(٨٧)، وقد ذكر الجبيلي في صفات "إيل"، أنه "كان يمتلك صفات شيطانية، له أربع عيون، عينان إلى الأمام، وعينان إلى الخلف، عينان مفتوحتان، وعينان نائمتان، أي أنه ينام وهو متيقظ، ويستيقظ وهو نائم"^(٨٨)، وكان مساعده العفاريت الذين يشخصون الرياح والصواعق، فاتجه الناس إلى تقديس مصادر الخصوبة التي جسدها "بعل" وجماعته.

وقد ورد في أساطيرهم "أنّ "إيل" أول من تزوّج بجنّية مائية اسمها (عين عبريت) و"عين عفریت" وأنجب منها ولداً واحداً"^(٨٩)، وهذا يؤكد أنّ الأبالسة هم أبناء "إيل"، وممن ينسب إليه "أبناء أيليم" الذين يحملون غيوم الشقاء عنه، فالكنعانيون آمنوا بوجود الشياطين،

- 82

- 83

- 84

- 85

- 86

- 87

- 88

- 89

ونسبوا إليها كل ما يحلّ فيهم من مصائب وكوارث وأخطار، ويثبت هذه الاعتقادات ما جاء في أسطورة "كارت" ملك صيدون، إذ أنه عندما مرض سأل الإله "إيل": مَنْ مِنْكُمْ يقدر أن يشفي كارت؟ مَنْ مِنْكُمْ يقدر أن يطرد الأرواح الشريرة من داخله؟^(٩٠) فلا يتمّ شفاؤه إلا بخروج تلك الأرواح من جسده؛ ومن الطقوس التي مارسوها؛ لاعتقادهم أنها تطرد الشياطين والأرواح، الاغتسال بالماء، وحرق البخور، ودقّ الطبول، كما عدّوا الوشم والختان من وسائل الحماية من تلك الأرواح^(٩١)، "واستخدموا الأقمعة الشيطانية في محاولة طردها والتغلب عليها"^(٩٢).

وقد اعتقد الكنعانيون أن الحية إله؛ لأنها تنفرد بقوة هائلة، فقد عبدها الفينيقيون أيضاً، وجعلوها في معابدهم، وكانوا يصفونها بالشیطان الصالح^(٩٣).

ومن معتقدات الكنعانيين أن القطط والكلاب من الأرواح الشريرة؛ "فكانوا يتشاءمون من نباح الكلاب، ويتهمونها باستدعاء الشياطين لإلحاق الأذى بهم"^(٩٤)، وفي مقابل هذه الأرواح والكائنات الشريرة، اعتقد الكنعانيون، بوجود كائنات طيبة، اكتسبت صفات إيجابية، تمثل جنس العمالقة، مثل عمالقة الحضارة، ومنها "رفائيم" المسؤولة عن الشفاء من الأمراض، وخاصة العقم، وتشير إلى مجموع سكان العالم الأسفل وأشباح الموتى^(٩٥)، وقد تتشابه مع "الكالو" السومرية التي قدمت الحضارة للبشر، وقد نُسبَ إلى كنعان الجد الأول للكنعانيين أنه كان يناجي شيطانه في الجبال؛ مما يؤكد وجود التابع والهاتف، حتى إبه رفض أن يركب مع والده مفضلاً الالتجاء إلى هذا الجبل معتقداً أن فيه نجاته، فخاب أمله... كما اتخذ السحر، وعبادة الشيطان والاتصال به ديناً له؛ وينسب إليه كثير من شرور العالم، فهو "رمز الوحي ومصدر التنبؤ"^(٩٦)، وقد نسب إلى هذه الكائنات ما يدل على أنها تمتلك قدرات خارقة؛ إذ كانت تعلم الناس صناعة

90 -

91 -

92 -

93 -

94 -

95 -

96 -

الحراب والمدى والدروع. يلاحظ مما سبق اقتران هذه الكائنات بالقداسة والقوة والخوف، وأنّ الكنعانيين ربطوا بينها وبين قدرتها الخارقة، فقدّسوها، كما ربطوا بينها وبين الحياة، كما في ملحمة جلجامش، وعلاقة تلك الكائنات بالشيطانة (ليليث).

وقد آمن اليونانيون كذلك "بوجود أرواح شريرة تسمى (Alstores) تتولى أعمال الشيطان"^(٩٧)، وقد عدّتها الأساطير اليونانية "كائنات جنّية خفيّة مؤثرة تمتلك طبيعة سرّيّة، جاءت من العالم الآخر، ذات تأثير حسن أو سيء في سلوك البشر"^(٩٨)، فأضفوا على آلهتهم صفات شيطانية، ودنّسوها بالردائل؛ "إذ يبدو الإله "زيوس" شيطاناً، شهوانياً، نهماً، أكولاً، شديد الطمع... أرسل الصاعقة القاتلة على "اسكولاب" أبي الطب؛ لأنه يشفي المرضى"^(٩٩)، فهدفه القضاء على الناس. ولا يختلف هذا عن هدف الشياطين عند الأمم الأخرى، فقد كان هدف "تعامة" و"عشتار" السيطرة على الإنسان أو إلحاق الأذى به، وجاء في الأساطير الإغريقية "أن الشياطين أبناء"أورانوس وجيا" تألبوا على أبيهم؛ فخلعوه وكادوا أن يقتلوه، لولا تدخل "زفس" الذي ظفر بهم وطرحهم في وادي الظلمات"^(١٠٠).

"وتبدو الساتوري "الساتيرز" مخلوقاتٍ خرافيّة شبيهة بالجن، تمثل القوى الحيوية للطبيعة، وترتبط ارتباطاً وثيقاً "بديونيسوس"، تعشق الخمر والرقص، وتفترط في الجنس، تطارد الحوريات محاولة إغواءها، وتظهر بهيئة بشر لهم شعور غزيرة، ووجوه لها لحيّ، وسيقان وذبول جيد"^(١٠١).

وتمثل "السيرينيات" نوعاً من الجنّيات اللواتي يرمزن للغواية والضلال والغريزة الجنسية والقتل، فهن متعطشات للدماء، يسكن جزيرة سيرين، يظهرن بهيئة نساء برأس آدمي، وجسد طائر، أو على هيئة نصفها آدمي والنصف الآخر سمكي، ويمتزن بصوت عذب، وأغان

- 97

- 98

- 99

- 100

- 101

ساحرة ينشدنها على القيثارة في الفلوات؛ فتجذب إليهن السفن العابرة، وينقاد الرجال نحوهن دون وعي؛ ليلقوا مصيرهم الأسود^(١٠٢).

وقد ظهرت بعض الكائنات الخرافية بصورة إنسان حكيم يعلم الآخرين، من ذلك ما يسمى بـ "القنطورس" الذي يبدو بصورة مخلوق نصفه إنسان، ونصفه الآخر حصان، وأشهرها "خيرون" معلم "أخيل" وبقية الأبطال، فقد علم "اسكولاب" إله الطب الروماني فنون الطب، ودربه عليها حتى أصبح طبيباً^(١٠٣).

وتنسب إلى هذا النوع من الكائنات "هيكاتي" "إحدى ربّات القمر والعالم السفلي في أن واحد، سيّدة الظلام، وواهبّة الحكمة للبشر، راعية الساحرات، سيّدة النبوءة"^(١٠٤)، "تظهر بصورة الجنية عشتار، سيّدة الموت، وعالم السحر والأشباح، من ألقابها "بريتانيا" التي ترسل عفاريتها إلى الأرض؛ كي تعذب الرجال، وتظهر في الليل بموكب مرعب مصحوبة بحشد من شيطاناتها، وكلابها المتوحشة تجوس المناطق المحيطة بالمقابر"^(١٠٥)، "كانوا يتصورون صورتها على شكل ثلاثة شخوص، واقفة ظهراً إلى ظهر، تمثل الحالات الثلاثة المتوالية للقمر، فهي يقظة؛ لأنها تستطيع الرؤية في اتجاهات ثلاث في آن واحد، يقدمون لها الأضاحي؛ لاسترضائها وكفّ غضبها"^(١٠٦).

وينسب إلى أبناء هذه الفصيلة "دورُ قطّاع الطرق الذين يحاولون اختطاف النساء؛ فقد حاولت القنطورات اختطاف "هيبوداميا"، عروس "بيرثيوس" ملك اللابثين" ودار صراع بينهما، انهزمت القنطورات على أثره هزيمة ساحقة^(١٠٧)، وقد كانت تلك الكائنات تخوض صراعاً مع أبطالها، من ذلك "أن هرقل ذهب مع زوجته إلى النهر، وطلب من القنطور نيسوس

102 -

103 -

104 -

105 -

106 -

107 -

أن يحمل زوجته، ويعبر بها النهر، فأعجب بها، وحاول أن يهرب بها، فقضى عليه هرقل بسهمه المسموم لمغازلته لها" (١٠٨). ومن الروايات ما يُشير إلى "أن تيسوس" عرض له ذلك الحيوان الخرافي المسمى "المينوطور" بشكل مخلوق عجيب نصفه الأعلى رجل، ونصفه الأسفل نصف ثور، وله أنياب كأنياب الأسود، فقتله كما فعل هرقل (١٠٩)، ويتضح ذلك الصراع بين أبطالهم وتلك الكائنات، من خلال ما فعله "زيوس" مع "طيفون" الذي يظهر بصورة وحش، رهيب المنظر، له مئة رأس تنين، وعلى هيئة أفعى مجنحة، ذراعه تمتدان من مشرق الشمس إلى مغربها، تنبعث من كتفيه مئات من رؤوس الأفاعي التي تمدّ ألسنة طويلة يخرج منها اللهب الحارق، إذا زمجر رددت الجبال صوته الرهيب، واهتزت مساكن الآلهة، وإذا تحرك ارتجت الأرض وأضاء لهيها أنفاسه، إلا أن زيوس أثبت جدارته وتغلب عليه، فشطره بالصواعق والرعد والبرق، وأحرق رؤوس الأفاعي، ودفع به إلى العالم الأسفل، وبقي يصدر العواصف التي تحرك المحيطات، وتغرق السفن، وتحطم ما بينيه البشر على السواحل (١١٠)، ويبدو أن هذا الكائن يشبه "اللابو" الذي تغلب عليه "مردوخ" البابلي، في كون كل منها يشكل مصدر رعب وإزعاج للإنسان، ويثبت أن الصراع بين الأبطال وهذه الكائنات مستمر، والبطل الحقيقي هو من يتغلب على هذه الكائنات.

و يبرز عداء هذه الشياطين للإنسان، وحبها لقتل الأطفال، "عندما أرسل "كانسا" شيطانة تسمى "يوتانا" دهنت تديها بالسّم، وأخذت ترضع الطفل "كرشنا" بقصد قتله، إلا أنه امتصّ الحياة منها فماتت، ولم يصب هو بضرر، وينسب إلى "كرشنا" قتل عدد كبير من العفاريت والشياطين بهذه الطريقة" (١١١).

ويبدو أنه كان لهذه الكائنات دور كبير في التنبؤ بالمستقبل، فقد كان "سقراط" يملك وحيًا خاصًا به يُعلمه عن المستقبل هو (Daimon) الشهير، "وقد أعلن أفلاطون أن معلمه سقراط كان

- 108

- 109

- 110

- 111

يتنبأ للأشخاص عن طريق نصائح هذا الشخص^(١١٢)، وذكر أنه كان من أصحاب الهواتف الخفية، وكان يستمع إلى هاتف يخيل إليه أنه يلازمه، ويوحى إليه، وينفخ في روعه، ويلهمه الرشد والصواب، وتحدث اليونانيون عن جنّيات الفنون التي اصطلح على تسميتها بالعرانس، وهي منسوبة إلى الجان^(١١٣).

وقد عرف اليونانيون الكهانة والعرافة، "وأشهر كهان اليونان "أبولو" إله الشمس الذي عد إلهاً للإخبار بالغيب؛ لأنه رمز الشمس يلقي ضوءاً على طريق المستقبل المظلمة، ويقتل وحش الظلام "بيسبون" لأنه يقف في سبيل استطلاع الغيب في دلفي"^(١١٤)، وكانت العرافات إمّا فتيات، أو عجائز يعشن في كهوف، ويقدمن النصائح في كلمات غامضة؛ على أنها إحياء من الأرباب، وأشهر العرافات (Cybele) التي عملت كوسيلة اتصال بين الإنسان والآلهة^(١١٥)، ويبدو أن اليونانيين أعطوا الشيطان أكثر من حقه، وأنه كان شيطاناً خيراً ورحمة، وليس شيطاناً شراً وذيلاً.

وما زلنا نلاحظ خطأً بين الأرواح الشريرة والآلهة أو أشباحها، فقد عدّ المصريون هذه الأرواح أشباح الآلهة التي اندثرت، وربطوها باله الشر والظلام الذي يدعى ست أو ستان"، ممثل إله الأرواح الخبيثة، ومُلك الموت والدمار مقابل إله الخير والنور "أورنس"، (فست) يمثل الشيطان؛ لبشاعة أفعاله وحبه للشر، وبغضه للخير؛ لذلك حظي بتقديس المصريين وعبادتهم، فكانت عبادة خوف ورهبة، بدليل ظهور صورته في معابدهم، وأعمالهم الفنية في أشكال مخيفة، "منها ما هو على هيئة حمار"^(١١٦)، مما يدلّ على أنّ أرواح الموتى سيطرت على مشاعرهم، حتى أدخلوها ضمن أنواع الجن الشريرة التي تعيث في الأرض فساداً، وتنقل الأمراض إلى الأحياء؛ "إذ تعتبر المقابر الفرعونية، والأماكن المظلمة داخل المقابر المصرية القديمة مأوى

112 -

113 -

114 -

115 -

116 -

للجان" ^(١١٧)، وما زال المصري المعاصر يعتقد أن أرواح الماء أو جنية البحر أو عفريت الماء هي في الحقيقة عفاريت أفرادٍ غرقى وأرواحهم، الأمر الذي يؤكد "فكرة ارتباط كل إنسان بقرين من الجن يسمى "كا" ويرمز له بذراعين مرفوعين" ^(١١٨)، وقد وصف العالم الأسفل "بأنه عالم مخيف يشبه مدينة محاطة بأسوار سبعة، يقف على كل منها شيطان مخيف، وتحكم هذا العالم آلهة قاسية" ^(١١٩)، وهو موطن هذه الأرواح وتلك الشياطين.

ويبدو "أن "تيفون" هو الاسم المستعار لـ "ست" الذي رمز به المصريون إلى عالم الظلام والشر، لأنه نهق بصوت أشبه بنهيق الحمار، وبسبب كلماته الخبيثة أصبح شيطاناً توحد مع الحية فتن" ^(١٢٠).

ومن الآلهة التي ظهرت بصورة شيطان، "الإلهة المصرية "سخمت" وهي إلهة متوحشة انطلقت ضارية، كادت تستأصل الجنس البشري، ظهرت بمظهر "عنات" العنيفة التي قتلت الناس، وفرحت حين تطايرت رؤوسهم وأيديهم المقطعة في الهواء" ^(١٢١).

ويتضح العداء بين آلهة الخير وآلهة الشرّ "الشياطين"، من خلال الصراع المستمر بين الإله "أبيب" الذي يظهر في صورة حية ملتوية تحمل في كل طية من جسمها مدية حادة، وتقود زمرة من الشياطين السوداء المقيمة في العالم الأسفل وإله الشمس الذي يهزمه، كما فعل "مردوخ" مع "تعامة"، ويؤكد ذلك ما قاله فريزر "عندما يهبط إله الشمس في مصر القديمة إلى موطنه في الغرب المتوهج، فإنه يجتاز قتالاً عنيفاً ضد زمرة الشياطين الذين يغيرون عليه بقيادة العدو اللدود "أبيب"، ويستمر الصراع طوال الليل، وقد يمتد للنهار، وقد كانوا يحاولون كفاً أذاه "بصنع صورة من الشمع للعدو "أبيب" في هيئة تمساح قبيح، أو حية طويلة مطوية، ويكتبون عليها اسم الشيطان بالحبر الأحمر، ويلفّ هذا التمثال بغلاف من البردي موشحاً برسمة مشابهة

117 - / :

118 - / :

119 - :

120 - :

121 - :

ويحزّم بشعر أسود، ويقوم الكاهن باللبصق عليه، وضربه بسكين حجرية، وإلقائه على الأرض، بعدئذٍ يرفسه بقدمه اليسرى، ويحرقه في نار تتغذى بنباتات معينة، وهكذا يقضي عليه، ثم يقضي على جميع الشياطين بالأسلوب نفسه^(١٢٢)، وهذا نوع من السحر التشاكلي؛ إذ يشير اللون الأحمر إلى ملك الجن الأحمر الذي يعدّ أشدّ أنواع الجن، ويمتاز بقدرته على طرد الشياطين، وجلبها في الوقت نفسه، ويؤكد ذلك ما ورد عن الساحرات المصريات "أنهن كنّ يكُئبن العهد مع الشيطان بدم الحيض"^(١٢٣).

وقد نسب المصريون الأمراض إلى تلك الأرواح الشريرة التي تتسلط بقواها الخبيثة على الأجسام، فتصيبها الأمراض، وإذا قوبلت بتأثيرات أقوى منها تنهزم أمامها، وتخرج من الجسم فيشفي المريض، وكان ذلك من وظيفة الساحر، إذ ينظر إلى المرض على أنه من فعل روح شريرة دخلت الجسم، ويركز الساحر عليها إمّا بالأمر، كأن يقول لها: اخرجي يا كاشرة.. أو بادعاء عدم الإذعان للروح الضارة، اختفي أيّتها الميتة، فالمرض هو تقمص الشيطان للجسم، وعلاجه تلاوة الدُقّي^(١٢٤)، "وقد استخدم المصريون التمايم ذات اللون الأزرق؛ لطرد الأرواح الشريرة والحماية من الحسد"^(١٢٥).

وقد عدّ المصريون الأفاعي نوعاً من الجن يتشكل بشكل الأفعى؛ لإيمانهم بقدرته كل منها على التشكل والتنقل السريع؛ ولذلك شكلت الأفعى مصدر رعب وفزع لهم؛ فأخذوا يفكرون في طريقة يسيطرون بها عليها، "فلجأوا إلى التعزيم؛ كوسيلة للتخفيف من حدّة فاعلية سمّها أو توجيهها أي جهة يريدونها"^(١٢٦)، كما قدسوها وجعلوها رمزاً للقوة والسلطان، تحت اسم (أوديس)^(١٢٧) ولم تقتصر أساطيرهم على الشياطين والآلهة، وإنما تعدتها إلى الكائنات الخرافية، "ومن هذه الكائنات التي اعتقدوا بوجودها" أكل الموتى "الذي يظهر بصورة حيوان خرافي

122 -

123 -

124 -

125 -

126 -

127 -

على شكل تمساح من الأمام، وأسد من الوسط، وفرس نهر من الخلف، ويسمى "أعمم" (١٢٨)، وقد يكون هو بعبع الذي يخوف الإنسان. "كما ظهر عند المصريين إله غريب يشبه الحمار لونه أحمر، وعينه حمراوتان، كان يقوم بأعمال شريرة" (١٢٩).

واعتقد المصريون بالرئي والهاتف والعرافة، من ذلك ما حصل مع امرأة ابن فرعون (أسانتى) الذي كان عقيماً، فذهبت زوجته إلى المعبد، ودعت ربها أن يرزقها ولداً، ونامت ليلتها في المعبد، فرأت في منامها أن دعوتها مستجابة، وسمعت في ليلة أخرى هاتفاً يخبرها أن ابنها سيكون من أصحاب الكرامات، ويطلب منها أن تسميه "سيتوفرديس" (١٣٠)، مما يؤكد علاقة تلك القوى والأرواح بالمعابد...

وهكذا فإن آلهة المصريين القدماء تحولت إلى جن وشياطين في معتقداتهم (١٣١)، واعتبروا الآبار والكهوف، والأماكن الخربة من الأماكن التي يكثر فيها تواجد الجن؛ لأنها تعد إحدى المنافذ إلى العالم السفلي، ولم تختلف معتقدات المصريين عن سابقهم، حول اعتداء تلك الأرواح على القمر، ومن حيث إيمانهم بوجود الهواتف، كما لا نستطيع أن ننفي وجود آلهة للشعر عند المصريين؛ لأنه كان للشعر عندهم منزلة عالية (١٣٢).

" وقد آمنت الشعوب الفارسية بوجود أرواح وقوى خفية، منها ما هو نافع، وهو إله النور والخير (هرمز)، ومنها ما هو ضار، وتُنسب إلى إله الشر "أهريمان" الذي قام بخلق كل الكائنات الضارة والشريرة، بما فيها الشياطين، وأخذ يؤثر في أتباعه الأشرار لينضموا إليه، ويلحقوا الأضرار ببني البشر (١٣٣)، ونسبت إليهم الأمراض والموت والقذارة والتشويش؛ وقد حظيت بعض هذه الأرواح بالعبادة والتقديس، ومن الشياطين التي حظيت بعبادتهم "ماركوشا"

- 128

- 129

- 130

- 131

- 132

- 133

شيطان خبيث، سبب خبثه طوفاناً مأساوياً دمر كل المخلوقات الحية^(١٣٤)؛ و"يازاتا" مجموعة من

الجن قدّست على اعتبار أنها كائنات إلهية^(١٣٥)، و"ديفاس" أرواح شريرة "جن الشر"^(١٣٦).

ومن الشياطين التي عرفها الفرس "النسناس" الذي يعيش على ضفاف الأنهار، ويعرض للمسافر بصورة شيخ هَرَم طالباً إليه إعانته على عبور مجرى النهر، فإذا حمله المسافر على كتفيه وبلغ به وسط النهر، شدّ النسناس على عنقه وأهلكه^(١٣٧)، فيظهر بصورة الخائن الغدار.

ومما يلفت النظر في المعتقد الفارسي أن الجنّ الذكور هم الأرواح الشريرة المؤذية فقط، في حين تظهر الإناث بصورة حوريات حسناوات، وخيرات جميلات؛ فلم يُعدن أرواحاً شريرة مشوّهة الشكل، قبيحة الخلق، فقد جاء في الملحمة الفارسية (الشاهنامه) "أن كل (Divs) أي الأرواح الشريرة من الذكور، بينما كل (Peris) حوريات جميلات"^(١٣٨).

وقد اعتقد الفرس أن حروباً وصراعات جرت بين الملوك والشياطين، من ذلك "أنّ الملك (هوشنكا) عمل على طرد الشياطين حتى ألجأهم إلى الجبال، ومنع شرهم عن البشر"^(١٣٩)، كما نسب إلى أحد ملوكهم القدامى "جمشيد" "أنه ناشب الشياطين حروباً تطاولت، وكاد يلحق بهم هزيمة ساحقة، فاستطاع أن يطردهم من المدن؛ فهاموا على وجوههم في الصحراء، فقد أدلهم وكلقهم بشاق الأعمال؛ فكان منه أن أمر بتعليق أحجار الطواحين في أعناقهم، ودفعهم في الجو، فتعلقوا بين السماء والأرض"^(١٤٠).

134 -

135 -

136 -

137 -

138 -

139 -

140 -

وقد سجّل الشعر هذه الأحداث، من ذلك أن الشاعر "أسدي" أورد محاربة "كرشاسب" للجن في منظومة طويلة نظمها، وقف فيها على صفاته، "كما اعتزّ الفرس بالبطل (رستم) الذي قاتل الشيطان الأبيض وقهره"^(١٤١)، وقتل ملك الجن، وأخرج كبده، ومسح به على عيني الضير فارتد إليه بصره، وبعد أنّ فكّ أسر الملك "كيكاوس" من أسر الجن، بلغ من شدة إعجاب قومه به أن سمّوا قوس قزح (رستم)، تعظيماً لمكانته ورفعوه إلى عنان السماء^(١٤٢)، وقد ورد "أن قبائل الجن بما فيها الملوك والشعب تجمعت لمهاجمة رستم، جاءت بكل الوسائل، وأحدثت الأمطار والتلوج والبرد بالسحر والشعوذة التي حجبت الرؤية... إلا أن ذلك لم يؤثر فيه فقد هجم وقضى عليهم"^(١٤٣). رغم هذا العدا والصرع لا بدّ من الإشارة إلى "أن هناك من يؤازر الملوك ويناصرهم في حروبهم ببطولة لا مثيل لها، من ذلك أن الملك "كيكاوس" لما عقد "رأمين" العزم على غزو إقليم "مازندران" استعان عليه ملكه بحليف له من الجن يسمى "سبيديو" ملك الجن والشيطان الأبيض، فشّد على الإيرانيين بعدّته وعتاده ورجاله وخيوله؛ فبدّد شملهم"^(١٤٤).

وهم كمن سبقهم اعتقدوا بوجود علاقة بين الحية والشيطان؛ إذ تشكل إله الشر بهيئة الحية التي ملأت العالم بسمومها^(١٤٥)؛ لما تمتلكه من قدرات خارقة، كما تمثل الشيطان لآدم في صورة الحية؛ ليغريه باقتراف الإثم والخطيئة^(١٤٦).

وعدّت الغيلان والعفران في المعتقد الفارسي أحيث أنواع الجن، وهي كائنات شريرة، تتعرض للمسافر، فتقصيه عن رفاقه، تظهر بهيئة الصديق، طالبة النجدة والإغاثة حتى إذا أنجدها، عادت إلى هيئتها الأولى، وافترسته^(١٤٧)، فهي قادرة على التشكل، مما جعلها رمز الحيلة والخداع. ومن أشهر الكائنات الخرافية التي ورد ذكرها، وترمز إلى الشرّ والموت، "كائن

- 141

- 142

- 143

- 144

- 145

- 146

- 147

خرافي يدعى "لاحس القدم" يبدو شيطاناً يتسلل إلى النائم في الصحراء، ويمتص دمه من خلال إحكام فمه على أخمص قدميه ويميته" (١٤٨).

وقد رسخ في أذهان الفرس "أن الشيطان أساس المرض وأنه خلق (٩٩,٩٩٩) مرضاً، فلجأوا إلى السحر لعلاج المرضى، وكان ذلك من أعمال الكهنة الذين اعتمدوا على الرقى أكثر من اعتمادهم على العقاقير" (١٤٩).

وإذا انتقلنا إلى الهنود فإننا نلاحظ أن شخصية الشيطان تكاد تكون معدومة؛ لأنها انحصرت في شخصيات شريرة متمثلة في نوعين الراكشا و"البيشاش" (١٥٠)، "أما الراكشا" فقد نسبوا إلى الشرذم المشردة من أبناء البلاد الأصلاء الذين صمدوا للأريين زمناً طويلاً ثم استكانوا على مضض وتربص، أو على هوان واستسلام" (١٥١)، فأطلقوا عليها الهمج الأوليين (١٥٢)، وتظهر الشياطين التي تنتمي لـ "راكشا" في صورة شياطين ساخرة في شكل حيوان أصغر من القط، داكن اللون، يتصدى للمسافرين، ويضلهم عن الطريق، قادراً على التشكل بصور عدة، وقد يظهر في صورة إنسان قوي شديد البأس، خارق القوى، في وسعه تحريك الجبال، ونقل المدن، رمز الكيد والعبث، تظهر ليلاً، تصيد من تراه وحيداً في الأماكن النائية المهجورة (١٥٣).

ويتجسد الشر في رئيس "الراكشا" الشيطان "رافانا" الذي يبدو "خارجاً على القانون، هاتكا لعرض النساء، له عشرة رؤوس وعشرون ذراعاً، طويل القامة، خاض معارك عدة مع الآلهة، يتحكم في الظواهر الكونية، كإيقاف الشمس والقمر بأذرع" (١٥٤)، "وتمثل "البيشاش" في أرواح الناس الخبيثاء، أو من مات حرقاً أو غرقاً، وتشكل في صورة إنسان أو قط، يعترض

148 -

149 - /

150 -

151 - :

152 -

153 - /

154 - :

طريق الإنسان، ويصيده إذا التفت خلفه"^(١٥٥)، فهي رمز الشر والضلال والفساد. ولم يختلف الهنود عن غيرهم؛ إذ جعلوا الشيطان بمنزلة المشجب الذي تعلق عليه كل الذنوب والخطايا، وهم يطلقون على كل من يحاول أن يلحق بهم الأذى أو يعترض طريقهم شيطاناً، ويزعمون أن الشياطين تتمثل بصور الحيوانات، "فقد تمثل الشيطان" هيرانيكشا" بصورة خنزير بري، تعرّض له "فشنو" الإله فقتله"^(١٥٦)، مما يؤكد الصراع بين الآلهة والشياطين، ويبدو ذلك فيما قامت به الأم الهندية تحت اسم "كالي - ما" أي الأم السوداء عندما تصدّت للشيطان "ماهيشا" وتغلبت عليه، كما تصدّت لجيش العفاريت، وأبادته عن آخره عدا قائده الذي ما لبثت أن قضت عليه، بعد أن اكتشفت أنه أصل العفاريت، وشربت دمه؛ كي تقضي على هذه العفاريت، ورمته جثة هامدة^(١٥٧)، فهي تبدو بصورة عشتار البابلية التي تمتلك وجوهاً متعددة، فهي مصدر الخوف والرعب، كما أنها هي الآلهة الحامية في أزمت الشدائد والمصاعب والكوارث.

اعتقد الهنود أن الحية من الأرواح المتشكلة؛ "فكانوا إذا رأوها في بيوتهم، احترموها وتوسّلوا إليها أن تخرج، فإن لم تخرج أحضروا إليها لبناً ونحوه، واستدعوا البراهمة ليُكلّمها، وحظيت بعبادتهم؛ لأنها تشكل عنصر الخوف بالنسبة لهم"^(١٥٨).

وتأثر الهنود باليونانيين، ففسروا الموهبة الإبداعية بأن براهما وزوجته "سارساتي" إلهي الشعر والحكمة والخطابة والفن الجميل هما اللذان يمدانهما به^(١٥٩).

ومن معتقدات الهندوس أن صياح الديكة عند الغروب، يُنبئُ الناس بأن الأرواح الشريرة تغلبت على الشمس، ولكن صياحها عند الصباح، يعلن أن الشمس استردّت قوتها،

- 155

- 156

- 157

- 158

- 159

وانتصرت على الأرواح الشريرة^(١٦٠)، مما يدل على سيطرة هذه الأرواح على الشمس، كما نسبوا حدوث الزلازل إلى تلك الأرواح، "فلأرض مستقرة على كتف عملاق جبار، فإذا ما تعب من حملها على الكتف الواحدة، حولها إلى الأخر، فجعلها تهتز، حينئذ يصرخون؛ كي يُعلموه أن الأرض ما زالت مسكونة، وإلا فإنهم يخشون أنه قد يضيق بعبئه ذرعاً، فيلقي به في البحر"^(١٦١).

ثم ما لبثت حكايات الجن والعفاريت أن انتقلت من أساطير فارس إلى الترك، إذ اعتقد الأتراك بوجود جنيات في الماء خلقت من إله الشر الذي يرون أنه يسكن الأرض، ويغوص في أعماق الماء، وينازع إله الخير؛ لذلك خلق لنفسه أتباعاً من الشياطين، ووصف بأنه خبيث السريرة، شديد الميل إلى الشر، ويذكر أن بعض الأتراك عبد الشياطين اتقاء لشرها^(١٦٢).

وإذا انتقلنا من معتقدات الشعوب إلى الشرائع والأديان السماوية، فإننا نلاحظ أنه كلما تقدّمت الشعوب في تنزيه الإله. استتكرت أن يصدر عنه الشرّ الذي يصدر عن الشيطان، وكلما علا شأن الأخلاق في ديانة ما اتّضحت شخصية الشيطان، وأعطيت له صلاحيات ووظائف؛ لذلك لم يَشْعُر العبريون الأوائل بشيء يدعوهم إلى عزل الشيطان أو إسناد الشرور إليه؛ لأنهم كانوا يخلطون الشيطان بالإله، فينسبون العمل إلى الشيطان تارة، وإلى الإله تارة أخرى، فقد توحد الشيطان مع الإله، وأسبغ عليه صفاته، فأصبحت أعماله شيطانية، وأصبح شريراً حقوداً يكره جميع الأمم التي خلقها؛^(١٦٣) فلم تستقل شخصية الشيطان، ولم تتضح معالمها في أذهانهم إلا بعد أن نسبوا إليه ما حدث بينهم في سيناء من صراع دموي، فظهرت صورته كإله مساوٍ لإلهم

160 -

161 -

162 -

163 -

"يهوه" في القدرة، وأطلقوا عليه اسم "عزازيل"، وراحوا يقربون إليه القرابين تحاشياً لشره^(١٦٤)، وقد تأثر اليهود بالزرادشتية، وأخذوا كل تصورات الفرس ومعتقداتهم عن الملائكة والشياطين والجن بمعالمها وأسمائها الفارسية، ويبدو ذلك في إطلاقهم على إله الشر لقب شيطان وإبليس، ثم ما لبثت أن تطورت الكلمة "Diabolos" حتى أصبحت علماً على إله الشر، وملاك الموت أو زعيم الهاوية السفلى فقط^(١٦٥)، فأصبح الشيطان اليهودي يشبه "نمتار" وزير "اريشكيجال" الذي يعدّ إله القدر والنصيب، وقد أكد العقاد أنّ العبرانيين لم يكن عندهم فارق بين خلّاق الكائنات العلوية وخالق الكائنات الأرضية من إنسانية أو حيوانية، ولم يكن بينهما وبين الشيطان فارق، بدليل أن الشيطان كان يحضر بين يدي الله مع الملائكة^(١٦٦).

ويرى اليهود أن "عزازيل" اسم إله الخراب والقفار، "وهو عفريت من عفاريت الصحراء، تلقى على كاهله الخطايا والمصائب في يوم الغفران، ويروى أنهم كانوا يرسلون إليه يوم الغفران عنزة محملة بخطايا الشعب اليهودي"^(١٦٧)، ويؤكد ذلك ما يروونه من "أنه كان زعيم الملائكة الذين هبطوا، وزنوا ببنات البشر، ثم انهزموا أمام جنود الخير، فلاحوا بالصحراء"^(١٦٨).

وتظهر صورة الشيطان في اللوحات الفنية مزوداً بقرنين وحوافر وذنب، مما يؤكد أنّ عزازيل اليهود هو عزازيل الذي كان يلقب إله الهلال البابلي (سين) ثم هبط إلى الأرض^(١٦٩)، ويؤكد ذلك تأثر النبي "حزقيال" في وصفه لطائفة الكروبين بما رآه إبّان الأسر البابلي من تماثيل

- 164

- 165

- 166

- 167

- 168

- 169

وصور الكائنات الجنيّة المجنحة التي كانت تحرس معابد بابل وقصورها^(١٧٠)، مما يبين التداخل الذي حدث لبعض الألهة المتحولة إلى ملائكة، وتأثر اليهود بالبابليين.

أما بالنسبة لكلمة الجن فقد وردت عند العبرانيين بمعنى كائنات وسطى بين الملائكة والبشر، ذوات أجنحة، تستطيع قطع الأرض من أعلاها إلى أدناها في لمح البصر، وهي طبقات وأنواع، منها الجن الطيارة، ومنها ما يشبه الملائكة أو الناس أو الحيوانات، وتتشكل في صور القطط والكلاب^(١٧١).

واعتبر اليهود الحية من الجن، معتقدين أن أصل الإنسان من الحية؛ إذ توحدت الشيطانة (ليليث) حواء الأولى عند السامريين بالحية التي توحدت بالجن، ويرون أن الحية كانت السبب في إخراج آدم من الجنة^(١٧٢)، ويبدو ذلك في العبارة التالية "فقالَت الحية للمرأة: لن تموتَا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين الخير والشر"^(١٧٣)، وقد جاء في رؤيا "اشعبا" النبي أن طائفة من الملائكة تسمى "السيرافيم" كانت تحرس عرش الرب وتسبحه، "وسيرافيم" مفردا "السيراف" و"سيراف" وتعني الحية، والشيطان واحد من هذه الملائكة، مما يؤكد أنّ هذه الحية ليست إلا شيطانا^(١٧٤)، وهكذا توحدت الحية والشيطان؛ إذ تعتبر مصدر الشرّ والإيعاز به، صاحبة الغواية، فهي إذن تجمع بين الضرر الحسي والخطيئة الأخلاقية، كما "حظيت الحية بعبادة الإسرائيليين تحت اسم "سيرافيم"، مع أنها كانت سبباً في موتهم، عندما سببت خروج الحيات، عليهم حتى رفع موسى حية النحاس"^(١٧٥).

ومن الشياطين التي تعدّ رمزاً للكذب والخداع "بليعال" الذي يقابل "بلاعول" في العربية، وتعنى لا معول عليه، ولا أخلاق له، ولا خير فيه، ومن هنا يظهر دور الجن والشياطين، فقد "تمثل بصورة الواشي الموغر للصدور، كما في قصة أيوب عليه السلام"^(١٧٦). إلا أنه لم يؤثر فيه رغم كل المحاولات، مما يثبت أن سلطته محدودة... ويبدو الشيطان رمز

- 170

- 171

- 172

- 173

- 174

- 175

- 176

الموت وسببه؛ إذ جاء في كتاب الحكمة " أن الموت نازلٌ على الدنيا من جرّاء حسد الشياطين" (١٧٧).

ولم تختلف اعتقادات اليهود عن غيرهم، فقد آمنوا بوجود بعض العفاريت التي تعدّ عدوة للأطفال، وترغب في القرابين، "منها العفريت "شديم" الذي "ورد اسمه في المزامير من كتاب العهد القديم، وكان يضحى من أجله بالأطفال" (١٧٨)، لذلك حاولوا التخلص من أثر هذه العفاريت والأرواح بعدة وسائل، منها اعتقادهم بقدرة الحديد على طردها، وممارسة بعض الطقوس والتعاويذ التي أطلقوا عليها لفظ "مرط"، وهي أنواع، بعضها على هيئة قلب يعلق في السلسلة في العنق، وبعضها يربط بالعضد، وفي مواضع أخرى من الجسم (١٧٩)، "وآمن العبرانيون بقدرة الكلمة التوارثية على الحماية من الجن؛ وأفعالها الضارة" (١٨٠)، وإذا كان اليهود قد نسبوا إليها المرض والأذى والشر؛ فإنهم سخروها كذلك في العرافة والكهانة والتنبؤ؛ ونسبوا إليها قضية الإبداع الفني (١٨١)، ومما يثبت دور الموسيقى في إحضار الشياطين ما جرى مع النبي "اليشاع" "أنه كان بمصاحبة الجيش، ولم يجدوا ماءً، ودعا مغنية وأمرها بالعزف، فإذا به يأمر جنوده، بأن يحفروا خنادق في المجرى الرملي للوادي ففعلوا، وامتلأت الخنادق بالماء" (١٨٢)، فاستطاع أن يتعرّف إلى أماكن وجود الماء، وماذا يجب عليه أن يفعل، من خلال تأثير العزف على تلك الشياطين.

ويبدو أن الإله "شاؤول" كان يحاول نفي أصحاب الجان، والتوابع من الأرض، وقد أمر بذلك، إلا أنه سرعان ما احتاج إلى مساعدة امرأة صاحبة الجان، فراح يتوسل إليها بعد أن دبّ الرعبُ في قلبه، قائلاً: "اعرفي لي بالجان، واصعدي لي من أقول لك"، أي أنه أراد تسخيرها

- 177

- 178

- 179

- 180

- 181

- 182

لما يريد، وما يعجزه اعترافاً منه بقدرتها على تحقيق ما لا يستطيع تحقيقه، فقالت له: "أنت تعلم ما فعل شاؤول، وكيف قطع أصحاب الجان التوابع من الأرض" (١٨٣).

نخلص من ذلك إلى أن الشيطان في اليهودية كائن روحي شرير، لم تتضح معالمه إلا ببطءٍ شديد، وأنه نشأ مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بقوى الشر التي تصيب الإنسان، ثم ما لبثت شخصيته أن بدأت تتضح في الأناجيل؛ إذ أجمعت كلها على كون الشيطان ملاكاً سقط بسبب كبريائه، بعد أن عصى ربه وتمرد عليه، فخرج بصحبة آلاف من الملائكة الذين وقفوا في صفه، وتحولوا إلى شياطين (١٨٤)، وتجمع على أنه لقب "الوسيفر" أي حامل النور والضياء؛ لكونه أكثر الملائكة جمالاً وأعظمها شأنًا عند الله (١٨٥)، وقد جاء في العهد الجديد ما يؤكد ذلك "البسوا سلاح الله، كي تقدرُوا أن تثبتوا ضد مكائد إبليس؛ فإن مصارعنا ليست مع دم ولحم، بل مع ولادة العالم، مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (١٨٦).

ومن أسماء الشيطان في العقيدة المسيحية "ملاك الهاوية" بعلزبول، بليعال، رئيس هذا العالم، إبليس القتال (١٨٧)، "وذكر بلفظ جن وجان" (١٨٨)، وقد ورد في أحد الإصحاحات، وأمّا قوم منهم، فقالوا "ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشيطان" (١٨٩) "وأطلقت كلمة شيطان على الأرواح الشريرة التي تشكل سبباً رئيساً للأمراض، والألام الجسدية والعقلية، والأمراض العصبية كالجنون والشلل والصرع؛ فالأمراض رُسلُ مرسله من الشيطان، وتحت إمرته وسلطانه" (١٩٠)، وهو رمز الشر والإغراء والغواية؛ إذ أكدت المسيحية أن الحيّة التي أوعزت لحواء لتأكل من الشجرة، لم تكن سوى إبليس متكرراً، أو أنها ربما حملت إبليس في فمها، فتحدّث من خلالها إلى حواء، وفي الحالتين يعزا السبب في إغوائها وإغرائها إليه؛ لأن "المسيحيين

183

- : :

/

184

185

186

187

- - - :

188

/

189

190

اعتبروا الحية معبوداً شيطانياً" (١٩١)، وقد جاء في أعمال الرسل ما يؤكد ذلك: "إنه التنين العظيم، الحية القديمة، المدعو إبليس، الشيطان الذي يضلّ العالم" (١٩٢).

ويزعمون أنّ المسيح جاء كي ينقض أعمال إبليس، "من يفعل الخطيئة فهو من إبليس، لأن إبليس يخطيء، لأجل هذا أظهر ابن الله، لكي ينقض أعمال إبليس" (١٩٣)، واستطاع المسيح أن يحارب الشياطين، والجن الساكنين في رؤوس الممسوسين؛ لذلك اتهموه بأنه يشفي المرضى بمعونة ربّ الشياطين "بعلزبول"، فقال المسيح منكرأ ما يقولونه: "إن كان الشيطان يُخرج الشيطان، فقد انقسم على ذاته، وإن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله" (١٩٤). ويتضح ذلك العداء من خلال ما أظهرته الأيقونات المسيحية من صور للسيدة العذراء وهي تدوس الحية القديمة بقدميها، إذ اختارها الله لتقهر الحية (١٩٥).

وفيما يتعلق بأشكاله وصوره، فيظهر من خلال كتاباتهم وأعمالهم الفنية على هيئة إنسان مكسو بشعر الماعز، وله ساقا تيس، وقرنان صغيران، وأذنان مدببتان (١٩٦)، كما ظهر بصورة إنسان أسود البشرة، ذي عينين ينبعث منهما لهيب النار، وذي قرنين، وأظافر معقوفة، وحافر مشقوق، وبعضها في هيئة إنسان له حوافر وقرور وذيل (١٩٧)، فيبدو من ملامحه، أنّه مثير للرعب والفرع، كوحش يستدلّ من شكله على صفاته.

ولم يقتصر تأثير الشيطان على الإنسان، وإنّما حاول إغواء الإله والتعرض له، عندما نزل الله إلى الأرض في شخص "يسوع" المسيح -حسب اعتقادهم- مما يدلّ على امتلاكه قدرات إلهية (١٩٨)، واعتقد الرهبان أنه يتعقبهم في الصحراء، حيث يسيرون، يحاول النيل منهم (١٩٩)، فالشيطان يبقى شيطانياً خبيثاً، يعمل ضد البرء والقداسة، مملوءاً بالكبرياء والمكر والقسوة.

191

192

193

194

195

196

197

198

199

وإذا عدنا مرة أخرى إلى تقصّي صورة الشيطان عند الأمم والشعوب، وجدنا أنها تجمع على وجود إلهين اثنين أحدهما إله الخير، والآخر إله الشر؛ فالمانوية مثلاً "تعتبر المادة هي الشيطان بعينه، لأنها في رأيها هي أصل الشر"^(٢٠٠)، واعتقدوا بوجود شياطين مختلفة، سمّوا كبير الشياطين باسم "أز" (الحرص) أو (أهريمان) الذي يعدّ شيطاناً خبيثاً، يقود مئات العفاريت الخبيثة الشريرة، فاصطدم بعالم النور "هرمزد"^(٢٠١). وقد تمثلت الأرواح الشريرة في المعتقدات الإفريقية في الجن والشياطين التي كانت تعيش وسط الغابات، وتحاول السيطرة على الأجناس البشرية بكل وسيلة، فمارس الإفريقيون الكهانة، وغيرها من الطقوس، بهدف طردها من الإنسان أو

المنازل^(٢٠٢).

وظهر نوع آخر من الجنيات لدى (الأشانتني)، لها قدم في أعلى رأسها، وساق معكوسة الوضع، وتصدر صفيراً بدلاً من أن تتكلم، ونظر إليها على أنها عون للأطباء في إبراء المرضى، ولها دور إيجابي في الخصب، حيث يعتقد "الساسا" بأن هناك مرده تسمى "سو" تضع قوة النمو في البذور، وتخرج الأجنة من ظلمات الأرحام إلى نور الوجود، وتنزل المطر، مسكنها باطن الأرض"^(٢٠٣)، فاعتقدوا "أن الساحر قادرٌ على التعامل معها، وعلى تعجيل سقوط المطر، وإبعاد الوباء عن الماشية؛ وضمن النصر للمحاربين"^(٢٠٤) وقد يلجأ إليها طلباً للشفاء من مرض، "ومنها ما هو ضارّ يستخدمه الساحر لإلحاق الأذى والضرر بالناس"^(٢٠٥).

وقد اعتقد الأوروبيون أن الأرواح الشريرة تهرب خوفاً من الديكة؛ لذلك وضعت رسومات الديكة ونصبها التذكارية فوق الأبراج وشرفات المنازل، وفوق البيوت، على اعتبار أنها حصن منيع من الأرواح الشريرة^(٢٠٦)، كما ساد الاعتقاد في أرجاء أوروبا والهند واليابان

200

201

202

203

204

205

206

"أنه توجد في مفترق الطرق شياطين وأرواح شريرة، وأشباح وساحرات، ومردة من الجن، وأقزام خرافية، وجنيات تلحق الأذى بالناس، وتعرقل سير القوافل" (٢٠٧)، وأكد رهبان الكنيسة الفرنسية "أن الشيطان قادر على أن يتخذ شكل أي حيوان من الحيوانات، وأكثر ما يتخذ شكل ذكر الغنم أو تيس الماعز الضخم" (٢٠٨)، ورأوا علاقة بين القط والشيطان، وقد جسّدوا الشيطان بصورة القط واعتبروها شريكة له في كل أعماله، فربطوا كل شيء يشبه القط بالشيطان والساحر والمشعوذ (٢٠٩).

وهكذا فإننا نلمس تشابهاً واضحاً بين أساطير الأمم ومعتقداتها؛ نظراً لعوامل التأثير التي شكلت منطلقاً بارزاً في الحضارة الإنسانية، وتاريخ الشعوب، ونرى أنه كان لكل أمة جن وشياطين تلعب دوراً هاماً في حياتها، لا يقل أحياناً كثيرة عن دور الآلهة، وهي تختلف بالأسماء والأفعال، بحسب عقلية الشعب، وما ورثه من معتقدات ومؤثرات وقصص، وإن وجد تشابه وخط كثير بين الأسماء والأدوار؛ فإن ذلك ناجم عن قضية واحدة، هي قضية انشغال الإنسان بقضية الخير والشر التي بدأت مع بدء استقرار المجتمعات البشرية، وواكبت مسيرتها في ارتقاء السلم الحضاري، وما تزال مستمرة، وسوف تستمر ما استمرت الحياة.

- 207

- 208

- 209

المبحث الثاني

الجن في المورث العربي القديم

الفكر الإنساني سلسلة متصلة، يرثه جيل عن جيل مع اختلاف بفعل التطورات البشرية، فالأمم اللاحقة تتأثر بسابقتها في مختلف الجوانب، وبخاصة الفكرية، وفي المعتقدات، والعرب كغيرهم من الشعوب تأثروا بمن حولهم، فقد آمنوا بأفكار ومعتقدات، ومارسوا طقوساً وشعائر، ولم يكن تفكيرهم، بمعزل عن تيارات فكرية سواء أكانت موروثية أم وافدة، وقد أخذ الجانب الروحي حيزاً من تفكيرهم، وملاً الجاهليون فراغهم الروحي بالإيمان بالأوثان والأصنام، فضلاً عن الإيمان بالله، والبحث في الحياة والموت.

والمتأمل في أفكار العرب الجاهليين ومعتقداتهم، يجدها فكرَ إنسان متطور، استطاع أن يرتفع بالآلهة من أن تكون مجرد أصنام وأحجار، جاعلاً منها جنأً وملائكة، تتصف بقوى خارقة، قادرة على الإتيان بالخير والشر، وتتصل بربّ الأرباب اتصالاً مباشراً.

وقد عاش الإنسان الجاهلي في عصر تنبعث فيه الآلهة والأرواح في كل ما حوله؛ فأمن بقوى خفية كثيرة، ونسب إليها قدرات خارقة تفوق قدرة البشر، وسلم بسيطرتها على قوى الطبيعة؛ واختفائها وراء كل حركة أو ظاهرة تعرض له، فحاول التقرب منها، واسترضاءها بمختلف الوسائل والطرق، واستمالتها إليه؛ لردّ شرّها وأذاها عنه، مما دفعه إلى الاعتقاد بوجود كائنات غير مرئية وراء هذه القوى، وصفت بأنها ملائكة حيناً، وحيناً آخر، فقاده ذلك إلى عبادتها^(٢١٠)، وقد ورد " أن قريشاً عبدت الملائكة بدعوى أنّها بنات الله " ^(٢١١)، إذ زعموا أن الله تزوّج بنات سراة الجنّ، وولد منهن بنات هنّ الملائكة؛ فالملائكة حسب زعمهم،

210 -

211 -

◀ ☞ ◃ ◅ ◆ ◇ ◈ ◉ ◊ ○ ◌ ◍ ◎ ● ◐ ◑ ◒ ◓ ◔ ◕ ◖ ◗ ◘ ◙ ◚ ◛ ◜ ◝ ◞ ◟ ◠ ◡ ◢ ◣ ◤ ◥ ◦ ◧ ◨ ◩ ◪ ◫ ◬ ◭ ◮ ◯ ◰ ◱ ◲ ◳ ◴ ◵ ◶ ◷ ◸ ◹ ◺ ◻ ◼ ◽ ◾ ◿ ◿

◀ ◉ ◊ ○ ◌ ◍ ◎ ● ◐ ◑ ◒ ◓ ◔ ◕ ◖ ◗ ◘ ◙ ◚ ◛ ◜ ◝ ◞ ◟ ◠ ◡ ◢ ◣ ◤ ◥ ◦ ◧ ◨ ◩ ◪ ◫ ◬ ◭ ◮ ◯ ◰ ◱ ◲ ◳ ◴ ◵ ◶ ◷ ◸ ◹ ◺ ◻ ◼ ◽ ◾ ◿ ◿

وذكرت المصادر العربية أسماء بعض القبائل التي عبدت الجن، " وأشهرها قبيلة طلحة الطلحات؛ وهو طلحة بن خويلد الأسدي، وكان خطيباً وشاعراً وكاهناً وناسباً" (٢١٧)، وقد "تسمّى بعض الأشخاص بأسمائها، مثل عمرو بن عبد الجن بن عائد، وعمرو بن عبد الجن التتوخي، وبنو مليح من خزاعة" (٢١٨).

ويبدو أن الهدف من عبادتهم لها عائذ- في الأغلب- إلى خوفهم الشديد منها؛ بدليل تحريمهم لأماكن شاسعة بكاملها، وعدم الاقتراب منها؛ اعتقاداً منهم أنها محطة أسلافهم من الجن، مثل وادي "برهوت" و"بيرين" و"صهيد" التي كانت دياراً لقبائل عاد وثمود وطسم وجديس، والتي سكنها الجن بعد هلاكهم (٢١٩)، ومنهم من عبدها إكباراً لها (٢٢٠)، بدليل أنهم كانوا يتأثرون لموت ملوكهم، فقد أورد فريزر حكاية عن حادثة موت ملك الجن، وكيف " أن الشعب كانوا يضربون على طول الشرق الأوسط من تركيا حتى إيران وبغداد بالدفوف، وينوحون ويشقون ملابسهم مهيلين على رؤوسهم الطين والرُّغام" (٢٢١)؛ نستدل من هذه الحادثة على مكانة الجن ومنزلتها عند العرب، وقد عبدها العرب؛ لتكون واسطة بينهم وبين الله، ومن أجل الشفاعة، بدليل قوله تعالى على لسانهم " ◀ ◉ ◊ ○ ◌ ◍ ◎ ● ◐ ◑ ◒ ◓ ◔ ◕ ◖ ◗ ◘ ◙ ◚ ◛ ◜ ◝ ◞ ◟ ◠ ◡ ◢ ◣ ◤ ◥ ◦ ◧ ◨ ◩ ◪ ◫ ◬ ◭ ◮ ◯ ◰ ◱ ◲ ◳ ◴ ◵ ◶ ◷ ◸ ◹ ◺ ◻ ◼ ◽ ◾ ◿ ◿

_ 216

_ 217

_ 218

_ 219

_ 220

_ 221

ونتبين من شعائرهم وطقوسهم أن عبادتهم للأصنام والظواهر الكونية، ومظاهر الطبيعة، لم تكن لذاتها؛ وإنما لأنهم يظنون أن أرواحاً تحلّ فيها، ومما عبده العرب الإله (قُزح)، وكان يُسمى بـ(قُزاح)، إله الرعد والخصب والمطر والبرق، كان موقعة قرب مكة، وقالوا: "إن قزح اسم ملك موكل بالسحاب"^(٢٢٣)، ويذكر الحموي "أنه اسم للشيطان، وهو الموضع الذي كانت توقد فيه نيران الاستمطار في الجاهلية"^(٢٢٤).

وعبدوا اللات والعزى ومناة، وكانوا يظنون أنّ في كل واحدة منهن شيطانة تكلمهم، وتترأى للسدنة، والدليل على ذلك أن الرسول "عليه السلام" عندما بُعثَ بَعَثَ خالد بن الوليد ليهدم العزى، وكانت شيطانة تأتي ثلاث شجرات ببطن نخلة، فوجد تحت أصلها امرأة سوداء ناثرة شعرها قائمة كأنها تنوح عليهن، ويؤكد ذلك ما جرى بين خالد والسادن من حوار وخطاب^(٢٢٥).

ومما يرجح العلاقة بين الجن والأوثان، ما ورد من أنّ الرسول "عليه السلام" حينما كان بمكة يدعو القبائل العربية إلى الإسلام في أثناء الحج، كان يتبعه عمه أبو لهب، ويحذر العرب منه ومنّ دعوته قائلاً "إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى ومناة من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن، من بني أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه"^(٢٢٦)، فاللات والعزى ومناة إذن شيطانة، وما الشيطانة إلا جنيّة من الملائكة التي تزعم قريش وبعض

_ 222

_ 223

_ 224

_ 225

_ 226

القبائل الأخرى "أنها بنات الله تحلّ في تلك الأصنام" ^(٢٢٧)، ويشير القرآن إلى هذه المعتقدات

بقوله ".....
.....
.....^(٢٢٨).

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، وإنما اعتقد العرب أن الآلهة والأرواح، تحلّ في مظاهر الطبيعة، وتستقرّ فيها، ويمكن أن تستجيب للدعاء والتوسل والصلاة "فكانوا إذا غمّ عليهم أمر جاءوا إلى بئر قديمة بعيدة الغور، ونادوا ثلاث مرات، فإن كان ميّناً لم يسمعوا في اعتقادهم صوتاً، وكانوا يظنون أن بعض الآبار لها ربّ يحميها، فيمارسون إزاءها الشعائر؛ رغبة ورهبة من القوى التي تحلّ بها" ^(٢٢٩).

وزعموا أن الشياطين تدخل في بعض الكواكب؛ فعبدوها، وأقاموا لها أصناماً، وأخذوا يخاطبون من داخلها، ويستطلعون على ما سوف تنكشف عنه الأيام من خلالها ^(٢٣٠)، وتوهموا أن الأصنام تتكلم من خلال ما فيها من شياطين؛ والدليل قولهم "إنهم كانوا يسمعون من أجواف الأصنام همهمة" ^(٢٣١)، وبهذا قد تكون الهمهمة صوت الشيطان.

وعرف عن العرب معرفتهم بالنجوم ومطالعها وأنوائها، واعتقادهم أنّها شياطين وأشباح، فقد وصفت الأعراب النجوم بعدة أوصاف تؤكد علاقتها بالشياطين، فمنها نجوم الأنواء، ونجوم الاهتداء والسعود والنحوس... وسخّرت "لمعرفة الأمور الخافية عليهم من حاضر ومستقبل" ^(٢٣٢)، "فكان الكهان يتنبأون بما سيقع من أمور وأحداث، بالاستدلال بحركات تلك

- 227

- 228

- 229

- 230

- 231

- 232

الأجرام"^(٢٣٣)، واعتقدوا بقدرة الكاهن على معالجة المرضى عن طريق "طررد الشياطين من جسم المريض بالتعاون والتراتيل والأناشيد المقدسة"^(٢٣٤)، فكان عملهم هذا بمنزلة أهل العلم والفلسفة والطب والقضاء واليقين.

ومن العادات الجاهلية التي ارتبطت بالجن والشياطين التطير "الذي يبدو على صلة بعقيدة استحالة الأرواح طيوراً بعد مفارقتها الأجساد"^(٢٣٥)، على اعتبار "أن الجن والشياطين هي النفوس البشرية المفارقة عن الأبدان بحسب الخير والشر"^(٢٣٦)، فالغرض من الطيرة هو دفع تلك القوى التي تتلبس ببعض الحيوانات المرتبطة بالجن، إذ آمن العرب بتلبس الأرواح في الطيور، شريرة كانت أم خيرة، فتفألوا ببعضها وتشاءموا من البعض الآخر^(٢٣٧)، وقد يكون السبب في تشاؤمهم من البارح، اعتقادهم "أن جهة اليسار نافذة تطلّ منها الجن والشياطين؛ لتوسوس في نفوس البشر، أو مصدر شؤم وأذى"^(٢٣٨)، ومن الأمور التي ارتبطت بالشيطان (السحر) "إذ يعدّه البعض عملاً يقرب فيه إلى الشيطان، وبمعونة منه، يؤدي إلى الخداع وفساد العقل"^(٢٣٩)، ولذلك عزوا السحر إلى كل من يأتي بشيء مدهش، كما عزوا رسالة رسول الله "عليه السلام" إلى السحر^(٢٤٠)، وقد أشار القرآن الكريم إلى ارتباط السحر بالشيطان، وإلى أن الشياطين كانوا يعلمون الناس السحر؛ ليفرقوا بين المرء وزوجه^(٢٤١).

233 - /

234 - /

235 - :

236 - /

237 -

238 -

239 - :

() /

240 - وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم، وقال الكافرون، هذا ساحرٌ كذاب" ()

241 - "وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر... فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء ونزوجه"

ومما يؤكد ذلك أنهم استخدموا في السحر بعض المواد التي تألفها الشياطين، كالبخور والملح والعظام، إضافة إلى حركات وتمتمات خاصة بهم، تشير إلى أن الساحر يخاطب أشخاصاً من الجن، كما كانوا يدفنونها في المقابر؛ لأنها على حد زعمهم- أنسب الأماكن للسحر^(٢٤٢)، ومن هنا ارتبط السحر بالأرواح الخفية التي تهوى هذه الأماكن.

وزعم العرب كذلك أن الشعر وحي يوحى، وفن تلقيه القوى العليا على المصطفين الأخيار من بني آدم؛ فينطقون بلسان هذه القوى، ويذيعون في الناس ما تلهمهم به تلك الأرواح، وأن مع كل فحل من الشعراء شيطاناً يقول الشعر على لسانه، وقد يكون ذلك من باب اعتقادهم بتفوق الجن، وأنها تستطيع ما لا يستطيعون؛ لذلك جعلوا بين الشعراء والشياطين صلة ونسباً، وآمنوا بقدرة الجن على نظم الشعر، ورووا أشعاراً على ألسنتها، كما ذكروا أسماء شياطين معظم الشعراء⁽²⁴³⁾، ونظراً لعلاقة الشعر بالغناء فقد نسبوه إلى الجن أيضاً؛ فتخيل إليهم أن الجن توحى إليهم الغناء في اليقظة والنام، وتلقونهم أصول الفطنة⁽²⁴⁴⁾، فسيطرت الجن على ألسنتهم، وإن لم يبلغ هذا الأمر مبلغ الشعر؛ فقد كان للشعر أثر لا يقل عن أثر السحر وخاصة الهجاء، وأطلقوا عليه رُقى الشيطان؛ تشبيهاً له بالرقية التي كان يمارسها الكاهن والساحر، مما يثبت "أن لكل منهم رُقىاً أو تابعاً ينفذ أو امره"⁽²⁴⁵⁾، وقد بينت الروايات أنهم كانوا يعتقدون بأن الهدف من السحر والشعر واحد، "وهو التحكم بقوى الطبيعة الخفية، والسيطرة عليها، وتسخيرها لخدمة البشر ومصالحهم"⁽²⁴⁶⁾.

وردَ بعض الكهّان الأحلام المزعجة إلى فعل الأرواح الشريرة، فزعم القدماء "أن الأحلام نوعان: أحلام من فعل الشيطان والأرواح الخبيثة، وأحلام من قبل الإلهام، أي من

_ 242

_ 243

_ 244

_ 245

_ 246

الآلهة⁽²⁴⁷⁾. وقد مارس الجاهليون شعائر دالة على خوفهم من هذه الأرواح، وتقديسهم لها، منها أنهم كانوا إذا أرادوا أن يسكنوا بيتاً جديداً، أو يحفروا بئر ماء، تقربوا إلى تلك الأرواح التي يعتقدون أنها تحلّ فيها وقد تؤذيهم، بتقديم الذبائح لها؛ كي يطردوا شرّها وأذاها، وقد سمّاها الرسول عليه السلام "ذبائح الجن" ونهى عنها⁽²⁴⁸⁾.

ومن سلوكياتهم أنهم "إذا هبطوا وادياً وأرادوا المبيت فيه،- إذ كانت الأودية مظان الجان- توجّهوا إليه، قائلين: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه؛ فلا يؤذيهم أحد، وتصير لهم بذلك خفارة،⁽²⁴⁹⁾ وكان الرجل منهم "إذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل، عمد إلى وادٍ ذي شجر، فأناخ راحلته في قراراته، وعقلها، وخطّ عليها خطأ، ثم قال: أعود بصاحب هذا الوادي، أو بعظيم هذا الوادي من الجن الليلة، ومن شرّ ما فيه"⁽²⁵⁰⁾.

وذلك اعتقاداً منهم أن الجان يصيبون الإنسان بضروب من الأذى، ويلحقون به أنواع الشرور، فإذا أراد أن يتحصن منهم، ولا يصيبه شيء، عليه أن يستنجد بعظيم المكان الذي ينزله كي يحميه، ويجعله في جواره.

ومن معتقدات العرب الجاهليين أن الجن قبائل وعشائر، تتقاتل وتتصالح، وتعقد الأحلاف، وقد تخوض صراعاً مع الإنس، كما حدث مع بني سهم، إذ يروى "أن رجلاً من بني سهم قتل ابن امرأة من الجن، ف وقعت الحرب بين قبيلة الجني المتوفى وبني سهم، وقتل الجن من بني سهم خلقاً كثيرين، فنهضت بنوسهم وحلفاؤها وعبيدها، وصعدت إلى رؤوس الجبال وشعابها، فما تركوا حية، ولا عقرباً، ولا عضاضة، ولا خنفساء، ولا هامة تدبّ على الأرض إلا

- 247

- 248

- 249

- 250

قتلواها، حتى ضجّت الجن، فصاح صائحها يطلب وساطة قريش بينهم وبين بني سهم، فتوسطت قريش، وانتهى النزاع بينهما⁽²⁵¹⁾، وقد سُموا "بالغياظة قتلة الجن"⁽²⁵²⁾. وقد تخوض الجن صراعاً بين قبائلها؛ لذلك اعتقدوا "أن الزوابع عبارة عن الظواهر المرئية لمعركة تدور بين عشيرتين من الجن"⁽²⁵³⁾، كما قتلت الجن عدداً من الإنس، منهم مرداس بن أبي عامر السلمي، وحرب بن أمية.. وعلقمة بن صفوان بن أمية، إذ ذكروا أنه خرج في بعض الليالي، يريد مالا بمكة، فانتهى إلى الموضع المعروف "بحائط حرمان"، فإذا هو بشقّ قد ظهر له، فدار بينهما حوار شعري، وضرب كلُّ منهما الآخر، فخرّا ميّتين⁽²⁵⁴⁾.

ولم يقتصر الأمر على الصراع والقتال، وإنما زعموا أن الجن تخطف الإنسان وتستهويه، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يحكى من أن الجن خطفت رجلاً من عذرة، واسمه خرافة، استهوته، فلبث فيهم زمناً، ثم رجع، وأخبر بما رأى فكذبوه، وصاروا كلما سمعوا حكاية أو نادرة من الغرائب، قالوا "حديث خرافة"، أي حديث مستملح كذب⁽²⁵⁵⁾، وممن استهوته الجن، طالب بن أبي طالب، وسانن بن حارثة....، وقد تعدّدت معتقدات العرب في الجن، إلى درجة زعمهم، أن الجن احتكموا في خلافاتهم للإنس⁽²⁵⁶⁾.

وممن معتقدات الجاهليين أن الجن تخالطهم، وتتكلّم معهم، وتتزاوج منهم وتناسلهم؛ فيرون "أن الجنيات إنما تعرض لصرع رجال الإنس على جهة التعشق والسفاد، وكذلك رجال الجن قد يعرضون لنساء بني آدم"⁽²⁵⁷⁾، ويؤكد ذلك انتساب بعض القبائل للجن مثل بني مالك، وبني شيصبان، وبني يربوع الذين تسموا ببني السعلاة؛ إذ يروى أن "عمرو بن يربوع تزوّج

251 - /

252 - / :

253 -

254 - /

255 - ()

256 - /

-

- -

/

256 -

:

- -

257 - /

الغول وأولدها بنين وبنات، ومكثت عنده دهرأ، فكانت تقول له، إذا لاح البرق من جهة بلاد قومي، فاستره عني، فإني إن لم تستره، تركت ولدك عليك، وطرت إلى بلاد قومي، فكان عمرو كلما برق البرق، غطى وجهها بردائه، فلا تبصره، فغفل عنها ليلة وقد لمع البرق، فلم يستر وجهها، فطارت، ومن هنا أصبح بنو عمرو، يدعون ببني السعلاة^(٢٥٨).

وزعموا أن للجن دوراً كبيراً في تعليم الإنس أنواعاً من الطبّ أو غيره، من ذلك ما حدث مع أمية بن أبي الصلت، وقد كان له قرين أو تابع من الجن، "فخرج في غير من قريش، فمرت بهم حية فقتلواها، فاعترضت لهم حية أخرى، تطلب بثأرها، وقالت قتلتم فلاناً، ثم ضربت الأرض بقضيب، فنفرت الإبل، فلم يقدرُوا عليها إلا بعد عناء شديد، فلما جمعوها، جاءت فضربت ثانية، فنفرت، فلم يقدرُوا عليها إلا بعد نصف الليل، ثم جاءت فضربت ثالثة، فنفرت فلم يقدرُوا عليها، حتى كادوا أن يهلكوا بها عطشاً وعناء، وهم في مفازة لا ماء فيها، فقالوا لأمية بن أبي الصلت: هل عندك من حيلة؟ قال: لعلها، ثم ذهب حتى جاوز كثيراً، فرأى ضوء نار على بعد، فاتبعه، حتى أتى على شيخ في خباء، فشكا إليه ما نزل به وبصحبته، وكان الشيخ جنياً، فقال: اذهب، فإن جاءتكم فقولوا "باسمك اللهم سبعاً" فرجع وقد أشرفوا على الهلكة، فأخبرهم بذلك، فلما جاءتهم الحية، قالوا ذلك، فقالت: ثبأ لكم، من علمكم هذا؟! ثم ذهبت، وأخذوا إبلهم، وكان فيهم حرب بن أمية بن عبد شمس جد معاوية، فقتلته الجن بعد ذلك بثأر الحية^(٢٥٩).

وهكذا تعلم أمية بن أبي الصلت كلمة سحرية (باسمك اللهم) تغلب بها على الجن، وتتضح من خلال القصة علاقة الجن بالحية، فقد كانت الحية التي قتلوها جنأً، والحية التي اعترضت لهم جنأً آخر جاء يأخذ بثأره.

258 - / -

259 - :

لذلك كانوا يتجنبون قتل الحية خوفاً من ثأر الجن لها؛ فإذا قتل شخص ما ثعباناً، فإنهم يأخذون روثه ويفتونه على رأسه، ويقولون روثه راثِ ثائرك، وقد يُدْرُ على الحية المقتولة يسيراً من الرماد، ويقال لها قَتْلِكَ العين فلا ثائرَ لك^(٢٦٠).

وكانوا كذلك إذا مرض شخص، وطال مرضه، ردّوا طول مرضه إلى مسّ الجن الذي يهاجمه بسبب قتله حيّة، "عملوا جمالاً من الطين، وجعلوا عليها جوالق، وملئوها حنطة وشعيراً وتمراً، وجعلوا تلك الجمال في باب حجر إلى جهة المغرب وقت غروب الشمس، وباتوا ليلتهم تلك، فإن أصبحوا، نظروا إليها، فإذا رأوا أنها بحالها، قالوا: لم تقبل الدية، فزادوا فيها، وإن رأوها تساقطت، وتبدد ما عليها من الميرة، قالوا: قد قبلت الدية، واستدلوا على شفاء المريض، وفرحوا، وضربوا بالدف"^(٢٦١) ومن مزاعم العرب الجاهليين، أن الغيلان تعترض الطريق عليهم، وتوقد النيران بالليل؛ للعبث والتخيل، وإضلال السابلة، فقد روي "أن عمر بن الخطاب شاهد في بعض أسفاره إلى الشام غولاً، وأن الغول كانت تتغول له، وأنه ضربها بسيفه"^(٢٦٢).

ويتجسّد جانب الشّر فيما ينسبون إليها من الأمراض الخبيثة والخطيرة، فقد زعموا أن الجنون وسائر الأمراض العصبية تحدث بسبب دخول الجن والشياطين في جسد الإنسان، وسيطرتها عليه؛ لذلك لا يمكن شفاء من أصابه مس من الجن، أو لوثة في العقل إلا بإخراج تلك الأرواح المسيطرة على المريض من جسده، فكان علاجها من واجب الكهنة^(٢٦٣). وزعموا، أن الطاعون وخز الشيطان، وكانوا يسمونه رماح الجن^(٢٦٤)، وقد قال الرسول "صلى الله عليه وسلم": "الطاعون رجز أو عذابٌ أرسل على بني إسرائيل، أو على مَنْ كان قبلكم، فإذا سمعتم به

- 260

- 261

- 262

- 263

- 264

في أرض فلا تقدموا عليها" (٢٦٥)، و لا يخفى أن الرجس من الشيطان. ومن معتقداتهم "أن الشيطان يلطم الإنسان على وجهه فيعوجّ شدة، وعلى عينه فينقلب جفنه ويتشنج؛ فكانوا ينادون من به لقوة أو شتر، يا لطيم الشيطان" (٢٦٦)، وزعموا أن عين الجن اشدّ تأثيراً من أعين الإنس، وأن الشيطان يعشق المرأة من الإنس، وأن نظرتة إليها عن طريق العجب بها اشدّ عليها من حمى أيام (٢٦٧)، وقد أثبت القرآن الكريم هذه المعتقدات، بقوله: "أو لعلّهم يظنون أنّهم سوا الله" (٢٦٨).

واعتقد العرب "أن السفعة" (٢٦٩) هي نظرة الجن، والمسفوع هو المعيون" (٢٧٠)، ومن معتقدات العرب أن الكلاب من الجن؛ لذلك قد تصيب عيونها الإنس، فقد أورد الشبلي عن ابن عباس، قوله: "الكلاب من الجن، فإن غشيتكم عند طعامكم؛ فألقوا لهن، فإن لها أعينا، وقيل نفساً" (٢٧١).

وقد تجسّد عنصر الشر في العزى؛ إذ اعتقدوا "أنها شيطانة (إلهة ضارة) تؤذي من يسيء إليها، فربما جدعت الأذن، وتشلّت الأيدي، وسلبت العقول" (٢٧٢)، فقد أخذ سادنها يخوفّ خالد ابن الوليد، عندما أراد تدميرها، وقطع شجرتها، قائلاً: "يا خالد، احذرها، فإنها تجدع، وتكّع، أي أنها تقطع الأعضاء، وتشلّ الأيدي" (٢٧٣)، وعندما أخذت قريش تصيح "يا عزى

265 _
266 _
267 _
268 _
269 _
270 _
271 _
272 _
273 _

خبلية، يا عزى عزريه، وهو لا يثنى عن تهاويلهم، كما قيل إنها حرقت فخذة^(٢٧٤)، وشاع "أنها تقشي في جسم الإنسان أخبث الأمراض، وتسمه بأشنع العاهات، وتؤدي به إلى الصرع والجنون، أو تذهب ببصره"^(٢٧٥)، ويؤيد ذلك أيضا ما روي عن ضمام بن ثعلبة " أنه لما أسلم قدم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أول الجنون"^(٢٧٦)، وقد روي عن امرأة رومية تدعى زنيرة، كانت بمكة، فأسلمت ثم عميت، فقال المشركون: أعمتها اللات والعزى، وقالوا: "ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى"^(٢٧٧).

وهكذا نسبوا إلى الجن والشياطين معظم الأمراض وأخبثها، الأمر الذي دفعهم إلى التفكير بإيجاد وسائل للتغلب على تلك القوى، والحدّ من ضررها؛ فوجدوا أن استخدام الرقى والتائم والتعاويذ خير وسيلة لتنفير الجن وإبعاد العين، مع ثقتهم التامة بأن هذه المعتقدات يتوقف مفعولها عندما يأتي الموت^(٢٧٨)، وهذا يؤكد قداسة الكلمة، وأثرها في تلك الأرواح والمخلوقات.

ومن التعاويذ التي اعتقدوا أنها تؤثر فيها ما يسمى بـ الثُشرة، "وهي ضرب من الرقية والعلاج، يعالج به من كان يظن أن به مساً من الجن، وسميت بذلك لأنه ينشر بها عنه؛ أي يحلّ عنه ما خامره من الداء، وتبعد عنه الأرواح الشريرة المسببة له، وهي نوع من السحر،^(٢٧٩) كما "أنها من عمل الشيطان"^(٢٨٠)، ومما يدل على إيمانهم بقدرة التائم على ردّ أذى الأرواح الشريرة ودفع العين عنهم؛ " أنهم كانوا يضعون خرزة سوداء في عنق الصبي تسمى الكحلة؛ لحمايته من العين"^(٢٨١)، "وكانت النساء تتخذ حوطا من خيط مفتول من لونين أسود وأحمر، يضعن فيه شيئاً من الخرز، فيشددنه على وسطهن حرزاً من إصابة العين، ومن تلك

274

275

276

277

278

279

280

281

الأرواح"^(٢٨٢)، وقد يكون ذلك من باب السحر التشاكلي؛ لأن اللون الأسود والأحمر أحب الألوان إلى الشيطان.

ومن الوسائل التي استخدمت لحماية الوليد من الجنون والأمراض، أنهم كانوا "إذا ولدت المرأة يأخذون من دم السمرة، وينفقون بين عيني النفساء، ثم يخطون على وجه الصبي خطأ، فيزعمون أن الجن يرهبون منه، ولا يؤذونه"^(٢٨٣)؛ لأنهم اعتقدوا أن السمرة هي شجرة العزى، وهذا هو دم العزى.

وقد اتخذ الجاهليون من الحيوانات ذات العلاقة بالجن وسائل وتعاويذ لدفع شرّها، من ذلك اعتقادهم "أن كعب الأرنب وسن الثعلب، وسن الهرة، وحيض السمرة من منفرات الجن، فقالوا من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين، ولا سحر، وقيل لم تصبه جنان الحيّ، ولا عُمار الديار، ولا شيطان الحماطة، ولا غول القفرة، وتطفىء عنه نيران السعالى ولا يُصيبه جان العشرة، وذلك لأن الجن تهرب من الأرنب؛ لأنها تحيض وليست من مطاياها"^(٢٨٤)، فكان لكعب الأرنب قوة سحرية تمنع وصول أي نوع من أنواع الجن، ولم يقتصر تعليقها على المريض، وإنما علقوها على السليم دفعاً للأذى، وعلى المريض أملاً بالشفاء، ويقول الفلقشندي " وكانوا يزعمون أن الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفه، فعلق عليه شيء من ذلك سلم من أفته، وأن الجنية إذا أرادت أن تقدر عليه"^(٢٨٥)، ولا تزال هذه العادات الأسطورية القديمة، منتشرة في بلادنا، كتعويذ الطفل من العين بخرزة زرقاء، وكف عليها شعار "عين الحاسد تبلى بالعمى"، الذي يماثله تعويذ الأطفال بسن ثعلب وسن هرة.

- 282

- 283

- 284

- 285

ومن معتقدات الجاهليين تجاه السليم تعليق الحليّ والجلجل عليه؛ ليشفى بذلك، حتى لا ينام بوجودها، ولا يستطيع السمّ السريان في جسمه فيهلك، وللمادة المصنوع منها الحلي أثر في الحياة والموت؛ "فإن كانت الحلي ذهباً شفي، وإن كانت رصاصاً مات"^(٢٨٦).

ومن المنفردات التي استخدمها العرب، ليحفظوا أبناءهم من أعين الإنس والجن "عادة تغريب الأسماء، فقد قال عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي أنّ بعض العرب قال لأبي: إذا ولد لك ولد فنقر عنه، فقال له أبي: وما التنفير؟ قال: "غرّب اسمه، فولد له ولد، فسماه قنفذاً، وكناه أبا العداء"^(٢٨٧)؛ وذلك لأن القنفذ من مطايا الجن، فيعتقدون أنها لا تؤذيه، فالتنفير إذن تسمية الأبناء أسماء غريبة، ولا سيما حيوان تركبه الجن؛ لتنفّر منها الجن، ولا تقترب منه، ومن هنا جاءت أسماء القبائل كلب وثور وضب وأسد وغيرها^(٢٨٨).

ومن معتقداتهم "أن الملك غير منتسب إلى الإنس، وإنما هو ملك نزل من السماء، وفعاله عظيمة لا يقدر على مثلها أحد"^(٢٨٩) "وأن أبطال الملاحم كائنات إنسانية ذوو قدرات خارقة لمعاونة الآلهة وأشباه الآلهة لهم"^(٢٩٠)، لذلك اعتقدوا "أن دماء ساداتهم شفاء من الكلب"^(٢٩١)؛ فكانوا إذا أصاب الرجل الكلب، قطروا له دم رجل من بني ماء السماء؛ كي يطردوا الأرواح الشريرة عنه^(٢٩٢).

واعتقدوا "أن شرب دم الملوك يشفي من الخبل"^(٢٩٣)؛ مما يثبت "أنّ الملوك والرؤساء والأبطال والسادة يمتلكون قوى سحرية، يستطيعون بها دفع الأذى والمرض عن المريض"^(٢٩٤)، وبلغ بهم الحد إلى تقديس هذه الفئات من الناس.

286	/	/	/	-
287	/	/	/	-
288	/	/	/	-
289	/	/	/	-
290	/	/	/	-
291	/	/	/	-
292	/	/	/	-
293	/	/	/	-
294	/	/	/	-

وكانوا يخشون الظواهر الطبيعية؛ لما فيها من أرواح شريرة وشياطين؛ فقد وقفوا
بخشوع للهلال عند ظهوره، وسجدوا للشمس عند طلوعها، وتوسطها وغروبها، فكأن الشيطان
يقارنها في هذه الأوقات؛ ليمنعهم من عبادتها والسجود لها، وتقع عبادتهم وسجودهم له وليس
لها^(٢٩٥).

وقد أثبت الرسول الكريم ذلك، بقوله عن الشمس "إنها تطلع بين قرني شيطان، وتغرب
بين قرني شيطان"^(٢٩٦)، وتتجلى مظاهر خوفهم من الظواهر الكونية في عبادتهم لها، وخاصة
البرق فقد عبدوه؛ معتقدين أن فيه قوى خفية تتحكم في سقوط المطر، فكانوا إذا امتنع المطر
يتقدمون له بأنواع الشعائر لاستنزاله، وقد أشار الجاحظ إلى ذلك بقوله: "كانوا إذا تتابعت عليهم
الأزمات، وركد عليهم البلاء، واشتد الجذب، واحتاجوا إلى الاستمطار، اجتمعوا، وجمعوا ما
قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذناها وبين عراقيبها السلع"^(٢٩٧)، و العُشُر^(٢٩٨)، وصعدوا بها
جبالاً وعرأ، وأشعلوا فيها النيران، وضجوا بالدعاء والتضرع؛ لأنهم يرون أن ذلك من أسباب
السقيا^(٢٩٩)، وتشير بعض المصادر إلى أنهم "كانوا يُصعدون البقر في جهة الغرب دون الجهات
الأخرى، وذلك كي تقترب من الآلهة التي تسكن السحب الغربية، حيث تثور الأمطار، وهي جهة
الجن والشياطين"^(٣٠٠). وقد عللوا إضرار النيران في أذناها البقر، بقولهم: "إنما فعلوه على سبيل
التقاؤل؛ لأن النار إشارة إلى البرق، والبرق مجلبة للمطر"^(٣٠١)، ومهما يكن فإن هذه الطقوس ما
هي إلا تطوراً لطقوس واحتفالات قديمة، تتصل بالاستسقاء، وعباده الثيران المقدسة، وكون الثور

295 - / "

296 - :

297 - : () .

298 - : () .

299 - / /

300 - /

301 - - :

رمز الخصب والخير والعطاء..^(٣٠٢) واعتقد العرب الجاهليون أنّ في النيران قوى سحرية قادرة على إشفاء المرضى، من ذلك "نار السليم التي توقد للملذوغ والمجروح ومن عضه الكلب؛ لكي لا ينام، فيشتد به الألم فيهلك"^(٣٠٣)، ومما يؤكد القوى السحرية الموجودة في النار، "ما زعموه في العزى أنها رمّت خالد بن الوليد بالشرر، وقذفته بنيرانها الكامنة فيها، وقالوا: إنّها عقوبة على ترك عبادتها وإنكارها"^(٣٠٤)، وكذلك ما وردَ عن نار السعالي والجن والغيلان التي توقدها- على حدّ زعمهم- للعبث والتخيل، وإضلال السابلة، وأنها ترفع للمتفقر ويتبعها؛ فتهلكه وتهوي به الغول^(٣٠٥).

ويعدّ الوشم واحدة من التعاويذ التي مارسها العربي، لطرد الأرواح الشريرة، ودفعاً لأذاها، مما يؤكد "أن الوشم هو إفراز لعالم السحر، والغيب المجهول"^(٣٠٦)، فوصف بقايا الديار بالوشم ما هو إلا "تعويذة سحرية تحمي الطفل من الزوال والاندثار"^(٣٠٧)، ويؤكد ذلك نهي الرسول "عليه السلام" عنه بقوله "لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة"^(٣٠٨).

ومن معتقداتهم "أن الجبال كانت مسكونة بالأرواح التي قد تسبب الأذى لمن لا يعمل على اتقاء أذاها، وترضيئها"^(٣٠٩)، لذا نظروا إليها نظرة مقدسة ممزوجة بالخوف، ومن مزاعم العرب "أن الجن تركب الثيران، وتصدّها عن الماء حتى تمسك البقر عن الشرب فتهلك؛ لذلك يضربون الثور إذا امتنعت البقر عن الشرب، كي تهرب الجن ويشرب، فتلقه البقر"^(٣١٠)، ويرون أن الشيطان يركب قرني الثور؛ "فاتخذوا من الثيران تعويذة سحرية في طقوس

302 -

303 -

304 -

305 -

306 -

307 -

308 -

309 -

310 -

الاستسقاء"^(٣١١)، وكانوا يضعون في الواحات جمجمة ثور قائمة على مداخل البيوت، أو على الجدران المحيطة ببساتين النخيل؛ لحمايتها من الحسد، وهذا يُدلل على عبادة الثيران التي تجمع بين السحر والدين"^(٣١٢)، وعلى ما يرمز إليه الثور من الخصب و الحياة والقوة وعلاقته بالشيطان.

كما اعتقدوا أن الأشجار مسكونة بالجن والملائكة، لذلك حرّموا قطع أغصانها، وكانوا يحجون إليها، ويتقربون منها بالضحايا، ويعلقون على أغصانها اللحم والخرز، ويعتقدون بقدرتها على شفائهم من الأمراض"^(٣١٣)، وساد الاعتقاد عندهم أن قطع الأشجار المسكونة، سوف يؤدي إلى غضب الأرواح، بخروجها من مسكنها- كما فعلت العزى- التي خرج منها عند قطعها شيطانة"^(٣١٤)، وكانوا يتقربون إليها بالقرابين والندور؛ اتقاء لشرها، ويندرج تحت هذا المعتقد ما يسمى بـ "تعقاد الرتم"؛ وهو أن الرجل إذا عزم على سفر، كان يعمد إلى شجرة؛ فيعقد غصنين منها، أو يعقد خيطاً في غصن شجرة أو ساقها، فإذا عاد ووجد الخيط على حاله، علم أن زوجته حفظت غيبته، ولم تخنّه، وإن لم يجده، أو وجده محلولاً، قال إنها خانته، وهذا ما يسمى بالرتم أو الرتيمة، ويعزون ذلك إلى الجن والأرواح الخفية التي تسكنها"^(٣١٥)، "فكان العربي يجعلها رقيباً وحارساً على زوجته في مدة غيابه"^(٣١٦).

ومن الطقوس التي مارسها الجاهليون، وكان لها علاقة بالجن أنهم كانوا "إذا دَخَلَ أحدهم قرية، وخاف من جن أهلها، أخذ يعشّر كما يعشّر الحمار في نهيقه، ثم دخلها، ولم يصبه

_ 311

_ 312

_ 313

_ 314

_ 315

_ 316

شيء" (٣١٧)، وقد يكون سبب التعشير كون الحمار ينهق إذا رأى شيطاناً، بدليل ما ورد عن النبي "عليه السلام" قال: "إذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوزوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً" (٣١٨).

وكان الإنسان الجاهلي "إذا ضلّ بالصحراء رغم خبره بها، ينسب ضلاله إلى قوى خفية شريرة، فأخذ يتعوذ منها بإسلوب معين، كأن يقلب قميصه، ويصفق بيديه، كأنما يومئ إلى إنسان ليهديه" (٣١٩)، وقد يكون ذلك من باب التسلية لنفسه، بسماع صدى يديه؛ أو ليتوهم أن إنساناً يسمع تصفيقة يديه، فيسرع إليه؛ ليعينه، أو لتهرب القوى الخفية؛ لأن الشياطين تهرب من الصوت والضجيج (٣٢٠)، ويقترب من هذا ما كان يفعله برقية الحيوان؛ كي يهتدي إلى طريقه بعد ضلال، فيقول متعوذاً صائحاً في أذن ناقته "الوحا الوحا، النجا النجا، العجل العجل، الساعة الساعة، فكانه يتعوذ بذلك من شرّ الضلال ومغيبته" (٣٢١)، فكانه بذلك يضمن الهداية إلى طريقه.

ومن العادات القديمة الجاهلية التي يقوم بها الكاهن والساحر "معالجة المرضى، بواسطة السحر بالنفث على المريض أو في فمه، وبإمساك رأسه أو الجزء المريض، لقراءة شيء عليه يضمن شفاؤه" (٣٢٢)، وهي طريقة من طرق السحر الجاهلي، دلت عليها الآية القرآنية

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ السَّاحِرُ بِطَرَفَيْهِ فَحَبِّطْهُمَا ۖ بَلِّغْ صَوْتَهُمَا ۚ وَاتَّقِ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالَّذِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾

وكان الساحر يشفع سحره بطقوس، أو بحركات خاصة، وبتمتة تلقي في الروع أن الساحر يقول شيئاً، ويخاطب أشخاصاً هم الجن، واعتقدوا " بالتنبؤ بالتفرس في الأشباح التي تظهر على الماء، أو الزيت المصبوب في الأقداح، أو الحركات

317 -

318 -

319 -

320 -

321 -

322 -

323 -

التي تظهر على سطح السائل بعد رمي شيء منه؛ لمعرفة الأسرار والمغيبات والأجرام كالسرقات"^(٣٢٤).

"وكانوا يعتقدون بالمسخ وهو تحويل صورة إلى أخرى أقبح منها، وتحويل إنسان إلى حيوان أو حجر، ولهم اعتقادات في مسخ الأطفال، وتبديل الجن لهم بأولادهم ذوي العاهات، وقد زعموا أن اللات صنم ثقيف، كان في الأصل يهودياً، يلت السويق"^(٣٢٥) في (الطائف)، فمسخ حجراً، عبداً، فصار (اللات)"^(٣٢٦)، ومن العادات التي مارسوها، "أنهم كانوا إذا بلغت إبليس الألف، فقأوا عين الفحل، فإن زادت الإبل على الألف فقأوا العين الأخرى"^(٣٢٧)، ويرى النحيمي أن هذه المعتقدات، لا بد أن يكون لها امتدادات أسطورية ضاعت أصولها، ترتبط بالقوى الخفية من الجن والشياطين؛ لكون هذه القوى قاسماً مشتركاً بينها"^(٣٢٨)، ومن طقوس التطهير الجماعية التي كانوا يمارسونها بهدف طرد الشر والشؤم والأرواح الشريرة عن كل من القبيلة والمدينة معاً، ما ذكره ابن الكلبي في معرض حديثه عن محاولة اتقائهم شؤم الغراب، "أن قبيلة "عك" كانوا إذا خرجوا حجاجاً، قدّموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم يصيحان: نَحْنُ غُرَابَا عَكِّ !

فتقول عكّ من بعدهما: عَكُّ إِلَيْكَ عَانِيَةٌ عَبَاذُكَ الْيَمَانِيَّةُ

كَيْمَا نَحْجُ الثَّانِيَّةُ عَلَى السَّدَادِ الْمُنَاحِيَّةِ"^(٣٢٩)!

مما يؤكد تشاؤمهم من الغراب، وحرصهم على لفت أنظار الأرواح الشريرة إلى هذين الغرابين عن القبيلة، وهذا يؤكد ما ذهب إليه بعض المعتقدات الشعبية من "أن الشيطان يظهر في هيئة غراب، وأن بعض الغربان تقوم بمهمة رسول إبليس"^(٣٣٠).

324	/	
325	:	()
326	/	
327	/	
328		
329	:)
330	- -	(

ومن عاداتهم أنهم كانوا "إذا وقع العرّ في إبلهم، اعترضوا بغيراً صحيحاً لم يقع ذلك فيه، فكوا مشفره وعضده وفخذه كي يَشْتَمَّ رائحته بريء؛ فيبرأ، وربما زعموا أنه يؤمن معه العدوى"^(٣٣١).

ومما يؤكد علاقة الجن بالحية، "اعتقادهم أن الحيات كانت مصدر مساعدة أو تهديد؛ اعتماداً على طبيعة الأرواح التي تحملها، ونوايا الناس التي تواجههم"^(٣٣٢)؛ فهي تكافئ من يفعل خيراً معها، ولا

تنسى ذلك، كما حدث مع عبيد بن الأبرص والشجاع^(٣٣٣).

نخلص من ذلك إلى أن العربي في عبادته للآلهة الممثلة في الجن والشياطين أحياناً والقوى الخفية، ورهبته منها، وتقديسه للظواهر الكونية والمظاهر الطبيعية؛ إنّما هو ساع إلى تحقيق رغباته، ودفع الأذى عنه، وتبديد مخاوفه وقلقه، فإذا ما تكفل أشخاص بعينهم بتلبية تلك البواعث، عظموا في نفسه، فلا عجب أن يكفل لهم الثناء، ويحيطهم بهالة من التعظيم، شأنهم في ذلك شأن آلهته ومعبوداته، وأن يحلّ الشعر محلّ التراتيل والأدعية، ويحلّ أصحاب الفضيلة محلّ الآلهة، فكانه في شعره يتوسل إليهم.

وقد سيطر الفكر الأسطوري على كل مناحي الحياة، فأخذ الإنسان يفسرها ويعللها، ويمنح المعتقدين بها الأمن الروحي، والاستقرار النفسي في عالم مليء بالمخاوف والأشباح، مهدداً بالجفاف والسيول، محاطاً بالفتك والقتل، تدبُّ في مسالكه الحيّات الرهيبة، وتتشكل في عتمة الكثبان الغيلان والشياطين، وتهتف في الفراغ المخيف الجنان والهواتف، فحفلت قصصهم بأخبار عجيبة لسدّ حاجاتهم الروحية، وملء فراغهم النفسي، والتخفيف من التوتر والقلق، وبعث الطمأنينة والراحة النفسية، ومدّهم بالقوة والقدرة، ثم المقاومة والبقاء التي يبحثون عنها^(٣٣٤).

331 - /

332 - :

333 - /

334 - :

الفصل الثاني

الجن بين اللغة والاصطلاح

المبحث الأول: الجن في المفهوم اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الثاني: أصناف الجن ومراتبها.

المبحث الثالث: تشكيلات الجن وتلوناتها.

المبحث الرابع: أشكال الجن وصورها.

المبحث الخامس: أنواع الجن.

المبحث الأول

الجن في المفهوم اللغوي والاصطلاحي

تدور الدلالة اللغوية المحورية للفعل (جَنَّ) حول معنى التستر والاختفاء، نقول: جَنَّ الشيءُ يَجْنُهُ جَنًّا: ستره، وبه سُمِّيَ الجِنُّ؛ لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجنين؛ لاستتاره في بطن أمه، واستجَنَ فلان إذا استتر بشيء، وَجَنَّ المَيْتَ جَنًّا، وَأَجَّنَهُ: ستره.

والجَنَانُ هو القلب؛ لاستتاره في الصدر، وربما سُمِّيَ الروحُ جَنَانًا؛ لأن الجسم يَجْنُهُ، والجِنَّةُ ما وراك من السلاح، واستترت فيه، والجِنَّةُ: السُّرَّةُ، والجِنَّةُ: الخُرقة تلبسها المرأة، فتعطي رأسها.

ويفيد الفعل (جَنَّ) معنى الجدَّة والنشاط والالتفاف، وَجَنَّ الشَّبَابَ: حدَّته ونشاطه، وَجَنَّ أولُ شيءٍ: هو شدَّته، وَجُنَّتْ الأرضُ: إذا جاءت بشيءٍ مُعْجَبٍ، وَجُنُونُ النَّبْتِ: التفافه، وأرض مَجْنُونَةٌ: مُعْشَبَةٌ، لم يرعها أحد، والجِنَّةُ: البستان، والعربُ تسمي النخيل جِنَّةً (335) قال زهير (336):

كَأَنَّ عَيْنِي فِي عَرَبِي مُقْتَلَةٍ مِنْ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جِنَّةً سَحْقًا (337)

(البسيط)

والجِنُّ: ولد الجَانِّ، وهم نوع من العالم سُموا بذلك؛ لاختفائهم عن الأبصار، ولأنهم استَجَبُوا، فلا يُرَوْنَ، والجَانُّ: أبو الجِنِّ، خلق من نار، ثم خلق منه نسله، والجَانُّ: ضرب من الحَيَاتِ، أكحل العينين يضرب إلى الصفرة، لا يؤذي، وهو كثير في بيوت الناس (338).

335 - () .

336 - :

337 - () .

338 - () .

وكلُّ مُسْتَجِنٍّ، فهو جَيٌّ، وجَانٌّ، وَجَنِينٌ، ويقالُ جَنَّهُ اللَّيْلُ، وأَجَنَّهُ، وأَجَنَّهُ عَلَيْهِ، وَغَطَّاهُ،
بمعنى واحد، إذا ستره، وكان أهل الجاهلية يسمون الملائكة جِنًّا؛ لاستتارهم عن العيون (٣٣٩).

وقد وردت بهذا المعنى في شعر البريق إذ يقول: (٣٤٠)

(المتقارب)

وماءٍ وَرَدَّتْ عَلَى خَيْفَةٍ وَقَدْ جَنَّهُ السَّدْفُ الْأَدْهَمُ

ويقال: هو جَنَّةٌ عَلَى خَيْفَةٍ وَمَحَاذِرَةٍ. وقد عرّف الدميري الجن، بقوله: "هي أجسام هوائية، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لها عقول وأفهام، وقدرة على الأعمال الشاقة" (٣٤١). ويتطورون ويتشكّلون في صور الإنس والبهائم، ويرى الشبلي أنهم "يتصورون في صور الحيات والعقارب وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل، والبغال والحمير والطيور" (٣٤٢)، ويقول القزويني: "زعموا أن الجن حيوان ناري... من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة، واختلف الناس في وجوده، فمنهم من ذهب إلى أن الجن والشياطين مرده الناس، ومنهم من ذهب إلى أن الله تعالى خلق الملائكة من نور النار، وخلق الجن من لهبها، والشياطين من دخانها، وأن هذه الأنواع لا يراها الناظر" (٣٤٣).

أما المسعودي فيقول: "إنَّ الله خلق الجانَّ من سموم النار، وخلق منه زوجته، وأنَّ الجانَّ غشيها، فحملت منه، وأنها باضت إحدى وثلاثين بيضة... وأن الأبالسة من بيضة، منهم الحارث ابن مرة، وأن مسكنهم الجزائر، وأن الغيلان من بيضة أخرى، وسكنوا الحمامات والمزابيل، وأن الهوام من بيضة أخرى، وسكنوا الهواء في صورة الحيات ذوات الأجنحة، وأن بيضة منها تخلقت عن قطربة، وهي على صورة الهرة" (٣٤٤).

339 - () .

340 - :

341 - :

342 - / .

343 -

344 - / .

ولم تختلف صورة الجن في الذهنية الإسلامية عنها في الجاهلية، إذ أشار القرآن الكريم إلى أن الجن مخلوقات شفافة يرون الناس، ولكن الناس لا يرونهم، وذلك في قوله تعالى:

﴿لَا يَرَوْنَ النَّاسَ وَالنَّاسُ لَهُمْ شَافِعُونَ﴾ (٣٤٥)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٣٤٦)

وأثبتت الآيات القرآنية أن الجن مخلوقات نارية، خلقت قبل آدم عليه السلام، وذلك في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٣٤٦)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٣٤٦)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٣٤٦)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٣٤٦)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٣٤٧)

وهكذا تبدو صورة الجن، مخلوقات شبحية نارية، سريعة التنقل والحركة، تنتمي إلى عالم غيبي، تعيش تحت الأرض، وتحب زيارة الأرض ليلاً، وخاصة الأماكن المهجورة والمقابر، وهي جنس يقابل الإنس من ناحية، وتشمل الملائكة والشياطين والغول والسعلاة... وكل ما لا يقع عليه البصر من ناحية أخرى، ويؤكد ذلك قول ابن عباس "الخلق كلهم أربعة أصناف، فخلق في الجنة كلهم، وهم الملائكة، وخلق كلهم في النار، وهم الشياطين، وخلق في الجنة والنار، وهم الجن والإنس". (٣٤٨)

ويبدو أن تعدد التعريفات والتصورات السابقة للجن، توحى بطبيعة العصر الثقافية الذي قيلت فيه، وثقافة المؤلف كذلك، فبينما يقترب الدميري من التعريف الموضوعي للجن؛ لكون كتابه يقترب من الموسوعة العلمية عن الحيوان، فإن الشبلي يتوسع بتعريفه للجن متأثراً بالثقافة الدينية التي اُتسم بها كتابه، أما القزويني، فيعتمد إلى الجمع بين آراء من سبقه الحديث عن الجن،

345

346

347

348

ويغرق المسعودي في الحديث عن أصل الجن وخلقهم، معتمداً في ذلك على الحكايات،
والخرافات الواردة في الإسرائيليات.

ويرى سمث "أن الجن ليست أرواحاً خالصة، بل هي أجسام أكثر شبيهاً بالحيوان، منها
بالناس، وأجسامها ليست وهمية؛ وذلك لأن الجنَّ إذا قتل صار رفاته جسداً صلباً"^(٣٤٩)، وقد
اعتقد سمث بطوطمية الجن عند العرب، في حين خالفه بعض كتاب العربية، أمثال الجاحظ
ومحمد عبد المعيد خان، الذين رأوا أن الجن لم يكن طوطماً عند العرب، مع وجود ما يشير إلى
ذلك، كعبادة الجن، ونسبة كثير من القبائل إليها؛ لأنَّ الجنَّ مخيف ومنقر للناس، يستعيذون منه،
ولم يروا فيه خيراً، فهو يمثل قوة الشر^(٣٥٠)، ورغم تلك الأدلة على حيوانية الجن، إلا أنها -في
الأغلب- مخلوقات مستترة قادرة على التصور بصور الحيوانات، ولها علاقة قوية ببعضها،
وتدخل في عالم الماورائيات المرعب، كان لطبيعة الصحراء، وما فيها من تغيرات، تأثير
الرعب والقلق، دور كبير في الاعتقاد بها.

_ 349

_ 350

المبحث الثاني

أصناف الجن ومراتبها

ذكرت بعض المظان العربية أصناف الجن، فقال أبو القاسم السهلي "الجن ثلاثة أصناف، كما جاء في حديث، صنف على صور الحيات، وصنف على صور الكلاب، وصنف ريح طيّارة أو قال هفافة ذو أجنحة وزاد بعض الرواة صنفاً يحلون ويطعنون وهم "السعالى"^(٣٥١) وقال: "لعل هذا الصنف هو الذي لا يأكل ولا يشرب، إن صحّ أن الجن لا تأكل ولا تشرب، يعني الريح الطيارة"^(٣٥٢)، ويروى عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ما يثبت ذلك وهو "أن الجن ثلاثة أصناف، صنف حيات وعقارب، وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف كبني آدم عليهم الحساب والعقاب"^(٣٥٣).

ومما جاء في أصناف الجان، "أن الله تعالى خلق الجان من نار السموم، وخلق منه زوجته، كما خلق حواء وادم، وأن الجان غشيها، فحملت منه، وأنها باضت إحدى وثلاثين بيضة، وأن بيضة من ذلك البيض تفلقت عن قطربة، وهي أم القطارب، وأن القطرب على صورة الهرة، وأن الأبالسة من بيضة أخرى، ومنهم الحارث بن مرة، ومسكنهم البحر، وأن المردة من بيضة أخرى، ومسكنهم جزائر البحر، وأن الغيلان من بيضة أخرى، مسكنهم الخرابات والفلوات، وأن السعالى من بيضة أخرى، ومسكنها الجبال، وأن الوساويس من بيضة أخرى، سكنوا الهواء في صورة الحيات ذوات الأجنحة، يطرون هناك، ومن بيضة أخرى الدواسق، ومن أخرى الحماميص"^(٣٥٤).

وقد ذكر الدميري: "أنّ الجن يأكلون ويشربون، ويتناكحون، كما تفعل الإنس، وظاهر العمومات أن جميع الجن كذلك، وهو رأي قوم، ثم اختلفوا، فقال بعضهم: "أكلهم وشربهم تشمم

- 351

- 352

- 353

- 354

واسترواح، لا مضغ ولا بلع، وقال أكثرهم مضغ وبلع، وذهب قوم إلى أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون، وهذا قول ساقط، وذهب قوم إلى أن صنفاً منهم يأكلون ويشربون، وصنفاً لا يأكلون ولا يشربون، وأخرج ابن جرير عن وهب بن منبه، أنه سئل عن الجن: هل يأكلون ويشربون ويموتون ويتناكحون، فقال: هم أجناس. فأما خالص الجن فهم ريح، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يموتون ولا يتوالدون، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون، ويموتون ويتناكحون". (٣٥٥)

وقد اتضح من خلال قصة "جذع بن سنان الغساني" (٣٥٦) أنهم يأكلون ويشربون، لأنهم حلّوا ضيوفاً على الشاعر، وأكرمهم، ونحر لهم، ودعاهم إلى الطعام، إلا أنهم ترددوا في تناوله، فألحّ عليهم، وقال مصوراً ذلك: (٣٥٧)

(الوافر)

نَحَرْتُ لَهُمْ، وَقُلْتُ: أَلَا هَلَمُّوا كُلُوا مِمَّا طَهَيْتُ لَكُمْ سَمَاحَا

فَنَازَعَنِي الرَّجَاةَ بَعْدَ وَهْنٍ مَزَجْتُ لَهُمْ بِهَا عَسَلًا وَرَاحَا

فالشاعر يترك المجال مفتوحاً أمام القارئ، ولم يذكر إجابة الجن لدعوته، وما ذاك إلا ليبيّن اختلاف العرب في طعام الجن وشرابهم. ويشير إلى تلك المعتقدات شاعر آخر هو شمير ابن الحارث الضبي بقوله: (٣٥٨)

(الوافر)

فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ، فَقَالَ مِنْهُمْ زَعِيمٌ نَحْسِدُ الْإِنْسَ الطَّعَامَا

لَقَدْ فَضَّلْتُمْ بِالْأَكْلِ فِينَا وَلَكِنْ ذَاكَ يَعْقُبُكُمْ سِقَامَا

أَمِطْ عَنَّا الطَّعَامَ فَإِنَّ فِيهِ لِأَكْلِهِ النَّقَاصَةَ وَالسَّقَامَا.

355 -

/

:

356 -

:

.

/

-

-

-

357 -

.

/

358 -

.

/

-

/

/

فقد رفض ضيوف الشاعر تناول الطعام، وبينوا له سبب ذلك، فهم يحسدون الإنس، ويرون أن الطعام سبب المرض والمذلة، وهذا يثبت ما ذهب إليه الشبلي والدميري وغيرهم، من خلاف حول أكل الجن وشربهم.

ولم يكتف المؤلفون بذلك، بل أنزلوا الجن مراتب، فإذا ذكروا الجنيّ سالمًا، قالوا جنيّ، فإذا أرادوا أنه ممن سكن مع الناس، قالوا عامر، والجمع عمار، وإن كان ممن يعرض للصبيان، فهم أرواح، فإن خبث أحدهم وتعرّم، فهو شيطان، فإذا زاد على ذلك فهو مارد، فإن زاد على ذلك في القوة، فهو عفريت، والجمع عفاريت، فإن طهر ونظف ونقي فهو ملك^(٣٥٩)، "وجميعهم جنٌّ وخوافٍ"^(٣٦٠)، وقد عرض القرآن الكريم لكثير من هذه الأنواع، من ذلك مثلاً، قوله تعالى: " وحفظاً من كل شيطان مارد"^(٣٦١) وقوله تعالى: " قال عفريت من الجن"^(٣٦٢)، وقد أشار الشاعر أعشى باهله الى أن الجن هم الخوافي الذين لا يظهرون، بقوله مصوراً جرأته وقدرته على اقتحام الصحراء التي لا أثر فيها لغير الجن:^(٣٦٣)

(البسيط)

يَمْشِي بِيَدَاءَ لَا يَمْشِي بِهَا أَحَدٌ وَلَا يُحَسُّ خِلاَ الْخَافِي بِهَا أَثَرُ

وجاء في الأخبار أن الجن هم سكان الأرض، قبل النوع البشري، أربعون فرقة، كل فرقة ستمائة ألف، أكثروا في الأرض فساداً، وثاروا على الآلهة، فلاحقتهم الملائكة، وحرابتهم ثم سنتتهم، وطردهم إلى أطراف الجزائر المهجورة، بعد أن أسرت منهم الكثير، كل ذلك وأدم لم يخلق بعد^(٣٦٤).

وقد أشار بعض الكتاب إلى ملك الجن الأحمر أو الأحمر فقط، الذي يعد أحد ملوك الجن السبعة الذي يأتمر بأمره نفر كبير من الجن الحمر الذين يُعدُّون أشراً أنواع الجن، وأكثرهم أذى

359	- /
360	- /
361	-
362	-
363	-
364	- /

وأشدهم خطراً.^(٣٦٥)

والأعراب تجعل الخوافي والمستجنات، من قبل أن ترتب المراتب جنسين، يقولون جنٌ وحنٌّ،^(٣٦٦) بالجيم والحاء، وينشدون:^(٣٦٧)
(السريع)

أبيتُ أهوي في شياطينِ ثرنٍ مُخْتَلَفٍ نَجَواهُمُ حنٌّ وحنٌّ

والحنُّ بالكسر: حيٌّ من الجنِّ، يقال: منهم الكلاب السود البُهْم، وقيل: "الحنُّ: ضربٌ من الجنِّ وأنشد: "يلعبن حولي من حنٍّ وحنٍّ"، والحنُّ: سَفَلَةُ الجنِّ وضعفاؤهم، وقيل السود من الكلاب الجن، والبقع منها الحنُّ^(٣٦٨). والسودُ أقوى؛ لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية.

ثم صنّفوا الجن إلى حنٍّ، وهم ضَعْفَةُ الجنِّ، وحنٍّ، وهم يتفاوتون قوة، فمنهم الجنيُّ، وفوقه الشيطان... والجنُّ إذن فوق الجنِّ^(٣٦٩)، ويتضح ذلك من خلال قول أعشى سليم، نافياً كونه من الجن، حتى ولو كان خافياً، مما يثبت أن هناك من الخوافي، ما هو أعلى مرتبة من الجن:
(٣٧٠)

فما أنا من جنٍّ إذا كُنْتُ خَافِيَا وأَسْتُ من النَّسْأَسِ في عُصْرِ البَشْرِ (الطويل)

ولم يكتفوا بذلك، بل جعلوا الجن قبائل وعشائر، ولهم سادة ورؤساء وعظماء، ومن قبائلهم "بنو غزوان"^(٣٧١)، ومنهم "بنو الشيصبان"، وهم أكثر الجن عدداً وأقواهم شوكة^(٣٧٢)، وهم عامة جنود إبليس الذين كان لحسان بن ثابت صاحبٌ منهم، فهو يقول:^(٣٧٣)

365	:	
366	/ /	
367	:	- -
368	/ /	/ :
369	/	.
370	/	
371	:	- - ()
372	:	/ .

وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْصَبَانِ فَطُورًا أَقُولُ وَطُورًا هُوَ (المتقارب)

ومن قبائلهم بنو زبيعة الجني، وهم أصحاب الرهج والقتام والتنوير، يقول الراجز في ذلك: (٣٧٤)

إِنَّ الشَّيَاطِينَ أَتُونِي أَرْبَعَةً فِي عَبَشِ اللَّيْلِ، وَفِيهِمْ زَوْبَعُهُ (الرجز)

ومن القبائل "آل العذام" الذين كانوا بأرض الشام، وكان منهم "شصار" رئي "خنافر الحميري"، ومن قبائلهم، بنو مالك^(٣٧٥)، ومنهم "بنو أقيش" الذين ذكرهم النابغة في شعره، وذلك بقوله واصفاً فرسه: (٣٧٦)

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَقِيشٍ يُفَعِّعُ خَلْفَ رَجْلَيْهِ بِشْنٍ^(٣٧٧) (الوافر)

وقد ذكرهم لبيد بن ربيعة بقوله: (٣٧٨) (الوافر)

كَأَنِّي فِي نَدْيِ بَنِي أَقِيشٍ إِذَا مَا جُنْتُ نَادِيَهُمْ نُهَالٍ^(٣٧٩)

وهذا الأعرابي يذكر اسم شيطانه في شعره، فيقول: (٣٨٠)

دَعَوْتُ خَلِيلِي مَسْجَلًا وَدَعَا لِي جُهْنَامَ جَدْعًا لِلْهَجِينِ الْمُدَّمِّ (الطويل)

ومن الشياطين الذين ذكرت أسماؤهم في الجاهلية "دحرش" الذي كان أباً لقبيلة من الجن، ومن الشياطين الذين ذكروا في الإسلام، وقد نصيبين الذين أتوا مكة إلى رسول الله

373	:	- -
374	/	.
375	/	.
376	:	-
377	:	.
378	:	-
379	:	.
380	:	.

"صلى الله عليه وسلم" ، وجنُّ نينوى الذين أتوه بنخلة^(٣٨١)، وأشار الشعراء إلى الزواج المركب الذي تم بين الإنس والجن، فنسبت بعض القبائل باسم الجن، مثل بني يربوع الذين تسموا ببني السعلاة،

وهذا ما جاء في هجاء علياء بن أرقم لبني تميم : (382)

(الرجز)

يا قاتلَ اللهَ بَنِي السَّعْلاةِ عَمْرَوَ بْنَ يَرْبُوعَ شِرَارَ النَّاتِ

ليسوا بأبطالٍ ولا أكياتِ

وجاء في قصة بلقيس "أن والدها تزوج امرأة من الجن، يقال لها: "ريحانة بنت السكن"، فولدت بلقيس، وتسمى (بَلْقَمَة)"^(٣٨٣)، ويؤكدون ذلك، بأنهم يزعمون أن للجن أنساباً وصلات قرابة، وروابط أسرية وعلاقات أخوية، وليست مخلوقات، لا يعرف لها نسب أو أصل، فقد ورد في قول جذع بن سنان الغساني: (٣٨٤)

أَتَانِي "قَاشِرٌ" وَبَنُو أَبِيهِ وَقَدْ جَنَّ الدُّجَى وَاللَّيْلُ لَاحَا (الوافر)

فالشاعر يبين النظام الأسري الاجتماعي للجن، إذ كان لهم زعيم ينوب عنهم، ويأثمرون بأمره، شأنهم في ذلك شأن الإنس، لا يخرجون إلا جماعات. ويضرب على الوتر نفسه الشاعر شمير بن الحارث الضبي، بقوله: (٣٨٥)

أَتُوا نَارِي فَفَلْتُ: مَنُونٌ؟ قَالُوا: سُرَاهُ الْجِنِّ، قُلْتُ: عَمُوا ظَلَامَا (الوافر)

ويكشف البيت نفسه عن إيمان راسخ بطوائف الجن، ذوات الحيوانات المستقرة، فمنها جن المدر، وخن الوبر، ومنها من يسير ليلاً، ومن يسير نهاراً، فقد كان ضيوف الشاعر من سادة

- 381

- 382

- 383

- 384

- 385

الجن. وقد أورد الجاحظ قصة "سعيد بن خالد" الذي كان يموت نصف سنة، ويصحو نصف سنة، فلما سئل، أجابت امرأة على لسانه: "أنا رُقِيَّة بنتُ ملحان سيِّد الجن" (٣٨٦)، مما يؤكد أن لهم سادة وزعماء ورؤساء.

وزعموا أن شياطين بعض المناطق أكثر عدداً وقوة من غيرها، فقالوا: "إن العدد والقوة في الجن والشياطين لنازلة الشام والهند، وأن عظيم شياطين الهند، يقال له تنكوير، وعظيم شياطين الشام، يقال له دركاذاب" (٣٨٧).

نلاحظ أن عالم الجن - فيما زعم الجاهليون- أشبه ما يكون بعالم البشر، خاصة بالعرب، فيهم قبائل وعشائر، ولهم زعماء وسادة، يتحالفون ويتفخرون.

- 386 / .
- 387 / -

المبحث الثالث

تشكلات الجن وتلوناتها

ورد في تعريف الجن " أنها أجسام هوائية، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة"^(٣٨٨)، فهي غير متحددة بهيئة واحدة، وإنما يتطورون، ويتشكّلون في صور الإنس والبهائم، "فيتصورون في صور الحيات والعقارب، وفي صور الإبل والبقر، والغنم والخيل، والبغال والحمير والطير"^(٣٨٩). فقد ظهر إبليس بصور متعددة، فتارة في صورة "دحية بن خليفة الكلبي"، وأخرى في صورة "سُرّاقة بن مالك بن جعشم"، ويروى أنه تمثّل في صورة شيخ نجدى، وجاء قریشاً بهذه الهيئة.⁽³⁹⁰⁾

كما يروى أنه تصور لفرعون بمصر في الحمام بصورة الإنس، فأنكره فرعون، فقال له إبليس: ويحك، أما تعرفني؟ قال: لا، قال: فكيف وأنت خلقتني، ألسنت القائل: أنا ربكم الأعلى؟^(٣٩١). ويثبت ذلك ما ذكره عمار بن ياسر عن نفسه، قائلاً: "أرسلني رسول الله إلى بئر استقي منها، فرأيت الشيطان في صورته، فصار عني فصرعته، ثم جعلت أدمي أنفه بفهر كان معي أو حجر".^(٣٩٢)

وتبدو الحية بصورة الرئي الذي يخبر حجراً "أكل المرار" بما حاولت امرأته إخفاءه عليه، إذ ورد " أنه كان نائماً في يوم البردان، فإذا بثعبان أسود يظهر، وزوجه تراه، فيهبوي عليه يريد عضّه، وهو يتحرك فلا ينيله من نفسه، والمرأة لا تزال ترى، وترجو أن يتم العض؛ ليموت الملك كما تريد، حتى إذا رأى الثعبان عسّ الملك المملوء لبناً، سعى إليه، وشربه ثم مجّه، فقالت: يستيقظ، فيشرب، فيموت، فأستريح، ولما انتبه حجر جَلَب العسّ، ولم يكد يرفعه إلى

388 - /

389 - /

390 -

391 - () :

392 - /

شفتيه حتى اضطربت يده، وأريق اللبن، فنظر إليها؛ ليسألها عن الثعبان، أين ذهب، فقالت ما رأيته، فقال: كذبت والله؛ فيبدو أنه تكهن، أو لعل الثعبان كان رثيه فأخبره^(٣٩٣).

ويتضح ذلك من خلال قصة عبيد بن الأبرص الذي لاقى شجاعاً، يتقلب في الصحراء، فسقاه ماء، ثم مضى في طريقه، فأضاع بعيره، فقدم له الشجاع بعيراً؛ ليركبه ففعل، وعندما سأله عن نفسه، أجابه: (٣٩٤)

(البسيط)

أنا الشُّجَاعُ الَّذِي أَلْفَيْتُهُ رَمِضًا فِي قَفْرَةٍ بَيْنَ أَحْجَارٍ وَأَعْقَادٍ

فقد تمثل له الهاتف بصورة شجاع، مما يؤكد إمكانية تلون الجن وتشكلها. ويؤكد تلك الإمكانية ما حدث مع (مالك بن حريم الدلاني) وجماعته الذين أثاروا شجاعاً، فأقبل حتى دخل رحل مالك، واستنجد به، فأنقذه مالك، وأخلى سبيله، فما كان من الشجاع إلا أن أرشدهم إلى موضع الماء، وقال معرفاً بنفسه: (٣٩٥)

(البسيط)

أنا الشُّجَاعُ الَّذِي أُنْجَيْتَ مِنْ رَهَقٍ شَكَرْتُ ذَلِكَ، إِنَّ الشُّكْرَ مَقْسُومٌ

ويبدو ذلك من خلال ما كانوا يقدمونه من قرابين للحية إذا اعتل أحدهم، واعتقدوا أن به مساً من الجن؛ لأنه قتل الحية^(٣٩٦)، ويتجلى ذلك من خلال قصة أمية بن أبي الصلت، عندما قتل وجماعته حية اعترضت طريقهم، فاعترض طريقهم حية ثانية، فنقرت إبلهم، وبقوا على هذه الحال، حتى رأى أمية بن أبي الصلت شيخاً، فشكا إليه حاله، وكان جنياً.. فعلمه عبارة يقولها للحية إذا عادت، وهي (باسمك اللهم) فكان كما قال له^(٣٩٧)، وهذا يثبت أن الجن تتشكل في صورة الحية، ويؤكد ذلك أن الجن قتلت حرب بن أمية ثأراً للحية، وقالت فيه شعراً.

- 393

- 394

- 395

- 396 - المصدر نفسه، ٣٥٩/٢، المفصل في تاريخ العرب، ٨١٢/٦.

- 397

ويبدو الجن في صورة شق له يد واحدة، وعين واحدة، ويتضح ذلك في قصة علقمة ابن صفوان الذي تعرّض له الجن في صورة شق، في موضع يقال له (رحا حرمان) وكان معه سيف

وأخذ يقول: (٣٩٨)

عَلَقَمُ إِنِّي مَقْتُولٌ وَإِنَّ لِحَمِي مَأْكُولٌ

أَضْرِبُهُمْ بِالْهُدْلُولِ ضَرْبَ غُلَامٍ شَمْلُولِ

رَحْبَ الدَّرَاعِ بُهْلُولِ

فقال له علقمة: يا شِقُّ ما ليَ ولكَ اغمِذْ عني مُنْصَلِكِ

تَقْتُلُ مَنْ لَا يَفْتُلُكَ

فقال شق: عَبَيْتُ لَكَ ، عَبَيْتُ لَكَ كَيْمَا أُبِيحُ مَقْتَلَكَ

فاصبر لِمَا قَدْ حَمَّ لَكَ

فضرب كل واحد منهما الآخر، فخراً ميتين.

وزعموا أن الغول سُميت بذلك؛ "لأنها تتغول لهم، أي تتلون، وتتشكل بصور شتى، أو لأنها تغتالهم"^(٣٩٩)، قال كعب بن زهير في وصف تلون امرأة: (٤٠٠)

فما تدومُ على حالٍ تكونُ بها كما تَلَوْنَ في أثوابها الغُولُ (البيسط)

وهذا التلون وإن كان وهمًا وخيالاً، فإنه لا شك يعكس تصورات العرب الجاهليين للغول، ويتفق مع هذا، ما ورد عن عباس بن مرداس السلمي: (٤٠١)

398 - / - /
399 - /
400 - - - :
401 - / /

أَصَابَتْ الْعَامَ رِعْلًا غُولٌ قَوْمُهُمْ وَسَطَ الْبَيْوتِ وَلَوْنُ الْغُولِ أَلْوَانُ^(٤٠٢) (البسيط)

وربما جاءت تسمية الغول (خيتعور)، وهو كل شيء لا يدوم على حال واحد، وإنما يضمحل ويتلاشى كالسراب، من تلونه وتشكله، فالشاعر يقول: (٤٠٣) (الخفيف)

كُلُّ أُتَيْتِي وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا آيَةُ الْحُبِّ حُبُّهَا خَيْتَعُورُ

وقد ظهر الغول في قصة تأبط شراً بصورة كبش، حمّله وعاد به، فإذا به غول، فقال له أصحابه: "لقد تأبطت شراً" فقال في ذلك: (٤٠٤) (الطويل)

تَأْبُطُ شَرًّا ثُمَّ رَاحَ أَوْ اعْتَدَى يُوَائِمُ غُتْمًا أَوْ يَسِيفُ عَلَى ذَحْلِ^(٤٠٥)

ويؤكد "الحرث بن ظالم" الصلة بين الدهر والغول في قلبه، بقوله (٤٠٦): (الطويل)

أَصَابَهُمُ الدَّهْرُ الْخُنُورُ بِخَنَرِهِ وَمَنْ لَا يَبِقُ اللَّهُ الْحَوَادِثَ يَعْثُرُ

أما الشيطان "فقد ظهر لسيدنا سليمان بصور مختلفة، فمرة ظهر نصفه في صورة كلب والنصف الآخر سنور، وله خرطوم طويل، وأخرى في صورة قرد، له أظافر كالمنجل" (٤٠٧) وهذا يتماثل مع صورة الغول الذي ظهر لعنترة، بصورة حيوان خفي، يظهر ويختفي كما يشاء، كضوء المشعل، يسطع ثم يخبو، وقد يطفأ ثم يعود للسطوع، فهو كالوهم، أو كالطيف في سرعة

حركته، وفي ذلك يقول عنتره (٤٠٨): (الكامل)

وَالْغُولُ بَيْنَ يَدَيَّ يَخْفَى تَارَةً وَيَعُودُ يَظْهَرُ مِثْلَ ضَوْءِ الْمِشْعَلِ

402	:	
403	/	/
404	:	- -
405	:	
406	/	
407	-	
408	:	

وتقترب صورة الجن عند حسّان بن ثابت، من وصف عنتره، إذ تبدو الجنيّة كالطيف الذي يلمّ به في نومه، ثم يغادره في اليقظة، فيقول حسّان: (٤٠٩)

(السريع)

جَنِيَّةٌ أَرَقْنِي طَيْفُهَا تَذْهَبُ صُبْحاً وَتُرَى فِي الْمَنَامِ

ويتجلى تلون الجن في صورة السّحابة التي تنزيا بزّي النساء، وتتراعى للرجال، إذ حكي أن أحدهم تزوج امرأة منهم فنظرت، فرأت ناراً من بعيد فاضطربت، وقالت له: ألم ترى نيران السعالي، وتغيّر لونها، ثم طارت، ولم تُعد إليه^(٤١٠)، وهذا يؤكد ما يذهبون إليه، من أن السحابة ساحرة الجن، فقد تحولت في القصة نفسها إلى طير، طارت إلى بلادها، ولم تعد، كما ظهرت بصورة المرأة، في قول عميرة بن جُعل: (٤١١)

ترى الحاصنَ العُراءَ مِنْهُمْ لِشَارِفِ أُخِي سَلَّةٍ قَدْ كَانَ مِنْهُ سَلِيلُهَا^(٤١٢) (الطويل)

قَلِيلًا تَبَعِيهَا الْفُحُولَةَ غَيْرُهُ إِذَا اسْتَسَعَلْتَ جِنَانُ أَرْضِ وَعَوَّلُهَا^(٤١٣)

ويبدو تلونها، فيما يزعمون "أنها تتصور في أحسن صورة، إلا أنه لا بد أن تكون رجلها رجل حمار"^(٤١٤) أو عنز^(٤١٥)، بدليل أنهم كانوا، إذا اعترضتهم الغول في الفيافي، يرتجزون، ويقولون: (٤١٦)

يَا رَجُلَ عَنزٍ انْهَيِّ نَهْيَقًا لَنْ نَنْزِلِي السَّبِيلَ وَالطَّرِيقَا^(٤١٧) (الرجز)

وقد كانت تشرد عنهم في بطون الأودية، ورؤوس الجبال عند سماعها ذلك، وقد روي البيت في موضع آخر: (٤١٨)

(البسيط)

_ 409

_ 410

_ 411

_ 412

_ 413

_ 414

_ 415

_ 416

_ 417

وَحَافِرِ الْعُزْرِ فِي سَاقِ مُدْمَلِجَةٍ وَجَفْنَ عَيْنَ خِلَافِ الْإِثْسِ فِي الطُّولِ

في حين رواه الجاحظ "وحافر العير في ساق خدلجة"^(٤١٩)، فكلها روايات تدل على إمكانية تشكل الغول، الذي قد "يظهر بصورة حمار"^(٤٢٠)، أو ربما كان هذا الدافع الذي دفعهم إلى تشبيه المرأة، خاصة إذا كانت زميمة بالغول والسعلاة، فقالوا: السعلاة أخبث الغيلان، واستسعلت المرأة؛ "أي تحولت وصارت سعلاة؛ أي صارت صاخبة وبذيئة"^(٤٢١). ولا بد من الإشارة إلى الصور التي ظهرت بها الشيطانة العزى، إذ "بدت بصورة عجوز شمطاء، نافشة شعرها، واضعة يديها على عاتقها، تصرف بأنيابها، ترتدي قناعاً"^(٤٢٢)، وذلك عندما قطع خالد بن الوليد شجرتها، وقيل: "خرجت إليه امرأة سوداء عريانة نائرة شعرها"^(٤٢٣)، وورد "أن العزى عند العرب مثلت امرأة حسناء في صورة الزهرة، كما كانت عند البابليين، وقد وصف كوك تمثال عشتار بأنها امرأة تلبس القلائد والقراط والقناع، فالقناع الذي من مميزات عشتار، كان للعزى عند العرب"^(٤٢٤)، بدليل قول الشاعر: ^(٤٢٥)

أَعَزَى شِدِّي سَدَّةً لَا تُكْذِبِي! أَعَزَى أَلْقِي الْقِنَاعَ وَسَمَّرِي! (الطويل)

أَعَزَى، إِنْ لَمْ تَقُتْلِي الْمَرْءَ خَالِدًا! تَبُوءِي بِإِثْمٍ عَاجِلٍ وَتَنْصَرِّي!

فالعزى شيطانة، تقلبت في كافة الطقوس، الأرضية والسماوية التي تمتعت بها عشتار عند البابليين، وهي بنت إله الخصب والرزق، "ومتلّت فصلَ الشّتاء، مقابل اللات التي مثلت فصل الصيف"^(٤٢٦).

.. /	- 418
.. /	- 419
-	- 420
..	- 421
.. - /	- 422
.. /	- 423
..	- 424
.. /	- 425
.. /	- 426

وقد "تبدو البقرة في بعض الروايات الأسطورية المبشرة بالبعثة المحمدية شيطاناً، تهتف من داخله شياطين الأصنام، داعية إلى نبذها، واتباع هدي الدين الجديد" (٤٢٧).

وهكذا نلاحظ أن الخيال البشري، تصور الجن في كل الأشكال والصور، التي يمكن أن يرسمها خيال مليء بالذعر، من هذه المخلوقات الخفية التي لم يرها أحد على التحديد، وهذا يؤكد ما ذهب إليه الشبلي من أنهم "قومٌ لهم أجنحة، وخراطيم دقيقة، يمشون على رجلين، أو على أربعة، ويطيرون" (٤٢٨).

وزعم الجاهليون أنهم يسمعون أصواتاً غريبة، نسبوا إلى تلك الكائنات، وأطلقوا عليها عدة أسماء، أشهرها (العزيف)، ولم تأت هذه التسمية من فراغ؛ لأن العزيف في اللغة صوت الرمال إذا هبت بها الرياح، وعزف الرياح أصواتها، والعزف صوت في الرمل لا يدرى ما هو، وفي حديث ابن عباس – رضي الله عنهما -: "كانت الجنُّ تُعزِفُ الليلَ كلَّه بين الصفا والمروة" (٤٢٩) وقيل هو صوت يسمع بالليل كالطبل، وهو صوت الرياح في الجوّ، فتوهمه أهل البادية صوت الجن (٤٣٠)، فالوهم هو الأساس، ويردُّ السبب في ذلك، "العل الذي خيّل إليهم ذلك، رجع الأصوات، وصدى الريح المتناوحة، والرعود القاصفة، والوحوش المصوتة، في بيداء كلِّها وهاد ونجاد" (٤٣١)، وسجل الشعراء ذلك في أشعارهم، فهاهو عبيد بن الأبرص، يقول: (432)

(الطويل)

قليلاً بها الأصواتُ إلاّ عوازفاً عراراً زماراً من غياهيبي آجال (٤٣٣)

ويرد عزيف الجن في قول نابغة بني شيبان، مقروناً بالصحراء والليل: (٤٣٤) (البسيط)

_ 427

_ 428

_ 429

_ 430

_ 431

_ 432

_ 433

كَأَنَّ أَصْدَاءَهَا وَاللَّيْلُ كَارِبُهَا أَصْوَاتُ قَوْمٍ إِذَا مَا أُظْلَمُوا هَتَفُوا

يَسْمَعُ فِيهَا الَّذِي يَجْتَابُ فَفَرَّتْهَا أَصْوَاتَ جِنَّ إِذَا مَا أَعْتَمُوا عَزَفُوا

فهذه القفرة لخلوها من البشر؛ تبدو مأهولة بالجن، فلا يسمع فيها إلا عزيفها، وربما كان هذا هو الدافع الذي دفع شاعراً آخر، إلى ربط الموسيقى المصاحبة للشعر المرتل بصوت الجن، إذ يقول: (٤٣٥)

(الطويل)

وَإِنِّي لِأَجْتَابُ الْفَلَاةَ وَبَيَّنَّهَا عَوَازِفُ جَنَّانٍ وَهَامٌ صَوَاخِدُ

وقد كانت الموسيقى وسيلة تخاطب الجن، ولعبت دوراً كبيراً، في حياة الشاعر الكاهن في الفكر الديني الجاهلي، لذلك اقترن العزف الموسيقي المصاحب للسفر المرتل، بصوت الجن (٤٣٦).

ويعرض الأعشى لنوع آخر من أصوات الجن، وهو الزجل، ذلك الصوت الذي يعبر عن الطرب، ويعقد سماع هذا الصوت بالليل، فيقول: (٤٣٧)

(البسيط)

وَبَلْدَةٍ مِثْلَ ظَهْرِ الثُّرْسِ مُوَحِّشَةٍ لِلجِنَّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلُ

ويعبر عنتره عن نوع آخر من أصوات الجن، وهو "الهمام والدمادم"، وهي أصوات مسموعة وغير واضحة أو غير مفهومة (٤٣٨)، تدلّ على اضطراب الجن، وخوفها منه، فيقول: (٤٣٩)

بِهَمَاهِمٍ وَدَمَادِمٍ

وَالجِنَّ تُفَرِّقُ حَوْلَ غَابَاتِ الْفَلَا

لَمْ تُعْفَلْ (الكامل)

434 - - :

435 - () .

436 - :

437 - :

438 - () () .

439 - :

أما عمرو بن معد يكرب، فيعبر عن أصوات الجن "بالهواهي"، فيقول: (٤٤٠)

وأرضٍ قد قَطَعْتُ، بها الهَوَاهِي من الجِنَّانِ سَرَبَخُهَا مَلِيعٌ (الوافر)

وقد نقد الجاحظ ما يتصل بذكر عزيز الجن، وتغول الغيلان، وأعادته إلى الوحشة والوسوسة أو إلى الكذب (٤٤٢). كما ميّز العرب بين صوتين مختلفين للجن، العزيز الذي يسمع ليلاً في الصحاري، ولا يفهم منه شيء، والهاتف الذي يسمع ويفهم، فيخاطب الجن الإنس، ويناشدهم شعراً، ويخبرهم بما لا يعرفون، وقد يكون فيه إنقاذ لهم من الضلال في الصحراء، ومفرج لهم من شدة وقعوا فيها.

وكثر هذا النوع زمن الدعوة الإسلامية، والقصص والروايات في ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر، حديث الأعشى بن نباش بن زرارة الأسدي، أنه سمع هاتفاً، يقول: (٤٤٣)

لَقَدْ هَلَكَ الْغِيَّاضُ غَيْثُ بَنِي فَهْرٍ وذو الباعِ والمجدِ الرَّقِيعِ وذو الفَخْرِ
(الطويل)

قال: فقلت مجيباً له:

ألا أيُّها النَّاعي أحمَا الجُودِ والثُّقى من المرءِ تنعاهُ لنا من بني فَهْرٍ (الطويل)

إلى آخر القصة، حيث أخبرت بموت ابن جدعان. ويأتي ضمن هذا الباب ما حدث مع عبيد بن الأبرص والشجاع (٤٤٤).

- 440

- 441

- 442

- 443

- 444

المبحث الرابع

أشكال الجن وصورها

إذا أردنا معرفة الجنّ وصورتها الحقيقية في أذهان العرب الجاهليين، فإننا لا نكاد نعثر على نص يوضح هذا الأمر، وإنما توجد هناك صفات عامة، لصقها بعضهم بالجن، ومع ذلك، فإن صورته تبقى مبهمة، غير واضحة المعالم، لا سيما أنها مخلوقات خفية، غيبية لا ترى، بدليل قوله تعالى: "إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم"^(٤٤٥)، واختلف في تحديد ماهيتها، فمنهم من قال "إنها مخلوقات نارية"^(٤٤٦)، ومنهم من قال "إنها أجسام هوائية"^(٤٤٧) والقرآن يثبت أنها نارية، بقوله تعالى: "والجان خلقناه من قبل من نامر السمووم"^(٤٤٨)، فهي تختلف عن غيرها من الكائنات المرئية، ولكن عالم الرعب والخوف الذي شكلته، بالنسبة للإنسان الجاهلي، دفعه إلى تجسيم أفكاره ومعتقداته فيها، بتحويلها إلى شخوص حية، كما شخّص المخلوقات، والظواهر الكونية بأشكال وهيئات منافية لهيئة البشر. ويستدل على غرابة أشكالهم، من خلال قول القزويني: "قوم لهم أجنحة، وخراطيم دقيقة، يمشون على رجلين، وعلى أربعة، ويطيرون"^(٤٤٩).

وقد وقف الشعراء الجاهليون عند لون الغول، ووصفوه بالسواد، مما يؤكد "أن السواد قرين عالم الجن"^(٤٥٠)، وقد يكون هذا سبباً في أن الجن أكثر ما تظهر ليلاً، ويصف عنتره لونها بالسواد، وعيونها بالزرقة، فيقول: ^(٤٥١)

(الكامل)

وَيَعُودَ يَظْهَرُ مِثْلَ ضَوْءِ الْمِشْعَلِ

وَالْغُولُ بَيْنَ يَدَيَّ يَخْفَى تَارَةً

وَأَظَافِرُ يُشْبِهُنَّ حَدَّ الْمُنْجَلِ

بِنَوَاطِرِ زُرْقٍ، وَوَجْهِ أَسْوَدٍ

_ 445

_ 446

_ 447

_ 448

_ 449

_ 450

_ 451

كما وصف الأعشى الجن المحيطة بصاحبته بالسواد، ليزيد من حصانة جانبها، وذلك بقوله:
(٤٥٢)

والجنُّ تُعزَفُ حَوْلَهَا كالحُبِّشِ فِي مِحْرَابِهَا (مجزوء الكامل)

ويصف الجنيَّ المسؤول عن حراسته بالقوة، إذ جعله مارداً، من حيث شكله وحجمه، فيقول:
(٤٥٣)

ومارِدٌ مِنْ عُوَاةِ الْجِنِّ يَحْرُسُهَا ذُو نَيْقَةٍ مُسْتَعِدُّ دُونَهَا، تَرَقًّا (٤٥٤) (البسيط)

وتبدو الجن بصورة مُشرقة جميلة، في قول جذع بن سنان الغساني: (٤٥٥)

أَتُونِي سَافِرِينَ، فَفُلْتُ أَهْلًا رَأَيْتُ وَجُوهُهُمْ وَسَمَاءَ صَبَاحًا (الوافر)

إذ يبين الهيئة العامة للجن الذين نزلوا في ضيافته، فكانوا ذوي وجوه مشرقة، مضيئة
كإشراق الصبح، ولم تكن أجسامهم مخيفة أو غريبة، بل هم إنس تشكلوا في أبهى صورة، جعلت
الشاعر يزداد بهم طمأنينة وأنساً، فقال: "أتوني سافرين"، فهم جنُّ سافرون، لا شك ولا غموض
فيهم، ويخالفون في ذلك ما زعمه بعض الأعراب، من أن الجن كانت تُسمع ولا تُرى، أو تُرى
أجساماً وأشكالاً، ولا تُميز ملامحها، أمّا هؤلاء، فقد كانت ملامحهم واضحة، وأجسامهم مرئية،
بصورة تبعث الطمأنينة في النفس. وقد قدم الشاعر الصعلوك "تأبط شراً" وصفاً تفصيلياً
للغول، إذ يقول: (٤٥٦) (الوافر)

إِذَا عَيْنَانِ فِي رَأْسِ قَبِيحٍ كَرَأْسِ الْهَرِّ مَشْفُوقِ اللِّسَانِ

-
- 452 - :
453 - :
454 - : ()
455 - / /
456 - :

فقد كانت صورته منفرة مخيفة، ملائمة لما استقر في ذهن العربي، عن شكل الغول، فهما هو يستعير أعضاء لحيوانات مختلفة ذات صلة بالجن، فرأس الغول الذي اعترضه، وهو أهم عضو في الكائن الحي، يشبه رأس الهر، وعيناه قبيحتان، ولسانه مشقوق، ورجلاه رجلا ولد ناقه مشوه وغير مكتمل الخلق، وجلد رأسه كجلد الكلب، وما تبقى من جسده مستور بثوب بالٍ قصير، يشبه القربة الخرقية. وتبدو عين الغول مشقوقة طويلاً، بخلاف عيون الإنس، ويتضح ذلك في قول الشاعر: "وَجَفُنْ عَيْنَ خِلَافِ الْإِنْسِ فِي الطُّولِ" (٤٥٨) وهذه هي صورة الغول في المعتقد الشعبي، إذ تبدو ذات عيون مشقوقة طويلاً، وأقدام تشبه حوافر الحيوانات، وبخاصة الحمير، وتبدو في صورة أخرى، سود حفاة، ذات أعقاب مشقوقة، وينبت على جسدها شعر كثيف، وهذه الأوصاف هي التي دفعت سيدنا سليمان إلى الاعتقاد، بأن "بليث" ما هي إلا العفريتة "ليليث"، وخاصة عندما كشفت عن ساقها، فكانت كرجلي عنزة، شعرهما كثيف، علماً أن أمها جنية (٤٥٩).

وقد عرض أمرؤ القيس لأنياب الغول، في معرض حديثه عن سيفه، فجعله حيواناً مفترساً ذا أنياب حادة، قادرة على القضاء على فريستها، بقوله: (٤٦٠)

أَيْقُنْني وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسُونُهُ زُرُقُ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ (٤٦١) (الطويل)

أما هيئة الجن العامة، وشكلها الخارجي، فتبدو ذات أجسام ضخمة، وقامات مديدة، وأرجل طويلة، كما رسمها لبيد بن ربيعة بقوله: (٤٦٢)

عُلْبٌ تَشَدَّرَ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا جِنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِيًّا أَقْدَامُهَا (٤٦٣) (الكامل)

457 - :

458 - / / :

459 - - :

460 - :

461 - :

462 - :

وتبدو الجن بصورة مماثلة، في تشبيه الشاعر نفسه الرجال غلاظ الأعناق بالجن، وذلك
بقوله: (٤٦٤)

وَمُقَامَةٌ غُلْبِ الرَّقَابِ كَأَنَّهُمْ جِنَّ لَدَى طَرْفِ الْحَصِيرِ قِيَامٌ^(٤٦٥)

وتبدو أعناقها طويلة، وقاماتها عالية، في قول الخنفي جدّ جرير: (٤٦٦)

يَرْفَعُنَ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسَدَفَا أَعْنَاقَ جِنَّانٍ وَهَامًا رُجَفَا (الرجز)

وهكذا فقد كان لحياة الشعب الفطرية، في الصحراء دور كبير في هذه التخيلات، التي
دفعتهم الى ادعاء رؤية هذه الكائنات، ووصفها، والتحدث معها، وقد رد جواد علي ذلك إلى "أنها
باب من أبواب التسلية، التي كان يتسلى بها الجاهليون"^(٤٦٧) ولم تنزل هذه القصص إلى اليوم من
القصص المستملحة المطلوب سماعها، وان كنا نرى في ذلك، ما يبعدنا عن علاقة هذه الاساطير
بالديانة الجاهلية.

463	:	:	:	:
464	:	:	:	:
465	:	:	:	:
466	:	:	:	:
467	:	:	:	:

المبحث الخامس

أنواع الجن

١- إبليس: عَلم جنس للشيطان، قيل: "هو من أبلس، بمعنى يئس وتحيرَ وندم، وهو اسم يطلق على نَفَر ينتمي إلى طائفة من الملائكة، يقال لها الجن، وكان اسمه عزازيل" (٤٦٨) "كان من خزان الجنة، ورئيس الملائكة وسلطانها، فعصى وكفر، فمسخه الله شيطاناً ملعوناً" (٤٦٩)، ويتضح ذلك في قوله تعالى: "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر" (٤٧٠)، والثانية "فسجدوا إلا إبليس كان من الجن" (٤٧١)، وهكذا فقد كان إبليس ملكاً من الملائكة، عصى ربّه، فهبط إلى الأرض، وقد سجّل الشعراء هذه القضية، فهذا أمية بن أبي الصلت يقول: (٤٧٢)

وقال لإبليس ربُّ العبادِ أن اخرجْ دحيراً لعيناً دؤوماً (المنقارب)

أما تكاثر إبليس، فهو أنه "عندما هبط، نكح نفسه، فباض أربع بيضات، ففرّق في كل قطر من أقطار الأرض بيضة، فجميع الشياطين من تلك البيضة" (٤٧٣)، مما يؤكد أن إبليس أبو الجن، كما أنّ آدم أبو البشر، وقد خلط معظم الكتاب بين الشيطان وإبليس، واعتبروا هاتين الكلمتين من المترادفات، إلا أنه يمكن التفرقة بينهما، من خلال كون الشيطان ملازماً للإنسان، "إذ إنّ مع كل إنسان شيطاناً، وليس معه إبليس" (٤٧٤).

وإضافة إلى الشيطان، فإنّ لإبليس عدة أسماء وألقاب منها "أبو الجان، والحارث وعزازيل، و سوميا أو شوميا، ونائل، وأبو مرة، وشمازيل، وأبو كدوس، وأبو لبينى، كما أن له ذرية وأبناء، عبّر عنهم القرآن الكريم، بلفظ جنود إبليس وذريته، وذلك بقوله

- 468

() ()

- 469

/

- 470

- 471

- 472

- 473

- 474

وسلم" قوله: "حرجوا عليه فإن امتنع، وإلا فاقتلوه فإنه شيطان"^(٤٨١) والشيطان هو (satan) في الإنكليزية و "Diabolos" في الإغريقية، وهو "ساطان" في العبرانية، ومعناه عدوٌّ ومُشْتَكِّ في هذه اللغة^(٤٨٢)، فتلتقي معاني كلمة شيطان في اللغات المختلفة عند معنى الخبث والتمرد، والبعد عن رحمة الله، وبسبب خبثه أطلق عليه شيطانا، وإثما سُمِّي المتمرد من كلِّ شيء شيطانا؛ لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعالهم، وبعده من الخير، وقد قيل إنه أخذ من قول القائل: "شطنت الدار، بمعنى بَعُدت"^(٤٨٣)، ومن ذلك قول النابغة الذبياني: ^(٤٨٤)

نَأَتْ بِسُعَادَ عَنكَ نَوَى شَطُونُ، فَبَأَنْتِ، وَالْفُؤَادُ بِهَارَ رَهَيْنِ^(٤٨٥)

(الوافر)

فالنوى: البعد، والشطون: البعيد، وتأتي بالمعنى نفسه في قول أمية بن أبي الصلت: ^(٤٨٦)(الخفيف) أيما شاطنٌ عَصَاهُ عَكَاهُ ثم يُلقَى في السَّجْنِ والأَعْلَالِ^(٤٨٧)

ومن المعاني التي تحملها هذه الكلمة، والتي رسخت في أذهان العرب "القبح"، فمن عادة الإنسان إذا استقبح شيئا شَبَّهه بالشيطان؛ استشعاراً منه أنه أقبح ما يكون من الأشياء^(٤٨٨)، وقد خاطب القرآن الكريم الإنسان العربي، بما يتلاءم وعقليته، حيث شَبَّه ثمر أشجار النار برؤوس الشياطين: "﴿لَوْ أَنَّ لِلنَّاسِ فِئْتًا مِّمَّا يَصْرَفُونَ فِي الْبِلَادِ فِئْتًا مِّنْ شَجَرٍ لَّخَالِفَةٌ لِأَنَّ فِيهَا لَمَوَاجِدَ لِّالنَّارِ لَوَّاحَةً يَدْعَوْنَ إِلَىٰهَا مِن دُونِ آلِهَتِهِمْ كَمَا كَانَ آدَمُ يَدْعُو إِلَىٰ رَبِّهِ لَمَّا نَسِيَ مَا كَانُوعَلَّمَهُ لَمَّا كَانُوعَلِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾" ^(٤٨٩)، أي كأن طلع هذه الشجرة في قبحه، وسماجته رؤوس الشياطين، في قبحها

- 481
- 482
- 483
- 484
- 485
- 486
- 487
- 488
- 489

وسماجتها، وقد يكون المقصود برؤوس الشياطين رأس حية معروفة عند العرب، تسمى شيطاناً^(٤٩٠)، وهذا ما عناه الشاعر بقوله: ^(٤٩١)

(الرجز)

عَجْرَدٌ تَحْلِفُ حِينَ أَحْلِفُ كَمِثْلِ شَيْطَانِ الْحَمَاطِ أَعْرَفُ^(٤٩٢).

وهذا ما يرد في الأمثال العربية "ما هو إلا شيطان الحماطة"^(٤٩٣) أي مثلاً في القبح.

في حين جاء في اللسان أن رؤوس الشياطين نبت معروف قبيح^(٤٩٤). وتحمل كلمة الشيطان معاني أخر، منها الكبر والطغيان والخزوانة أو الغضب الشديد، وقد أورد الجاحظ عن عمر ابن الخطاب قوله: "لأضربنه حتى أنزع شيطانه من نخرته"^(٤٩٥)، ومنها أيضاً الفطنة والذكاء، وشدة العارضة^(٤٩٦)، مما يجسد فكرة الثنائية القائمة على الخير والشر في شخصية الشيطان، فيقال فلان شيطان، إذا تفوق على أبناء جنسه، في الذكاء والفطنة، وشيطان إذا فسد وساء خلقه، ويتضح معنى الغضب في قول مرة أبو الوجيه العكلي "وكان ذلك حين ركبني شيطاني"^(٤٩٧)، ويرد المعنى نفسه، عن منظور بن رواحة في قوله: ^(٤٩٨)

(الطويل)

شَيَاطِينُ رَأْسِي وَإِنِّي سَيِّئٌ مِنَ الْخَمْرِ

فَلَمَّا أَتَانِي مَا يَقُولُ تَرَقَّصْتُ

490	-	/	.
491	-	()	.
492	-	:	:()
493	-	:	/
494	-	:	()
495	-	/	/
496	-	/	.
497	-	/	.
498	-	/	.

ومما يزيد في قبح الشيطان، أن الإنسان العربي تصور الشيطان، بصورة قريبة من صورة الثور؛ لما له من قرون، بدليل ما ورد من قوله "عليه السلام" عن الشمس^(٤٩٩)، وقد ورد للشيطان عدة أسماء منها الحُبَاب، ويقع على الحية، لأنه يقال للحية شيطان، والحُبَاب والشيطان: الحية الخبيثة^(٥٠٠)، وزوبعة الذي قيل إنّه رئيس الجن، ومنه سمي الإعصار زوبعة^(٥٠١)، ومنها أذب العقبة، وقيل هو حية^(٥٠٢)، ومنها شيطان الحماطة، الذي قيل "إنه الحية، لأن الحماطة شجرة شبيهة بشجرة التين، وهي أحبّ الشجر إلى الحيات"^(٥٠٣)، ومنها الشيطان هراء، وهو "شيطان قبيح الأحلام"^(٥٠٤)، ومن أسمائه الأجدع بدليل قول عمر بن الخطاب، "إنّما الأجدع شيطان"^(٥٠٥).

ومن هنا تأتي المفارقة، والتناقض، في المعاني التي تحملها كلمة الشيطان؛ إذ أنها تدلّ على الفطنة والذكاء والقوة، وينضح ذلك من خلال وصف أمّ تأبط شرّاً لابنها "إنه والله شيطان، ما رأيته قط مستثقالاً ولا ضاحكاً، ولا همّ بشيء، مذ كان صبيّاً إلا فعله"^(٥٠٦)، فهذا يدلّ على جرأته وشجاعته، وسرعة بديهته. ويبدو هذا المعنى، فيما تحمله هذه الكلمة من معنى الموهبة والقريحة الشعرية؛ إذ لعبت الشياطين دوراً كبيراً في إلقاء الشعر على ألسنة الشعراء، وتلقينهم إيّاه، وقد أورد الجاحظ رواية، تدلّ على تفوق الشيطان على الإنسان وهي "أن بعض الشعراء، قال لرجل: أنا أقول في كل ساعة قصيدة، وأنت تعرضها في كل شهر، فليّم ذلك؟ قال: لأنني لا أقبل من شيطاني مثل الذي تقبله من شيطانك"^(٥٠٧)، وتدلّ كلمة شيطان على البشاعة والقبح

- 499

- 500

- 501

- 502

- 503

- 504

- 505

- 506

- 507

والسماجة من ناحية، كما تدل على الفصاحة والنشاط، من ناحية أخرى، فإذا رأوا فصيحاً نشيطاً، قالوا، شيطان، وإذا رأوا قبيحاً، قالوا: شيطان، ويؤكد الجاحظ هذا القول برواية "عن المرأة التي طلبت من الصائغ أن يرسم لها صورة شيطان، فلم يتخيل الصائغ صورته، فذهبت تبحث عن شبيه له، فوجدت الجاحظ، تنطبق عليه صفات الشيطان، فأخذته إليه، وطلبت منه، أن يرسمه لها؛ لبشاعة منظره"^(٥٠٨)، ونظراً لما تمتاز به النساء، من الخبث واللؤم، وصفهن عمر بن الخطاب بالشياطين،

(البسيط)

فقال: (٥٠٩)

إِنَّ النَّسَاءَ شَيَاطِينُ خُلِقْنَ لَنَا نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ

وقد وقر في أذهان الشعراء خبث الشيطان، وقدرته على إلحاق الأذى بالإنسان، فهذا المزرد بن ضرار الذبياني، يرد ما لحق بناقته إلى فعل مؤثر، ويشبه هذا الفعل بقذيفة الشيطان، بقوله: (٥١٠)

(الطويل)

قَذِيفَةُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ رَمَى بِهَا فَصَارَتْ ضَوَاءً فِي لَهَازِمِ ضِرْزَمٍ^(٥١١)

وتتجسد في الشيطان صورة الجن، من خلال ملازمته للإنسان، وتلبسه له، ويظهر ذلك في قول أوس بن حجر: (٥١٢)

إِذَا الشَّيْطَانُ قُصَّعَ فِي قَفَاهَا تَنَفَّقَاهُ بِالْحَبْلِ الثُّوَامِ (الوافر)

٣- الغول: غال في اللغة: هلك، والغول: المنية، فيقال: قتل فلاناً فلاناً غيلة، أي قتله في اغتيال وخفية، ويقال لكل ما يهلك الإنسان: غول، والغول: الحبس، والتغول: التلون، فالمرأة تتغول؛ أي تتلون، وكل ما يغتال الإنسان من جن أو شيطان أو سبع: غول، ومن معاني الغول المفازة؛ لأنها

508 -

509 - /

510 -

511 -

512 -

تغتال كلُّ من يمرُّ بها، ويقال امرأة ذات غول أو طويلة، لذلك تغول الثياب، فتقتصر عنها، ويقال كذلك للمنطقة المنخفضة من الأرض: غول، والغول: الصداق والسُّكر، والمشقة، والخيانة، والذكر من الجن، ويقال الغول ساحرة الجن والحيّة، والجمع أغوال^(٥١٣).

أما في الاصطلاح فالغول من أهم أنواع الجن التي سيطرت على مخيلة الإنسان الجاهلي خاصة، وهو "اسم لكل شيء من الجن يعرض للسُّقار، ويتلون في ضروب الصور والثياب، ذكراً كان أم أنثى، إلا أنّ أكثر الكلام على أنه أنثى" ^(٥١٤)؛ ويرى القزويني "أن الغول حيوانٌ شادّ مُشوّه، لم تحكمه الطبيعة، وأنه خرج منفرداً، ولم يستأنس، وتوحّش، وطلب القفار، يترأى لمن يسافر وحده في الليالي، وأوقات الخلوات؛ فيتوهمه إنساناً، فيصدّه عن الطريق" ^(٥١٥)، وقد جسّدَ الشعر الجاهلي هذه المعاني لكلمة الغول، بمختلف الاشتقاقات، من ذلك قول المرقش الأصغر: ^(٥١٦) وللفتي غائلٌ يعولُهُ
يا ابنة عجلانٍ من وقع الحثوم^(٥١٧)
(مجزوء البسيط)

وقول بُشامة بن عمرو: ^(٥١٨) (المتقارب)

ولا تَقْعُدُوا وَيَكْمُ مَنَّةٌ كَفَى بِالْحَوَادِثِ لِلْمَرْءِ غُولًا

فكل معانيها، تلتقي عند القتل والدمار والهلاك؛ لأن الجن والسباع مخلوقات تؤدي إلى قتل الإنسان، وتحطيمه مادياً ومعنوياً، كما هو الحال بالنسبة للشيطان الذي يقتل الإنسان، بإبعاده عن الحق والخير، وتتجسد هذه الصفات في الغول التي يزعم كثير من الناس، أنها كائن خرافي وهمي، لا وجود له ^(٥١٩)، وقد أورد الألويسي قول الشاعر الذي يثبت ذلك: ^(٥٢٠)

الغُولُ وَالخُلُ وَالْعَنْقَاءُ ثَالِثَةٌ أَسْمَاءُ أَشْيَاءَ لَمْ تُوجَدَ وَلَمْ تُكُنْ (البسيط)

513 - () () / .

514 - : / : .

515 - / .

516 - .

517 - :

518 - .

519 - .

520 - / / .

في حين ذهب الدميري إلى "أنّ الغيلان سحرة الجن؛ لأنها قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، وأنها سبع من سباع الجن"^(٥٢١)، ويؤكد الجاحظ ذلك بقوله: "إنّ الجنيّة إذا تعرّضت، وتلونت، وعبثت بالإنسان شيطانة، ثمّ غول؛ أي أن الغول من الشياطين"^(٥٢٢)، وقد أطلق عليها العرب "خيتعور" لما لها من قدرة على التلوّن والتشكّل، وهو كلّ شيء، لا يدوم على حالة واحدة، ويضمحل، ويتلاشى كالسّرّاب"^(٥٢٣).

وقد رسخ في أذهان العامة أنّ الغول تعني الداھية، إذ يقال: غالته غول، أي أهلكته المصيبة^(٥٢٤) والغول جنس من الشيطان، بدليل قوله "عليه السلام: " عليكم بالدّلجة، فإن الأرض تطوى بالليل، وإذا تغوّلت لكم الغيلان فيادروا بالأذان؛ ولا تنزلوا جوادّ الطريق، ولا تُصلّوا عليها؛ فإنها مأوى الحيات والسباع"^(٥٢٥)، فهي إذن نوع من الجن شريرة، تظهر عادة في صورة حيوان، أو وحش رهيب، تسكن المقابر، والأماكن المهجورة، تملؤها بالرعب والفرع، تأكل الجثث، وتهاجم المارّة بهدف أكلهم، كما حصل مع عمر بن الخطاب^(٥٢٦)، ومع تأبط شرّاً حين لقيها وقتلها^(٥٢٧)، ومن غرائب ما يروى عن الغول "أنها إذا ضربت ضربة واحدة ماتت، إلا أن يعيد عليها الضارب، قبل أن يقضي عليها ضربة أخرى، فإنّه إن فعل ذلك لم تمت"^(٥٢٨)، وللشعراء الصعاليك قصص ونوادير كثيرة معها سنعرض لها في مواضعها.

٤- السّعلاة: من أنواع الجن التي تتماثل مع الغول، في كونها عنوان الخطر المجهول، وهي " من نساء الجن، تتغول لتفتن السقّار، والمرأة إذا كانت حديدة الطرف والذهن، سريعة الحركة، ممشوقة محصّنة، سميت سعلاة"^(٥٢٩)، "والسعلاة ساحرة الجن"^(٥٣٠)، ويرى الدميري " أنّها أخبث الغيلان"^(٥٣١)، وأكثر ما تتواجد بالغياض، وأنها إذا ظفرت بإنسان ترقصه، وتلعب به، كما تلعب الهرة بالفأر.. وقد يصطادها الذئب ليلاً فيأكلها، وإذا افترسها ترفع صوتها، وتقول:

521 -

/ /

522 -

/

523 -

/

524 -

:

525 -

/

526 -

/

527 -

/ -

528 -

/

529 -

/ / :

530 -

531 -

/

أدركوني فإن الذئب قد أكلني، أو تحاول إغراءهم، بقولها: من يُخلصني، ومعني ألف دينار يأخذها، إلا أنهم يعرفون أنها السعلاة؛ فلا يُخلصها أحد، فيأكلها الذئب"^(٥٣٢).

وذهب القزويني إلى "أنها نوعٌ من المتشيطنة، مغايرة للغول"^(٥٣٣)، ومن العرب من يرى أن السعلاة ما يتراءى للناس بالنهار، والغول ما يتراءى لهم بالليل^(٥٣٤)، وقد زعم بعض العرب

أنه تزوج من السعلاة، كما حدث مع عمرو بن يربوع بن حنظله التميمي، وعمرو ذي الأذكار ابن أبرهة ذي المنار، وأمه الجنيّة العيوف^(٥٣٥).

٥- **جَنَانُ الببوت:** بجيم مكسورة ونون مفتوحة مشددة، جمع جان، "وهي الحيّة الصغيرة، وقيل الدقيقة الخفيفة البيضاء"^(٥٣٦)، وهي ما يطلق عليها عمّار الببوت، وهم سكان الببوت من الجن، كما جاء في قول رسول الله "عليه السلام: " إنّ لهذه الببوت عوامر، فإذا رأيت منها شيئاً، فحرّجوا عليها ثلاثاً، فإن بدا لكم بعد ذلك، فاقتلوه"^(٥٣٧)، والعوامر: الحيات التي تكون في الببوت، واحدها عامرٌ وعامرة، وقيل سميت عوامرٍ لطول أعمارها^(٥٣٨)، وقد تنزل في الأودية، إذ حكى بعض الرعاة " أنه نزل بوادٍ بغنمه، فسلب ذئب شاةً من غنمة، فقام ورفع صوته، ونادى: يا عامر الوادي، فسمع صوتاً، يقول: يا سرحان، ردّ عليه غنمه، فجاء الذئب بالشاة، وتركها وذهب"^(٥٣٩)، ويبدو أنه يتميز بما يمتاز به العربي من الكرم، وحسن الضيافة، وتسكين روع المحتاج؛ فقد تدّخل هنا لفائدة الراعي.

532 -

533 -

534 -

535 -

536 -

537 -

538 -

539 -

وقال النضر بن شميل في جنان البيوت " هو صنف من الحيات أزرق، مقطوع الذنب، لا تنظر إليه حامل، إلا ألقته ما في بطنها، وفي كتاب الحشرات، قال ابن خالويه: سمعت ابن عرفة يقول: الجنُّ حَيَّاتٌ إذا مَسَّتْ رفعت رأسها عند المشي " (٥٤٠).

٦- **التابع:** الجن أو الشيطان يتبع الإنسان أينما كان، يقدم له ما يريده، إن كان خيراً، ويصرعه، ويسبب له الصرع والجنون، إن كان شريراً، ولا تزال هذه المعتقدات شائعة في الأوساط العربية، فالجن مخلوقات خفية، سُخِّرَتْ لفتنة البشر (٥٤١)، وكما أن لكل إنسان ملكاً موغلاً به، له كذلك قرناء من الشياطين؛ بدليل ما ورد من حديث لعائشة، "أنَّ النبي "عليه السلام" خرج من عندها ليلاً ورجع، فتوسَّم فيها الغيرة، فقال: مَالِكِ يَا عَائِشَةَ، أَغْرَتِ؟ فقالت: ومالي لا يغارُ مثلي على مثلك، فقال "صلى الله عليه وسلم": لعن الله شَيْطَانِكَ، فقالت: يا رسول الله، أو معي شيطان، قال: نعم، ومع كلِّ إنسان، قالت: ومعك يا رسول الله، قال نعم، ولكنَّ ربي عزَّ وجلَّ أعانني عليه" (٥٤٢)، فقد أجمعوا أنَّ لكل إنسان قريناً من الشيطان، إلا أنَّ المقصود بالتابع في المفهوم الجاهلي قد يختلف عن هذا؛ لأنه هو "الذي يتبع الكاهن يُعلِّمه كهانة أو سحراً، ويتبع الشاعر يلقنه شعراً" (٥٤٣).

وقد يتجلى التابع للإنسان في صورة إنسان، من ذلك ما ذكر عن "الغيظلة" كاهنة بني أسد "أنه كان لها تابعٌ من الجن، يفد إليها، ويدخل غرفتها، ويجلس معها" (٥٤٤)، كما "كان لفاطمة بنت النعمان النجادية تابع، إذا جاءها افتحم عليها بيتها، فلما كان أولُ البعث، أتاها فقعد على حائط الدار، ولم يدخل، فقالت، له: لِمَ لا تدخل؟ فقال: قد بعث الله نبياً بتحريم الزنا" (٥٤٥).

وقد يلحق التابع أشخاصاً لم يكونوا شعراء ولا كهنة، وإنما عرفوا بحدّة ذكائهم ومعرفتهم بعواقب الأمور، مثل "أحيحة بن الجلاح" الذي اشتهر بصوابه، وسرعة إدراكه للعواقب، فعملوا

540

541

542

543

544

545

ذلك "بوجود تابع من الجن يعلمه المغيبات"^(٥٤٦)، وكذلك أمية بن أبي الصلت الذي علمه تابعه كلمة سحرية تغلب بها على الجن، وهي (باسمك اللهم)^(٥٤٧).

٧- الرئي: وهو جني يتعرّض للرجل، يريه كهانة وطباً، فهو التابع الذي يرون أنه "إذا ألف الجني إنساناً وتعطف عليه، وخبره ببعض الأخبار، وجد حسّه، ورأى خياله، قالوا معه رئي من الجن"^(٥٤٨) وهو مخدوم من قبله، يخبره بما وقع، ويقع من الأسرار، فالمخدوم هو من تجيبه الجن، وإذا عزم على الجن، أجابوه، ومن هؤلاء المخدومين "عبد الله بن هلال الحميري" الذي كان يقال له صديق إبليس^(٥٤٩)، فكانوا يقولون: "من أراد أن تجيبه الجن، فليتبخر باللبان، ويراعي سير المشتري، ويغتسل بالماء القراح، ويكثر من دخول الخرابات"^(٥٥٠)، لأن هذه الأمور تألفها الجن والشياطين، فقد "كان مسيلمة الكذاب يدّعي أن معه رثياً من الجن، يخبره بما وقع، ويقع من الأسرار"^(٥٥١)، وعندما رأى القرشيون الرسول "عليه السلام"، وسمعوا ما جاء به "اتهموه أن معه رثياً من الجن، فقالوا: إنهم مستعدون أن يلتمسوا له الطبّ والتعاويد؛ كي يبرأ من علته"^(٥٥٢)، واستقرّ في أذهانهم أنّ مع كلّ واحد من الكهان رثياً يخبره، وجسد تلك العلاقة بين الإنس والجن، قول الشاعر:^(٥٥٣)

(الطويل)

ببَيْضَةِ قَارُورٍ وَرَأْيَةِ شَادِنٍ وَخَلَّةِ جَنِّيٍّ وَتَوَصِيلِ طَائِرٍ

:	/	546
.	- -	
.	/	547
.	/	548
.	/	549
.	/	550
.	/	551
.		552
.	/	553

٨- **الهاتف:** نوع من الجن "يهتف بصوت مسموع، وجسم غير مرئي، يقدم النصح والإرشاد للناس، أو يحذرهم من أضرار، توشك أن تلحق بهم"^(٥٥٤)، وينسب إليه ما يدلّ على أنه يقدر على ما لا يقدر عليه الإنسان، فينقل الأخبار عبر الجبال والقفار، بسرعة غريبة، ويأسى على ما ينزل بالكرام من حوادث، وقد يُبشّر بميلاد^(٥٥٥)، كما في رواية مولد كاهنة قريش الأم سوداء بنت زهرة من بني كلاب، إذ كان من عادة العرب وأد البنات، إذا ما جاءت إلى الوجود ناقصة التكوين، ولما كانت تلك الكاهنة، قد ولدت على بعض هذه الصفات، ولما رأوها كذلك؛ أمر والدها بوأدها، فأرسلها مع من جهز لها في الخلاء، وهمّ بدفنها، وإهالة التراب عليها، فسمع هاتفاً، يقول: لا تندد الصبيّة وخذلها البريّة، فالتفت إلى الخفاء، فلم ير شيئاً فعاد ليدفنها، فسمع الهاتف يسجع سجعاً كهنوتياً، يمنعه من وأدها، فكان أن عاد بها إلى أبيها، وأخبره بما أشار إليه الهاتف، فتركها حتى صارت وأصبحت كاهنة قريش^(٥٥٦)، وتحفل الكتب التراثية بأخبار وأشعار جاهلية، تتحدث عن ذلك.

٩- **العفريت:** "هو الخبيث المارد من الشياطين"^(٥٥٧)، وقيل بأنه شيطان عفريّة، ومنه في الحديث: "إنّ الله تعالى يُبغضُ العفريّة النفريّة، وهو الدا هي الخبيث الشرير"^(٥٥٨)، وورد في القرآن الكريم ما يثبت شيطانيته، وخبثه وتمرده، وقدرته على الإتيان بخوارق الأمور. وتجسّد عمل العفريت، في قدرته على نقل عرش بلقيس، حينما وفدت زائرة لسليمان "عليه السلام" في بيت المقدس، وطلب سلميان من الجن أن يحضروا عرشها^(٥٥٩)، فقال تعالى على لسان عفريت: "أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك"^(٥٦٠) فهو يعتزُّ ويفتخر بقدرته، والعفريت هو الدا هيّة، الذي يعفر أقرانه، وهو عنيد نصّات إلى الناس، "لا يسترق السمع إلا جهاراً"^(٥٦١)، وهو من المردة الذين

554 - / /

555 - /

556 - -

557 - () /

558 - /

559 - /

560 - .

561 - ()

يستمعون أخبار السماء من الملائكة، ويلقونها إلى الكهنة^(٥٦٢)، ومنها قولهم للخبيث المنكر عفر،
والعفارة: الخبث والشيطنة، ومنه "غشيم يوم بدر ليثاً عفرياً"^(٥٦٣).

وعُرف باختطاف النساء، وأورد الأَبشيهي قصة رجل، اختطف ابنته، وحكاية أحد
المسافرين الذي مرَّ بها في خيمة العفريت، وكيف استطاع أن ينقذ الفتاة منه، ويعيدها إلى أهلها،
ويتزوجها، وقد قال في ذلك شعراً^(٥٦٤)؛ ويبدو أنه كان حريصاً على مطاردة المؤمنين من
الرجال، بدليل ما أورده الدميري من حديث عن رسول الله "إن عفريتاً من الجن، تفلت عليّ
البارحة؛ ليقطع عليّ صلاتي، ففدعتني أي خنقتها"^(٥٦٥).

١٠ - القُطرب: هو الذكر من السعالي، وقيل هو من صغار الجن، وقيل القطارب صغار الكلاب،
وقيل القطربة على صورة الهرة^(٥٦٦)، وهو طائر يجول الليل كله، لا ينام، فقالوا: "أجول من
قطرب"^(٥٦٧)، وورد ذكره في الحديث عن أصناف الجن، "وهم أجناس، منهم أجناس يأكلون
ويشربون، ويتناكحون، وهم السعالي والغيلان والقطارب، وأشبه ذلك"^(٥٦٨)، وذكر الأَبشيهي
"أنه نوع من الأشخاص المتشيطنة"^(٥٦٩)، ويبدو أنه خلط بينه وبين الغدار من حيث الصفات.

١١ - الغدّار: نوع آخر من المتشيطنة، يلحق الإنسان، فيدعوه إلى نفسه، فيقع عليه، فإذا صاب
الإنسان منه، يسأله: أمكوح أم مذعور؟ فإن كان منكوحاً، يسوا منه؛ لأن له قضيباً كقرن الثور،
يقتل الإنسان بقرزه فيه، وإن كان مذعوراً، سكن روعه وشجع، والإنسان إذا عاين ذلك خرّ
مغشياً عليه^(٥٧٠).

562	/	.
563	:	- -
564	()	/
565	/	.
566	/	.
567	()	:
568	/	/
569	/	.
570	/	/

١٢ - **الدَّهَاب:** وهو من المتشيطنة، يوجد في جزائر البحار، ويبدو على صورة إنسان راكباً على نعامة، يأكل لحوم الناس الذين يقذفهم البحر، وإذا تعرّض لمركب في البحر، وأراد أخذ أحد ركابه، فحاربوه، صاح بهم صيحة، خرواً على وجوههم، فأخذهم^(٥٧١).

١٣ - **الشَّق:** جنس من المتشيطنة، صورة الواحد منهم على نصف صورة الإنسان، له عين واحدة ورجل واحدة، أو هو حيوان كالإنسان، له عين واحدة، يخرج من الماء ويتكلم، وقيل إنه لكل واحد منهم نصف بدن، ونصف رأس، ويد ورجل، كأنه إنسان، شق نصفين، يقفز على رجل واحدة قفزاً شديداً، وكثيراً ما يعرض للرجل المسافر إذا كان وحده، فربما هلك فزعاً، وربما أهلكه ضرباً وقتلاً، من ذلك ما حدث مع علقمة بن صفوان الذي عرض له الشق، فقتل كلُّ منهما الآخر^(٥٧٢).

١٤ - **المذهب:** شيطان ضَعَفَةُ النَّسَاكِ وأغبياء العباد، يُسْرَج لهم النيران، ويضيء لهم الظلمة؛ ليفتنهم، ويريهم العجب، وقيل إن بعض العباد نزل صومعة، يتعبد فيها، فأتاه شخص بسراج وطعام، فتنعّب العابد من ذلك، فقال له شخص بالصومعة: إنه لمذهب، يريد أن يُخِيل لك، أن ذلك من كرمه، والله إنني لأعلم أنه شيطان^(٥٧٣).

١٥ - **الخَبَل والخَبَل:** الخَبَل فساد الأعضاء، حتى لا يدري كيف يمشى، وخَبَل الحب قلبه، إذا أفسده بخبله، وأصابه خَبَل أي فالج، وفساد أعضاء وعقل، والخَبَل بالتحريك الجن، والخَبَل: الإنس، وخَبَلت يده، إذا ثَلَّتت، والخَبَلُ: ضَرَبٌ من الجن، يقال لهم الخَبَل^(٥٧٤)، ومنه قول حاتم الطائي: ^(٥٧٥).

- 571

- 572

- 573

- 574

- 575

ولا تقولي لِمَالِ كُنْتُ مُهْلِكُهُ مَهْلًا، وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْجِنَّ وَالْخَبَلَا (البسيط)
أي لا تعذليني في مال أنفقته، ولو كنت أعطيه الجن، ومَنْ لا يثنى عليه، والخابل: الشيطان
والمُفْسِد، ومنه قول معقل بن خويلد: (٥٧٦)

فَعَلْتُمْ بِهِمْ خَبَلًا مِنْ الشَّرِّ خَابِلًا (الطويل)

والخَبْلُ والخَبْلُ: الجنون، يقال به خَبْلٌ أي مَسٌّ، وهذه المعاني تشترك في معنى واحد، وهو الفساد
والإتلاف والجنون.. فالخابل والخبل: نوع من الجن يخبلون الناس (٥٧٧)، أي يذهبون بعقولهم
ويفسدونها، ويتفق هذا مع قول أوس بن حجر الذي عزل الجن الذين يخبلون عن غيرهم،
بقوله (٥٧٨): "تناوح جنان بهن وخَبْلٌ". وتلك علامة أهل الربا يوم القيامة، بعثوا وبهم خبلٌ من
الشيطان، وقيل هو التخيل الذي يتخبله الشيطان من الجنون (٥٧٩)، والمختبل الذي اختبل عقله، أي
جُنَّ، وقد خبله الشيطان والحزن، والحبُّ والداءُ خبلاً، فالمعاني المتماثلة والمشاركة، تؤكد كون
الخبل الذي تقوم به هذه الكائنات، هو المسُّ، والمسُّ نوع من الجنون، بدليل ما قاله نابغة بني
شيبان: (٥٨٠)

الطويل

يقولُ الشُّرُوبُ: أَي دَاءٍ أَصَابَهُ؟ أَتْخَبِيلُ جَنَّ أَمْ دَهَاهُ المَرُوقُ (٥٨١)

فهو يتساءل ماذا دهاه؟ أهو الجنون والخبل أم هي مصيبة من يولع بالشرب!.

576 - / :

577 - / .

578 - :

579 - (.) / . :

580 - :

581 - :

الفصل الثالث

الجن والإنسان في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: الصراع بين الجن والإنس

المبحث الثاني: الوقاية من الجن والاستعانة بها

المبحث الثالث: الزواج بين الجن والإنس

المبحث الرابع: تسخير الجن

المبحث الخامس: مكافأة الجن للإنس على الخير والشر

المبحث السادس: شياطين الشعراء.

المبحث السابع: الجن والكهانة و السحر.

المبحث الأول

الصراع بين الجن والإنس

لا تخلو أمة من الأمم القديمة، من وجود عالم غير مرئي، يزخر بمخلوقات، تمتلك قوى خارقة، تصنع الخير والشر، دعيت تارة بالآلهة، وتارة بالجن، وثالثة بالأرواح، فالعرب أمة من هذه الأمم، تخيلت وجود تلك الكائنات التي ملأت بواديهم وفلواتهم، واتصفت بقدرة عظيمة، وسطوة جبارة تنفع حيناً، وتضرُّ أحياناً كثيرة، دعوها جنأً؛ وشكلت هذه الكائنات عالماً آخر، مقابل عالم الإنس، عالماً يتضمن ثنائية الخير والشر، تبدو شخصياته غامضة، وغريبة في مقدرتها على التشكل، والتعرض للمسافرين في الصحراء، وتتنوع علاقة الإنس بها، فهي تقوم على العداة والصراع لبني البشر، أكثر مما تحمله من المحبة والخير.

ولو عدنا إلى كنه هذا العداة؛ لوجدناه قديماً، وصراعاً أزلياً، مثل فيه الشيطان الشخصية الرئيسية، على مسرح الأحداث، منذ أن تسلل إبليس إلى الجنة، ووسوس إلى آدم وحواء بالأكل من شجرة المعرفة، كما أقرت الآيات القرآنية، في قوله تعالى: " فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ " (٥٨٢)، ولم يقتصر دور الشيطان على ذلك، وإنما نُسبَ إليه أنه، هو الذي وسوس إلى قابيل، كي يقتل أخاه هابيل.

وربما نجد في قول المزرذ أخي الشماخ بن ضرار ما يؤكد وسوسة الشيطان للإنسان، وتزيين فعل السوء له، ودفعه إليه، وذلك في قوله: (٥٨٣)

(الطويل)

وَأَيُّقَنَ إِذْ مَاتَا بِجُوعٍ وَخَيْبَةٍ وَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ إِنَّكَ عَائِلٌ (٥٨٤)

فالشيطان في رأي الشاعر، يوسوس للإنسان؛ كي يبعده عن الصدقة، فيوحي له بأنه فقير، وليس عليه صدقة، ويتضح عداة الشيطان للإنسان، من خلال قول عنتر بن شداد مصوراً كل عدو له بالشيطان: (٥٨٥)

(البسيط)

- 582

- 583

- 584



»(٥٩٠)

ولا بد من الإشارة، إلى أن بعض الروايات، تنسب ذلك العداء إلى الحية التي توحدت مع الشيطان، وكانت الوسيلة التي دخل بها إلى الجنة، لإغواء حواء، ويثبت ذلك ما لحق بها، إذ مسخها الله، فبعد أن كانت بحجم الناقة أو الجمل، تمشي على أربع قوائم، أصبحت تزحف على بطنها، وتُسف التراب^(٥٩١)، وتتخلص علاقة العداء بين الشيطان والإنسان، من خلال أبيات لأمية بن أبي الصلت، يقول فيها:^(٥٩٢)

(الطويل)

لَأَدَمَ لَمَّا كَمَلَ اللَّهُ خَلْقَهُ فَخَرُّوا لَهُ طَوْعاً سُجُوداً وَكَدَّوْا

وَقَالَ عَدُوُّ اللَّهِ لِلْكَبِيرِ وَالشَّقَا لَطِينَ عَلَى نَارِ السَّمُومِ فَسَوِّدُوا

فَأَخْرَجَهُ الْعَصِيانُ مِنْ خَيْرِ مَنَزَلٍ فَذَاكَ الَّذِي فِي سَالِفِ الدَّهْرِ يَحْقِدُ

عَلَيْنَا وَلَا يَأْلُوا خَبَالاً وَحِيلَةً لِنُورِدَهَا نَاراً عَلَيْهَا سَيُّورِدُ^(٥٩٣)

فَمَالِكَ فِي الشَّيْطَانِ وَالنَّارِ أَسْوَةٌ إِذَا مَا صَلَّيْتَ النَّارَ بَلْ أَنْتَ أَبْعَدُ

هُوَ الْقَائِدُ الدَّاعِي إِلَى النَّارِ لِأَيْتَانَا لِيُورِدَنَا مِنْهَا وَلَا يَتَّوَرِدُ

فَمَالِكَ فِي عُذْرِ وَطَاعَةِ فَاسِقٍ وَمَالِكَ فِي نَارِ صَلَّيْتَ بِهَا يَدُ

ويقول أمية بن أبي الصلت في عقاب إبليس:^(٥٩٤) (المتقارب)

وَقَالَ لِإِبْلِيسَ رَبُّ الْعِبَادِ أَنْ أَخْرُجْ دَحِيرًا لَعِينًا دُؤُومًا

- 590

- 591 / :

- 592 :

- 593 :

- 594 :

وهذا يتفق مع قوله تعالى: " ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ يَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ لِيُزِيلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا سُبُلَ الْحَدِيثِ الَّتِي كَانُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ حُبًّا ۗ لَمَّا بَدَأَ يَتسَاءَلُونَكَ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا عَنِ السُّورِ ۗ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ غَفُورٌ ذَكِيمٌ ۝٥٩٥﴾ "

ونخلص مما سبق، إلى أن العداة مستمر، بين أطراف الصراع الى يوم الدين، خاصة وأن الحية صورة من صور الشيطان، فيبقى التوحد بينهما قائماً، من حيث الماهية والكيفية والغائية لكل منهما، ويتضح ذلك في قوله تعالى: " ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا عَنِ السُّورِ ۗ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ غَفُورٌ ذَكِيمٌ ۝٥٩٦﴾ "

فالعداة والصراع مستمر. وهناك كثير من القصص والحكايات التي تؤكد ما نسبوه إلى الجن، من أمور غير طبيعية، كالأمرض والأوبئة، والصرع والاستهواء والجنون، وتشير إلى هذا الصراع والعداء، منها على سبيل المثال لا الحصر، ما حدث لعقمة بن صفوان مع الشق، حين لقيه بـ "رحا حرمان" وكيف قتل كل منهما الآخر.^(٥٩٧)

وقد تقتل الجن أحدهم، فيحاول ذوو المقتول الأخذ بثأره، أو يقتل إنسان جنًا عن طريق الخطأ، وهو متصور بصورة الحيوان، " فيروى أن رجلاً من كلب، يقال له مرير، كان له أخوان أكبر منه يقال لهما "مرارة ومرة" قد اختطفهما الجن، فلما عرف "مرير" أقسم ألا يشرب خمراً، وأن لا يمس رأسه غسل حتى يطلب بأخويه، فتنكب قوسه، وأخذ أسهماً، ثم انطلق إلى ذلك الجبل الذي هلك فيه أخواه، فمكث فيه سبعة أيام، لا يرى شيئاً، حتى إذا كان اليوم الثامن، إذا هو بظليم، فرماه فأصابه، فوقع في أسفل الجبل، فلما وجبت الشمس تبصر بشخص على صخرة ينادي:

يا أيُّها الرامي الظليم الأسود تَبَّتْ مَرَامِيكَ الَّتِي لَمْ تُرْشَدْ

- 595

- 596

- 597

فأجابه مريز:

يا أيها الهاتفُ فوق الصَّخْرَةِ كَمْ عِبْرَةٍ هَيَّجَتْهَا وَعَبْرَهُ

بَعَثَلَكُمْ مُرَارَةً وَمُورَةً فَرَّقَتْ جَمْعاً وَتَرَكَّتْ حَسْرَهُ

فتوارى الجنيُّ عنه هويّاً من الليل، وأصاب مريزاً حمى، فغلبته عيناه، فأتاه الجنيُّ فاحتلمه، وقال

له: ما أنامك وقد كنت حذراً، فقال: "الحمى أضرتني للنوم"^(٥٩٨)، فذهب مثلاً فقال مريز: ^(٥٩٩)

ألا مَنْ مَبْلُغٌ فَنَيَانَ قَوْمِي بما لَأَقِيْتُ بَعْدَهُمْ جَمِيعاً (الوافر)

عَزَوْتُ الْجِنَّ أَطْلُبُهُمْ بِنَّارِي لَأَسْقِيَهُمْ بِهِ سُمّاً نَقِيعاً

فَيَعْرِضُ لِي ظَلِيمٌ بَعْدَ سَبْعِ فَأَرْمِيهِ فَأَثْرُكُهُ صَرِيعاً

فالقصة وإن لم تكن حقيقة؛ لأن الميداني أوردتها، ليؤكد بها معنى المثل، فإنها تدل على قوة اعتقاد الجاهليين بالقدرة على مخاطبة الجن، والتعامل معها، وعلى العداة والصراع بين الإنس والجن، ومحاولة الإنس الثأر منها.

وممن نسب قتلهم إلى الجن، حرب بن أمية الذي قتلته الجن؛ ثأراً للحية التي اعترض لها وجماعته، وقتلوها، وما زالت حية أخرى تلاحقهم، وتنفر إبلهم، حتى صادفوا شيخاً من الجن، علمهم كيف يتغلبون عليها^(٦٠٠)، فقتلت حرب بن أمية انتقاماً، وقالت في ذلك شعراً: ^(٦٠١)

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانِ قَفْرِ وَلَيْسَ قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ (الرجز)

ويقول أمية بن أبي الصلت مشيراً إلى مكانة حرب بن أمية، ومؤكداً ضرورة الانتقام له، من الجن: ^(٦٠٢)

(الوافر)

598	-	:	/	.
599	-	/	-	.
600	-	/	.	.
601	-	/	/	.

فلو قتلوا بحربِ ألفِ ألفٍ من الجنِّ والإنسِ الكرامِ

رَأَيْنَاهُمْ لَهُ دَخْلًا وَقُلْنَا أرونا مثلَ حربِ في الأنامِ

وكل هذا يشير إلى أن العلاقة بين الجن والإنس، كالعلاقة بين القبائل بعضها ببعض. واستمرت هذه المعتقدات حتى العصر الإسلامي؛ إذ نسب إلى الجن أنها قتلت "سعد بن عباد"، بدليل أنه بقي في مغتسله، حتى اخضرَّ جسده، ولم يشعر بموته أحد، حتى سمعوا قائلاً، يقول ولا يرون أحداً: (٦٠٣)

قَدْ قَتَلْنَا سَيِّدَ الْخَزَرَ ج سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ (مجزوء الرمل)

وَرَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْنِ قَلَمٌ نُخِطُ فُوَادَهُ

وخير ما يمثل ذلك الصراع في الشعر الجاهلي ما ورد عن "ثابت بن جابر" تأبط شراً، إذ يقول: (٦٠٤)

أَلَا مَنْ مَبْلَغُ فَنِيَانِ فَهَمَّ بِمَا لَاقَيْتُ عِنْدَ رَحَى بَطَانِ (٦٠٥) (الوافر)

بَأْنِي قَدْ لَقَيْتُ الْغَوْلَ تَهْوِي بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانَ (٦٠٦)

فَقُلْتُ لَهَا: كِلَانَا نِضْوُ أَيْنِ أَخُو سَفَرٍ فَخَلِي لِي مَكَانِي (٦٠٧)

شَدَّتْ شَدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَى لَهَا كَفِّي بِمُصْفُولٍ يَمَانِي

فَأُضْرِبُهَا بِلَا دَهْشٍ فَخَرَّتْ صَرِيحاً لِلْيَدَيْنِ وَاللِّجْرَانِ (٦٠٨)

- 602

- 603

- 604

- 605

- 606

- 607

- 608

قَالَتْ: عُدْ، فَقُلْتُ لَهَا: رُوَيْدًا مَكَانَكَ إِنِّي تَبْتُ الْجَنَانَ

فَلَمْ أَنْفَكْ مُتَكِنًا عَلَيْهَا لِأَنْظُرَ مُصْنِبًا مَاذَا أَتَانِي

يسجل الشاعر ما حدث له مع الغول، ويبحث عن مبلغ لخبره، ويحدد المكان "رحى بطن" الذي التقى فيه معها، ويحاول أن يجعل الحادثة حقيقة، لها شخوصها ومكانها، ويصف المكان، بأنه صحراء مستوية ملائمة لصراعه معها، مما يثبت اعتقاد العرب بظهور الغول في الصحراء المقفرة، وتعرضها للمسافرين، ويجعل الغول هي البادئة بالهجوم؛ ليوحي بعدوانيتها، كما رسخت في أذهان العرب، ويعمد إلى إبراز شجاعته وبطولته، إذ لم يتردد لحظة في التصدي لها، ولم يفكر في الهرب، فما إن هجمت عليه، حتى بادرها بسيف يمانى قاطع، وضربها ضربة الموت، فتسقط أرضاً تتخبط بدمائها، وفيها بقية من روح، فتطلب منه أن يتركها ويعود من حيث أتى، ثم تطلب منه أن يعود؛ فيضربها ضربة ثانية، فيرفض؛ لاعتقاده أنه إذا ضربها الضربة الثانية عادت الحياة إليها^(٦٠٩)، وهذا ما يتردد في الحكايات الخرافية "ثني، ما علمتني أمي، ضربة الرجل ما تنتنّاش"^(٦١٠)، وفي هذا استجداء الحياة للمهزوم، وهو لا يأبه لطلبها، ولا يخاف عاقبة قتلها، فيرد عليها بلغة المنتصر المتمكن، طالباً منها أن تلزم مكانها صامتة؛ لأن لديه قلب الشجاع الذي لا يهاب، ويبقى جاثماً على صدرها، حتى لاح الصباح، وبدأ بوصف جسدها.

فالقصة التي سردها الشاعر شعراً، تعكس شعوره بالمطاردة، ذلك الشعور الذي كان ثقيل الوطأة على نفسه، فأقضى مضجعه، وأرقه، وبعث فيه الفلق والتوحش، فجعله في خوفٍ دائمٍ من كل شيء، حتى بلغ به حد الوهم، وتصور أعداء لا وجود لهم، ومخلوقات لم تخلق قط إلا في خياله، وخيال الأساطير، كالأغوال والجن وغيرها^(٦١١).

609 - / .

610 -

611 - :

ويروى عن الشاعر نفسه قصة أخرى مع الغول، مضمونها، أنه راودها عن نفسها
إعجاباً وفتنة بها، ولما رفضت قتلها، وصاغ ذلك شعراً، فقال^(٦١٢): (المتقارب)

فأصبحتُ والغولُ لي جارةٌ فيا جارتا أنتِ ما أهولاً

612 - : /

وطالبتها بضعها فالتوت	بوجه تهول فاستغولا ^(٦١٣)
فقلت لها يا انظري كي تري	فولت فكنت لها اغولا ^(٦١٤)
فطار بقحف ابنة الجن ذو	سفايق قد اخلق المحملا ^(٦١٥)
إذا كل امهينه بالصفا	فحد ولم اره صيقل ^(٦١٦)
عطاءه فقر لها حلتا	ن من ورق الطلح لم تغزلا ^(٦١٧)
فمن سائل أين توت جرتي	فإن لها باللوى منزلا ^(٦١٨)
وكنت إذا ما هممت اعزمت	وأجر إذا قلت أن أفعلا ^(٦١٩)

فالشاعر يقص علينا ما حدث مع "جارته الغول" ويؤكد اعتقاد العرب بأن الغول نوع من الجن، تتشكل بهيئة جميلة " فطار بقحف ابنة الجن"، ويصف سيفه بالحدة والقطع؛ ليبين معتقداً كان سائداً، وهو أن ضربته أطاحت برأسها عن جسدها، مما يعزز اعتقادهم بموت الغول من ضربة واحدة، فإذا ضربت ضربة أخرى، عاشت، فينشد الجاحظ قول الشاعر: ^(٦٢٠) (الطويل)

فثبيت والمقدار يحرس أهله
فلبيت يميني قبل ذلك شئت

فالشاعر يندم على ضربه الغول ضربة ثانية؛ لأنها عاشت ولم تمت، ويثبت تأبط شراً اقترا به منها، ومحاولتها التمتع عليه، حتى قدر على قتلها، فقصة تأبط شراً، تبين نظرة الإنسان إلى

613	:
614	:
615	:
616	:
617	:
618	:
619	:
620	/ :

الغول، وطبيعة العلاقة بينهما، وقدرة الجن على التشكل والتلون، على الصعيدين الجسدي والنفسي، فقد استخدم كلمة جارتني أكثر من مرة، ليؤكد قربها منه.

ويعدُّ عنتره بن شداد من الشعراء الذين وقفوا على تلك العلاقة، وإن لم يفصح، أو يوضح، ولم يطل الوقوف عليها، كما فعل تأبط شرأ، فيقول عنتره: (٦٢١)

إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَطَعْتَ بَرًّا مُقْفَرًا وَسَأَلَكُنَّ تَحْتَ الدُّجَى فِي جَحْفَلٍ
فَأَنَا سَرِيْتُ مَعَ الثَّرِيَّا مُقْفَرًا لَا مُؤْنَسٌ لِي غَيْرَ حَدِّ الْمُنْصَلِ
وَالغُولُ بَيْنَ يَدَيَّ يَخْفَى تَارَةً وَيَعُودُ يَظْهَرُ مِثْلَ ضَوْءِ الْمَشْعَلِ
بِنِوَاظِرِ زُرْقٍ وَوَجْهِهِ أَسْوَدٍ وَأَظَافِرِ يُشْبِهْنَ حَدَّ الْمِنْجَلِ
وَالجِنُّ تَفْرُقُ حَوْلَ غَابَاتِ الْفَلَا بِهِمَاهِمٍ وَدِمَادِمٍ لِمِ تَعْفَلِ
وَإِذَا رَأَتْ سَافِرِي تَضَجُّ مَخَافَةً كَضَجِجِ نُوقِ الْحَيِّ حَوْلَ الْمَنْزَلِ
تِلْكَ اللَّيَالِي لَوْ يَمُرُّ حَدِيثُهَا بَوْلِيدِ قَوْمِ شَابٍ قَبْلَ الْمُحْمَلِ

فالشاعر يثبت أنه لقي الغول، ويظهر شجاعته في ذلك الموقف المرعب، الذي ظهرت له به، إذ كانت في صورة مرعبة ومخيفة، ويؤكد ما اعتقده العرب، من ظهورها ليلاً، واعتراضها للمسافرين في الأماكن المقفرة، ويقرن الغول بالجن، كما فعل تأبط شرأ، إلا أنه جعل الجن تخاف منه وتضج لرؤيته، وجعلها تصوت وتتحرك بحركات تشبه حركات النوق حول المنازل، ويصف شدة هول تلك الليلة، بأن الوليد يشيب من سماع الحديث عنها، وقد اكتفى بوصف أثرها في نفسيته، ولم يصرِّح أو يوج بأنه خاض صراعاً معها أو قتلها، وإنما جعلها تضج من رؤيته فقط. تعكس الأشعار السابقة عداً تلك الكائنات الذي تمثل في قتل الجن للإنس، ومحاولة أخذها

بئأرها منه، وقتل الإنس للجن، ويتجلى خوف الإنس من الجن، وهروبها منها، في قول
الخطيبية: (٦٢٢)

خافوا الجنانَ وفروا منْ مُسومةٍ يُلوى بأعناقها الكتانُ والأبقُ (البسيط)

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تعداه إلى اختطاف الجن للإنسان، فقد روي أنها
اختطفت عمرو بن عدي، وعمارة بن الوليد، وطالب بن أبي طالب^(٦٢٣)، فلم يجدوا لهم أثراً،
وخرافة الذي قال فيه الشاعر: (٦٢٤) (الوافر)

حياةٌ ثم موتٌ ثم بعثٌ حديثُ خُرافةٍ يا أمَّ عمرو

وإن اختلف الشعراء في نسبة هذا البيت، فإنه يبقى دليلاً على اختطاف الجن للإنس،
فالجن مثل البشر، تتصادق مع البشر، وتتباغض، وقد تختطفهم وتصرعهم.

622 - :

623 - /

624 - /

المبحث الثاني

الوقاية من الجنّ والاستعانة بها

شكّلت الجن هاجس الرعب، بالنسبة للجاهليين، فنراهم ينسبون إليها كل ما يلحق بهم من أمراض، وبخاصة العقلية والعصبية، "فالخبيل أحد الأمراض التي نسبوها إلى الجن، إذ يخبل الناس ويسلب عقولهم"^(٦٢٥)، يقول أوس بن حجر: (٦٢٦)

لَلَّيْلِ بِأَعْلَى ذِي مَعَارِكٍ مَنْزِلٌ خَلَاءُ تَنَادَى أَهْلُهُ فَتَحَمَّلُوا (٦٢٧)

تَبَدَّلَ حَالًا بَعْدَ حَالٍ عَهْدُهُ تَتَاوَحَّ جَنَّانٌ بِهِنَّ وَخُبْلُ

تبدو ليلي في الشعر الجاهلي "مثل "ديانا" ربة الصيد عند الرومان، يهيم على ديارها الذين خبلهم حبها؛ فأفقدتهم عقولهم"^(٦٢٨)، ولا عجب في ذلك، فقد ربط القرآن الكريم الخبل بالشیطان؛ فجعل الذين يأكلون الربا، لا يقومون، إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، فهو كالمجنون^(٦٢٩).

ويشبه عامر بن الطفيل الأعداء الذين غلبوه وقومه على أمرهم، بطائفة الجن التي تصيب الإنسان بالخبيل، فيقول: (٦٣٠)

فَلَوْ كَانَ جَمْعٌ مِثْلُنَا، لَمْ يَبْرُتْنَا وَلَكِنْ أَتَانَا كُلُّ جِنَّ وَخَابِلُ

وقد أشار الأعشى إلى ذلك بقوله: (٦٣١)

البسيط

625 - () :

626 - :

627 - :

628 - :

629 - " :

630 - :

631 - :

فَكُنَّا مُعْرَمٌ يَهْدِي بِصَاحِبِهِ نَاءٍ وَدَانٍ، وَمَخْبُولٌ وَمُخْتَبِلٌ

فقد أصبح كلُّ منهم فاقداً عقله من شدّة الحبِّ، فكأنه أصابه جنونٌ. ويقول أبو خراش الهذلي
مشيراً إلى أثر الجن، وما تلحقه بالإنسان: (٦٣٢) (الطويل)

شديدُ الأسي بادي الشُّحوبِ كأنِّي أخوجئةٌ يعتاذهُ الخَبْلُ في الجسمِ

فقد أصبح ساهمَ الوجهِ شاحبه، كأنَّ به جنوناً، وهكذا فقد نسبوا الجنون إلى الجن، وجعلوه تلبس
الجن للإنسان، ودخولها جسمه.

ولم يقتصر الجنون على الإنسان، وإنما نسبوا إلى الجن جنونَ الحيوان، فالأعشى يقول: (٦٣٣)
وَتُصِيحُ مِنْ غَبِّ السُّرَى وَكَأَنَّمَا أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجِنِّ أَوْلَقُ (٦٣٤)
(الطويل)

فهو يصف ناقته بالجنون، من نشاطها واجتماع قوتها، إذ لم يضعفها طول السرى، مما يدل على
أن النشاط في رأي الجاهليين من الجنون. لأن "الطيف هو الغضب، ويسمى الجنون والغضب
والسوسة طيفاً؛ لأنه لمة من الشيطان" (٦٣٥)، وقد يصرع الجنُّ، والصرع من الجنون، وهذا ما
ورد في قول دعلج الحكم: (٦٣٦)

وَكَيْفَ يُفِيقُ الدَّهْرَ كَعَبُ بْنُ نَاشِبٍ وَشَيْطَانُهُ عِنْدَ الْأَهْلَةِ يُصْرَعُ (الطويل)

ومن مزاعم العرب، أن الطاعون رماح الجن، ويعتبرونه عقاباً من الجن للإنس، قال
الأسدي (٦٣٧) مخاطباً الحارث الملك الغساني: (٦٣٨) (الوافر)

632 - / :

633 - :

634 - :

635 - / :

636 - :

637 - / :

لَعَمْرُكَ مَا خَشَيْتُ عَلَى أَبِي رَمَاحَ بَنِي مُقَيِّدَةَ الْحِمَارِ (٦٣٩)

ولكني خَشَيْتُ عَلَى أَبِي رَمَاحَ الْجِنِّ أَوْ إِيَّاكَ حَار

فالشاعر يرى أن ثمة خطرين يُهددان أبياً، وهما حَرِيَّانُ بَأْنُ يَهَابُهُمَا المرءُ، أما الأولُ، فهو الطاعون الذي تسببه الجن، والثاني فهو غَضَبُ الْمَلِكِ الْحَارِثِ.

وقد أَرَجَعَ حسان بن ثابت طاعونا، حلَّ بالشام إلى وخز الجن، بقوله: (٦٤٠) (البيسط)

فَأَعْجَلَ الْقَوْمَ عَنْ حَاجَاتِهِمْ شُعْلُ مِّنْ وَخَزِ جِنِّ بَأْرَضِ الرُّومِ
مذكور (٦٤١)

ويقول زيد بن جندب الإيادي: (٦٤٢) (الطويل)

وَلَوْ لَا رَمَاحُ الْجِنِّ مَا كَانَ هَزَّهُمْ رَمَاحُ الْأَعَادِي مِّنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَم

وتأتي السِّفَعَةُ ضمن هذه المعتقدات، إذ تعتبر نظرة الجن، وتبدو عين الجن أكثر ضرراً من عين الإنسان، بدليل قول بعضهم: (٦٤٣) (الطويل)

وَقَدْ عَالَجُوهُ بِالْتَّمَائِمِ وَالرُّقَى وَصَبُّوا عَلَيْهِ الْمَاءَ مِنْ أَلْمِ التَّكْسِ

وقالوا أصابته من الجن أعينٌ ولو علموا داووه من أعين الإنس

فانطلاقاً من هذه التصورات، شعر الجاهلي بضرورة التقرب إلى الجن؛ بالتحالف معها، وعقد الصلح والمعاهدات. وتعد الاستعاذة بالجن وسيلة أخرى، اتبعها الجاهليون للتخلص من أذاها؛ لأن الاستعاذة تكون بقوة غيبية خارقة، من أجل التغلب على شر قوة أخرى، وذلك في

/ - 638

: - 639

: - 640

: - 641

/ - 642

/ - 643

سياق صراع الإنسان العربي مع الطبيعة، أو قوى بشرية أخرى، وليس أدل على ذلك، من اعتقادهم، أن من لطخ بدنه بشحم الأسد، هربت منه السباع^(٦٤٤)، فمن ذلك ما يحكى عن "حجاج ابن علاط السلمي" أنه قدم مكة في ركب، فأجتهم الليل بواد مخوف موحش، فقال له الراكب: قم وخذ لنفسك أماناً ولأصحابك، فجعل يطوف بالركب، ويقول: ^(٦٤٥)

أَعِيدُ نَفْسِي وَأَعِيدُ صَحْبِي مِنْ كُلِّ جَنِيٍّ بِهَذَا النَّقْبِ (الرجز)

حتى أؤوبَ سالمًا ورَكْبِي

وحينما كانوا يعوذون بالجن، فإنهم كانوا يخاطبونهم، بلهجة فيها التذلل لهم، والتمجيد لسيد الجن وتعظيمه، كي يمن عليهم بالرعاية والحماية، قال أحدهم، وقد نزل أرضاً موحشة: ^(٦٤٦) (الرجز)

أَعُوذُ مِنْ شَرِّ الْبِلَادِ الْبَيْدِ بَسِيْدٍ مُعْظَمٍ مَجِيْدٍ

أَصْبَحَ يَاوِي بِلْوَى زَرُوْدٍ ذِي عَزَّةٍ وَكَاهِلٍ شَدِيْدٍ

فالعرب كانت في خوف دائم من الجن؛ فلذلك كانوا إذا احتوتهم هوجل^(٦٤٧)، يستجرون منها رهبة لا رغبة، فقد: كان العرب إذا سار أحدهم في تيه من الأرض، وخاف الجن، يقول رافعاً صوته، مستجيراً بسيد هذا الجن: أنا مستجيرٌ بسيد هذا الوادي، فيقدم له الخفارة^(٦٤٨).

وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك المعتقدات، بقوله: "وأنه كان رجالاً من الإنس يعوذون برجالٍ من الجن، فترادوهم رهقاً"^(٦٤٩).

ويبدو تفاوت إيمان الجاهليين بهذه المعتقدات، فهذا رجل يستعيز بعظيم الوادي من الجن؛ ليحميه وولده، فلم يمنعه ذلك، من أن يأتي أسد، ويفترس ابنه، فيقول: ^(٦٥٠)

— 644

— 645

— 646

— 647

— 648

— 649

قد استعدنا بعظيم الوادي من شر ما فيه من الأعداي (الرجز)

فلم يُجرنا من هزبر عادي

يلاحظ أنّ الجنّ لدى العرب قد ينفعون، وقد يضرّون، ولهم سادة وعظماء، يرتقون في أذهان العرب إلى مكانة تقترب من مكانة الآلهة، بما يملكونه من قدرات فائقة، الأمر الذي قاد بعض الجاهليين إلى عبادتها، وربطها بعبادة الأوثان، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون، أنّ كل ما يحلّ في الأوثان مرتبط بالجن، فكما جاء في إحدى الروايات، أنه كان في كلّ من " اللات والعزى ومناة شيطانة، تكلم العرب الجاهليين، وتترأى للسدنة، وما الشيطانة إلا جنية" (٦٥١)، وإن كان بعض منهم، قد رفض عبادة الجن، كما رفض عبادة الأوثان، وهذا ما فعله زيد بن عمرو بن نفيل، وعبر عنه في شعر يُنسب إليه، في رواية مرفوعة إلى أسماء بنت أبي بكر، وكان قد سعى في تحطيم هذه العبادة، وإسقاط هذا الصنف الروحي من الآلهة، فيقول في ذلك: (٦٥٢)

عزّلتُ الجنَّ والجنَّانَ عني كذلك يفعلُ الجلدُ الصبورُ (الوافر)

فلا العزى أدينُ ولا ابنتيها ولا أظمي بني طسم أديرُ (٦٥٣)

وقد مدح ورقة بن نوفل ما فعله زيد بن عمرو، من ترك عبادة الأوثان، وما يحلّ فيها من الجن، مشيراً إلى أن العرب، كانت تضع رجاءها في تلك الآلهة من الجان؛ لما لها في نفوسهم من رهبة وخشية، ويعبر عن إيمانه، بأنّ الجنّ هي أضعف، من أن يتعوذ بها الإنسان، وأنّ الحماية الحقيقية، إنما تكون في جنب الله، وينسب إليه قوله: (٦٥٤) (الطويل)

رشدت وأعمت ابن عمرو وإيما تجببت ثوراً من النار حاميا

بدينك رباً ليس ربُّ كمثلِه وتركك جنان الخبال كما هيا

- 650

- 651

- 652

- 653

- 654

حَنَانِيكَ لَا تُظْهِرْ عَلَيَّ الْأَعَادِيَا

أَقُولُ إِذَا جَاوَزْتُ أَرْضًا مَخُوفَةً

وَأَنْتَ إِلَهِي رَبَّنَا وَرَجَائِيَا

حَنَانِيكَ إِنَّ الْجِنَّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ

ويبدو ذلك في قول الأعشى، داعياً إلى عبادة الله، وترك عبادة الشيطان: (٦٥٥) (الطويل)

وَصَلِّ عَلَى حِينَ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ، وَاللَّهُ فَاحِمَدَا

ونلمح ذلك في قول عبد الله بن الحارث، وهو في الحبشة، ذاكراً نفي قريش إياهم من بلادهم، ومعاتباً بعض قومه في ذلك: (٦٥٦)

(الطويل)

نَفَثُهُمْ عِبَادُ الْجِنَّ مِنْ حَرٍّ أَرْضِيهِمْ فَأَضْحَوْا عَلَى أَمْرِ شَدِيدِ الْبَلَابِلِ

وهكذا فقد آمن بعضُ الجاهليين، أن تلك الكائنات، هي القوى العظمى التي بيدها النفع والضرر، فلجأوا إليها في الملمات، وإن رَفَضَ بعضهم ذلك الاعتقاد.

ويبدو التفاوت في إيمانهم بقدرتها على حمايتهم، وخوفهم منها، أنهم كانوا إذا دخل أحدهم قرية، خاف من جن أهلها، ومن وباء الحاضرة أشدَّ الخوف، إلا أن يَقَفَ على باب القرية، فَيُعَشِّرُ كما يُعَشِّرُ الحمار في نهيقه، ويعلقُ عليه كعبَ أرنب، وقاية من العين والسحر (٦٥٧)، وهذا الشاعر يقول منكرًا قدرة هذه الطقوس على الحماية في ذلك: (٦٥٨) (الطويل)

وَلَا يَنْفَعُ التَّعْشِيرُ فِي جَنْبِ جَرْمَةٍ وَلَا دَعْدَعُ يُغْنِي وَلَا كَعْبُ أَرْنَبٍ (٦٥٩)

وقد أنكره "عروة بن الورد"، وردَّ على الذين عشروا بالقرب من خيبر، فقال: (٦٦٠)

وَقَالُوا: احْبُبْ وَأَنْهَقْ، لَا تَضِيرُكَ خَيْبَرٌ وَذَلِكَ، مِنْ دِينِ الْيَهُودِ، وَوَلَوْغُ (الطويل)

- 655

- 656

- 657

- 658

- 659

- 660

لَعْمَرِي، لَيْنُ عَشْرَتُ، مِنْ حَشِيَّةِ الرَّدَى، نُهَاقَ حِمَارٍ، إِنِّي لَجَزُوعٌ

فَلَا وَأَلْتُ تِلْكَ النَّفُوسُ، وَلَا أَتَتُّ، عَلَى رَوْضَةِ الْأَجْدَادِ، وَهِيَ جَمِيعُ

فهو ينكر ذلك، ويعده من كذب اليهود الذين آمنوا بقدرة الكلمة وتأثيرها على الجن والشياطين؛ "وكان صحبه قد عَشَرُوا وماتوا، وسَلِمَ هو" (٦٦١) ويستدلُّ من أبياته "أن الرجل كان إذا دَخَلَ خيبرَ أَكْبَّ على أربع، وعَشَرَ تعشير الحمار، وهو أن ينهق عشر نهقات متتابعات، ليدفع عن نفسه حمى خيبر" (٦٦٢)؛ ويرجع ذلك إلى اعتقادهم " أن الشياطين تهرب من نهيق الحمار". (٦٦٣) وقال شاعر آخر يؤيد عروة بن الورد في إنكار التعشير: (٦٦٤)

لَا يُجِينُكَ مِنْ حِمَامٍ وَاقِعٍ كَعَبُّ نُعْلَقُهُ وَلَا تَعْشِيرُ (الرجز)

فهذا يؤكد تفاوت الناس في تقبل هذه الممارسات والمعتقدات. ومما استخدموه تعليق الأقدار على الرجل الذي يخافون عليه الجنون، وتعرض الأرواح الخبيثة له، فكانوا يعمدون إلى تعليق خرقة الحيز، وعظام الموتى، فيقول الممزق العبدى: (٦٦٥)

وَلَوْ كَانَ عِنْدِي حَازِيَانُ وَكَاهِنٌ وَعَلَّقَ أَنْجَاسًا عَلَيَّ الْمَنْجَسُ (الطويل)

ويزعمُ الجاهليون، أن التنجيس يشفي إلا من العشق، الذي اعتقدوا أنه من الأرواح الشريرة، وفي ذلك يقول أعرابي: (٦٦٦)

يَقُولُونَ عَلَّقْ يَا لَكَ الْخَيْرُ رُمَّةً وَهَلْ يَنْفَعُ التَّنْجِيسُ مَنْ كَانَ عَاشِقًا (الطويل)

661 - / /

662 - :

663 - /

664 - /

665 - :

666 - -

666 - /

فالشاعر يخالف معتقداتهم، وينفي قدرة التجسس على تخفيف ما به، مما يؤكد تفاوت
الجاهلين فيما بينهم، في إيمانهم بهذه المعتقدات.

ومن طرق الوقاية التي استخدمها الجاهليون، وسجلها الشعراء في أشعارهم، ما كانوا
يفعلونه، إذا طالت علة المريض، وظنوا أن به مساً من الجن، من ذلك ما قال بعضهم: (٦٦٧)

قَالُوا وَقَدْ طَالَ عَنَائِي وَالسَّقَمُ أَحْمِلْ إِلَى الْجَنِّ جَمَالَاتٍ وَضَمَّ (الرجز)

فَقَدْ فَعَلْتُ وَالسُّقَامُ لَمْ يُرَمَّ فَبِالَّذِي يَمْلِكُ بُرِّي أَعْتَصِم

وقال آخر: (٦٦٨) (الطويل)

فِيَا لَيْتَ أَنَّ الْجَنَّ جَاوَزُوا جَمَالَتِي وَزُحْرَحَ عَنِّي مَا عَنَانِي مِنَ السَّقَمِ

وَيَا لَيْتَهُمْ قَالُوا أَنْطَنَا كُلَّ مَا حَوَتْ يَمِينُكَ فِي حَرْبِ غَمَاسٍ وَفِي سَلَمِ

أَعْلَلُ قَلْبِي بِالَّذِي يَزِعْمُونَهُ فَيَا لَيْتَنِي عُوقِبْتُ فِي ذَلِكَ الزَّعَمِ

ويقول آخر: (٦٦٩)

(الطويل)

أَلَا إِنَّ جِنَانَ الثُّوِيرَةِ أَصْبَحُوا وَهُمْ بَيْنَ غَضْبَانِ عَلِيٍّ وَأَسِيفِ (٦٧٠)

حَمَلْتُ وَلَمْ أَقْبَلْ إِلَيْهِمْ حَمَالَةً تُسَكِّنُ عَن قَلْبٍ مِنَ السَّقَمِ تَأْلِفِ

وَلَوْ أَنْصَفُوا لَمْ يَطْلُبُوا غَيْرَ حَقِّهِمْ وَمَنْ لِي مِنْ أَمْثَالِهِمْ بِالتَّنَاصُفِ

تَعَطَّوْا بِثُوبِ الْأَرْضِ عَنِّي وَلَوْ بَدَّوْا لِأَصْبَحْتُ مِنْهُمْ أَمِينًا غَيْرَ خَائِفِ

667 - /

668 - /

669 - /

670 - :

فالنصوص تشير إلى الشكوى والتذمر، من عدم شفاء المريض، على الرغم مما قاموا به، من استرضاء للجن، فالجن لم تقبل ما قدموه لها، وبقي المريض على حاله، والقائل يبدي استعداداً، لإعطائهم ما يريدون، ليرضوا عنه، فيشفى من مرضه، ويعزو خوفه منهم لسبب اختفائهم عن الأعين في أرض مقفرة (النويرة)، فلو أنهم ظهروا لذهب الخوف من قلبه.

نستنتج من ذلك، أنهم نظروا إلى هذه الكائنات، على أنها ذات قدرات خارقة، وكثيراً ما تستخدمها لإلحاق الأذى ببني البشر، فقد تفتك بالإنسان وتختطفه، ناهيك عما تلحق به من الأمراض، مما دفعهم إلى تسخيرها في العلاج.

المبحث الثالث

الزواج بين الجن والإنس

نشأت بين الإنس والجن علاقات تآلف، منها التزاوج والمعاشرة، فقد زعم الجاهليون أن التناكح والتلاقح، قد يقع بين الجن والإنس، كما زعموا أن المجنونة إذا صرعاها الجني، وذلك عن طريق العشق والهوى، وشهوة النكاح، وأن الشيطان يعشق المرأة منا، وأن نظره إليها، من طريق العجب بها، أشد عليها من حمى أيام.. وأن الجنيات إنما تُعرض لصرع رجال الإنس على جهة التّعشق، وطلب السّقاء، وكذلك رجال الجنّ لنساء بني آدم،^(٦٧١) ويؤكد تلك العلاقة، انتساب بعض القبائل للجن، مثل بني مالك، وبني شيصبان، وبني يربوع الذين تسموا ببني السعلاة^(٦٧٢)، وتتضح إمكانية التلاقح والتناكح بين الجن والإنس، في قوله تعالى: "وشاركهم في الأموال والأولاد"^(٦٧٣)

وهناك من يعدّ الزواج بين عالم الجن والإنس، جزءاً من الصراع بين هذين العالمين، وليس تعبيراً عن استرضاء وتوفيق^(٦٧٤)، ويبين الجاحظ تلك الحقيقة من خلال تعريفه الغول^(٦٧٥).

ويبدو ذلك في تصويرهم المرأة حديدة الطرف والذهن، السريعة الحركة، الممشوقة

بالسعلاة، يقول الأعشى: ^(٦٧٦)
(الخفيف)

وشئوخ حربى بشطى أريك
ونساء كائهن السعالي^(٦٧٧)

- / - 671

- 672

- 673

- 674

- / - 675

- 676

- 677

وهكذا ارتبطت السعلاة في الذهنية الجاهلية بالمرأة، فالشاعر (جران العود) يجمع بين الغول والسعلاة في بيت، يتحدث فيه عن زوجته، وما أحقته به، فيقول: (٦٧٨) (الطويل)

لَقَدْ كَانَ لِي عَنْ ضُرَّتَيْنِ عَدِمْنِيَّ وَعَمَّا أَلَا قِي مِنْهُمَا مُنْزَحْرُحُ

هُمَا الْغَوْلُ وَالسَّعْلَةُ حَلَقِي مِنْهُمَا مُخَدَّشٌ مَا بَيْنَ التَّرَاقِي مُجْرَحُ

وقد يأتي ضمن هذا الباب، تشبيه الحسنات من النساء بالجنيات في باب الفتنة، والسحر المنبعث من حسنهن ووسامتهن، فيقول (حسان بن ثابت) في وصف المرأة: (٦٧٩) (السريع)

جَنِّيَّةٌ أَرَقْنِي طَيْفُهَا تَذَهَبُ صُبْحاً وَتُورِي فِي الْمَنَامِ

وما دامت السعلاة قد تمثلت حسناء، فقد ادعى بعضهم، أنه تزوجها، وأنجب منها، من ذلك ماورد عن (عمرو بن يربوع) الذي تزوج الغول، وما لبثت أن طارت إلى أهلها، وهي تقول: (٦٨٠)

أَمْسِكْ بِنِيكَ عَمْرُو إِيَّ أَبُؤُ بَرَقُ عَلَى أَرْضِ السَّعَالِي أَلِقُ (الرجز)

ومنهم من يقول: ركبت بعيراً وطارت عليه، وهذا ما قاله عمر بن يربوع: (٦٨١) (الوافر)

رَأَى بَرَقًا فَأَوْضَعَ فَوْقَ بَكَرٍ فَلَا بَكَ مَا أَسَالَ وَمَا أَعَامَا

وقد تُسبب إلى الجن ذو القرنين، الذي يَعُدُّونَه خَلِيطًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؛ لِأَنَّ أُمَّه " قَبْرِي " آدمية، وأبوه " عبري " من الملائكة، وزعموا أن "النسناس" تركيب ما بين الشق والإنس، و"الغملوق" نتاج ما بين الآدمي والسعلاة، ويقال للمتولد بين الإنس والجنية " الخس " (٦٨٢) كما

- 678 -

/

- 679 -

- 680 -

- 681 -

- 682 -

أن بلقيس كان أبوها من عظماء الملوك، وقد تزوج امرأة من الجن، يُقال لها "ريحانة بنت السكن"، فولدت له بلقيس، وتسمى "بلقمة"^(٦٨٣).

ومن مزاعم الجاهليين، أن أبا جرهم من الملائكة الذين عصوا في السماء، فأُنزلوا إلى الأرض، يقول عامر بن الحارث بن مضاض الجرهمي:^(٦٨٤)

لاهُمَّ إِنَّ جُرْهُمًا عِبَادُكَ النَّاسُ طَرْفٌ وَهُمْ تِلَادُكَ

قديمًا عَمَرَتْ بِلَادُكَ^(٦٨٥)

وتتبين إمكانية زواج الإنس من الجن، من خلال ما جرى مع "تأبط شراً"^(٦٨٦)، فالزواج لم يكن بالضرورة يدل على الألفة والمحبة والاتفاق، وليس عجباً على ذلك الشاعر الملهم، أن يصور معاناته وعذابه ومكابדתه – بسبب رفض النساء الزواج منه- في شعره مفتخراً، ومتباهياً بنكاح الغيلان:^(٦٨٧)

أنا الذي نكح الغيلان في بلدٍ ما كلّ فيه سماكيٌّ ولا جاداً^(٦٨٨)

في حيث لا يعمتُ الغادي عمالتهُ ولا الظلمُ به يبغى ثهبادا^(٦٨٩)

وهو بهذا يعكس حالته النفسية، ويسقطها على ما حوله من كائنات، خاصة أن الصعلوك حين تزداد على كاهله وطأة الحياة، يحاول الانشغال عن التفكير فيها بحلمٍ لذيذ من أحلام اليقظة. وتعكس هذه الروايات ما كان، يشيع في المجتمعات من خرافات وأساطير، يلقتها الطفل مع فطامه، وتبقى عالقة بذاكرته، مهما أنسته الأيام إياه، فإذا ما أحاط به ظرف، يساعد على

- 683

- 684 / (.)

/

- 685 :

- 686 / :

- 687 :

- 688 :

- 689 :

ظهورها، برزت في ذاكرته، وخياله إلى الوجود، وأهمها الغيلان^(٦٩٠)، وهذا ما عرضه الجاحظ بقوله "إذا استوحش الإنسان، تمثل له الشيء الصغير كبيراً، وارتاب وتفرق ذهنه، فرأى ما لا يرى، وسمع ما لا يسمع، وتوهم على اليسير الحقير، أنه عظيم جليل"^(٦٩١)، وقد أورد ابن النديم في الفهرست ما يؤكد إمكانية زواج الإنس من الجن وبالعكس، حيث أفرد سجلاً يثبت فيه أسماء عشاق الإنس للجن، وعشاق الجن للإنس، وعلق عليها بقوله: "وكانت الأسماء والخرافات مرغوباً فيها مشتتة"^(٦٩٢)، كما أورد المعري، على لسان ابن القارح محاوراً تأبط شراً: "أحق ما روي عنك عن نكاح الغيلان؟ فيقول: لقد كنا في الجاهلية نتقول ونتخرص، فما جاءك عنّا مما يُنكره المعقول، فإنه من الأكاذيب، والزمن كُله على سحابة واحدة"^(٦٩٣)، فالمعري يعكس آراء عصره في هذه القصص، إذ ترتد كلها إلى ما اختزنته الذاكرة الشعبية، عن هذه الكائنات الخرافية الوهمية.

- 690

- 691 /

- 692

- 693

المبحث الرابع

تسخير الجن

يبدو من شعر الأعشى، ذلك الإيمان المطلق بوجود جنّ، كان العرب الجاهليون يتحدثون معها، ويحاورونها، فالأعشى يخاطب متلقيه جهراً، وبكلّ ثقة، دون خوف من رفض أو تكذيب، ويجعل الجن مرسلأ له؛ كي يتفاوض مع عشيقته، ويستدلّ منه على طريق آمن يصل إليها من خلاله، دون أن يراه الرقباء، وهي معشوقة لها محراب تلعبُ فيه الثعالب، وتدور من حولها الجنان، وينجح جنيّ الأعشى في الوصول إليها، والتفاوض معها، ويقنعها بملاقاته، بعد حديث طويل، حيث أخذ من خلاله سر الوصول إلى ذلك المحراب، المكان الذي تمكث فيه^(٦٩٤)، فيقول:^(٦٩٥)

أَوْصَلْتَ صُرْمَ الْحَبْلِ مِنْ سَلْمَى لَطُولِ جِنَابِهَا^(٦٩٦) (لكامل)

*إِنَّ الثَّعَالِبَ بِالضُّحَى يَلْعَبْنَ فِي مِحْرَابِهَا

وَالجِنُّ تُعْرِفُ حَوْلَهَا كَالْحُبْسِ فِي مِحْرَابِهَا

فَخَلَا لِذَلِكَ مَا خَلَا مِنْ وَقْتِهَا وَحِسَابِهَا

*حَدَّرَا عَلَيْهَا أَنْ تُرَى أَوْ أَنْ يُطَافُ بِبَابِهَا

فَبَعَثْتُ جِنِّيًّا لَنَا يَأْتِي بِرَجْعِ جَوَابِهَا

*فَتَنَّا زَعَا سِرِّ الْحَدِيدِ حَتَّى قَانُكْرَتْ، فَزَارَ بِهَا^(٦٩٧)

694 -

695 -

696 -

697 -

*فأَرَادَهَا كَيْفَ الدَّخْوِ لُ، وَكَيْفَ مَا يُؤْتَى لَهَا

وفي قصيدة أخرى يجعل الجنّي حارساً قوياً، يحرس تلك المرأة التي شبهها بلؤلؤة زهراء، ويبين مدى إعجابه بقوته واستعداده للذود عنها، فهو دائم الطواف بها خشية أن ينالها سار أو يصلها سارق، فيقول: (٦٩٨)

ومارِدٌ من عُوَاةِ الجنِّ يَحْرُسُهَا دُو نَيْقَةٍ، مُسْتَعِدٌّ دُونَهَا تَرْقَا (البسيط)

لَيْسَتْ لَهُ غَفْلَةٌ عَنْهَا يُطِيفُ بِهَا يَخْشَى عَلَيْهَا سَرَى السَّارِينَ وَالسَّرِقَا

يبدو من هذه الأبيات أنه ينظر إليها نظرة إيجابية، ويسخرها لحاجته وما ذاك إلا إيمانٌ منه بقدرة الجنّي، على تلبية مطالبه.

وقد جاء في قصيدة "جذع بن سنان الغساني" ما يدلّ على إعلام الجن الإنس بالأمور الغيبية، إذ يقول: (٦٩٩)

(الوافر)

وَحَدَّرَنِي أُمُوراً سَوَفَ تَأْتِي أَهَدَّ لَهَا الصَّوَارِمَ وَالرَّمَاحَا

فقد بدت الجن بمنزلة الناصح الحكيم، المحذر الذي يعلم ما تخفيه الأيام، ويخبر الشاعر به، وذلك بقوله: " وحَدَّرَنِي " فهو يحذره من أمور عجيبة ستحدث له، ومن قتالٍ شديدٍ سيخوضه ويهزُّ له السيف والرمح^(٧٠٠)، فالجنُّ تكشف عن خفايا الأيام القادمة، وتخبره بالغيبات، وما يلبث أن يصدق كل ما أخبره به قاشر، ويؤكد بأنه سيعمل به، بكل ما أوتي من عزيمة وإصرار، وسيتخلى عن ضرب القداح، لأنه آمن بأن غاية العلم فيما تقوله الجن، لا بالقداح، بقوله: (٧٠١)

سَأْمُضِي لِذِي قَالُوا بَعْزِمٍ وَلَا أَبْغِي لِدَلِّكُمْ قِدَاحَا (الوافر)

698 -

699 -

700 -

701 -

وتبدو قدرة الجن على كشف الغيب، والإخبار به، في قول الحارث بن حلزة، في حديثه عن الملك عمرو بن هند، إذ يرى أن الجن كاشفت الناس بمثله، ورجعت، وقد تغلبت على كل من خاصمها، فيقول: (٧٠٢)

(الخفيف)

إرْمِي بِمِثْلِهِ جَالَتِ الْجِنُّ قَابَتْ لِخَصْمِهَا الْأَجْلَاءُ (٧٠٣)

وتتجلى علاقة الجن بالإنس، من خلال قصص سليمان، إذ تبدي الجن قوةً مماثلةً للريح، يتحقق من خلالها حلم الإنسان، بالسيطرة على جميع مظاهر الطبيعة، ما ظهر منها وما خفي، إذ ورد في الأساطير القديمة، المرتكزة على فكرة الجن الأخيار الذين يقومون بالأعمال الخارقة، أن سليمان "عليه السلام" كان يُسَخَّرُ الإنس والجن، والشياطين والطيور والريح، يفعلون له ما يريد (٧٠٤)، ويؤكد ذلك ما ورد في القرآن الكريم (٧٠٥)، وما أشار إليه الشعراء، فالنابغة يذكر كيف سخر سليمان الجن في مجال مدحه للنعمان، ويرى أن سليمان استطاع أن يقيد الجن، بعد ما عرف عن تكبيد الجن للإنسان، كما استطاع النعمان أن يسيطر على البشر، فيقول: إن الجن هي التي بنت مدينة تدمر: (٧٠٦)

(البسيط)

ولا أرى فاعلاً في النَّاسِ يُشْبِهُهُ ولا أحاشي، من الأقوام من أحد

إلا سليمان، إذ قال الإله له: فم في البرية فاحدها عن القند

وَخَيْسَ الْجِنِّ! أَيُّ قَدِ أَذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمَرَ بِالصَّفَاحِ وَالْعَمَدِ (٧٠٧)

ومن الشعراء الذين ذكروا جن سليمان، وربطوا بينها وبين الإنس، الأعشى في قوله: (708)

702

703

704

705

706

707

708

وسُخِّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلَائِكِ تِسْعَةَ قِيَاماً لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ مَحَارِباً (الطويل)

وقد ذكر تسخير سليمان للجن والرياح، في قوله بعد وصفه بنات الدهر: (٧٠٩)

فَذَاكَ سُلَيْمَانُ الَّذِي سُخِّرَتْ لَهُ مَعَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ الرِّيَّاحُ الْمَرَاخِيَا (٧١٠) (الطويل)

ويتضح ذلك في قول زهير بن جناب الكلبي، إذ أشار إلى تسخير الجن لسليمان، في حديثه عن الأيام، وفتكها بالبشر: (٧١١) (الطويل)

ضَلَالاً لِمَنْ يَرْجُو الْفَلَاحَ وَقَدْ رَأَى حَوَادِثَ أَيَّامٍ تَحُطُّ الرَّوَابِيَا

أَصْبَنَ سُلَيْمَانَ الَّذِي سُخِّرَتْ لَهُ شَيَاطِينُ يَحْمَلْنَ الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا

ويشير أمية بن أبي الصلت إلى ذلك، بقوله: (٧١٢) (البيسيط)

وَلَا سُلَيْمَانُ إِذْ تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِهِ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِيمَا بَيْنَهَا مَرْدٌ

ويشير رجل من حمير إلى تسخير الجن لسليمان، في معرض حديثه عن الزمان وإفائه الأمم، بقوله: (٧١٣) (البحر الطويل)

خَطَفَنَ سُلَيْمَانَ الَّذِي سُخِّرَتْ لَهُ شَيَاطِينُ جِنِّ مِنْ بَرِيٍّ وَذِي جُرْمٍ

وهكذا وقر في أذهان الجاهليين، أن الجن قادرة على حماية الإنسان من الموت، وأن بإمكان الإنسان تسخير لمصالحه، وقد كثر الحديث عن ذلك في مجالات عدة كالسحر، ومعالجة المرضى، وصناعة السيوف والأسلحة، وقد نسبوا إليها صناعة السيوف المأثورة، والقوارير والحمامات لسليمان، مما يؤكد تلك العلاقة (٧١٤). ويبدو تسخير الإنس للجن في بعض الشعائر والطقوس التي أوردها الشعراء، إذ أورد الممزق العبدى التنجيس الذي يُعدُّ من أهم الطقوس التي

709 -

710 -

711 - - -

712 -

713 -

714 - /

مارسها الجاهليون، للوقاية من الأمراض التي يسببها الشيطان، وذلك بتعليق خرقة الحيض، وعظام الموتى، وذلك بقوله: (٧١٥)

وَلَوْ كَانَ عِنْدِي حَازِيَانِ وَكَاهِنٌ وَعَلَّقَ أُجَاسَاءَ عَلَيَّ الْمُنَجِّسُ (٧١٦)

(الطويل)

ويتضح من خلال أشعار الجاهليين ما يشير إلى أن إيمانهم بقدرة هذه الطقوس على معالجة المرضى، كان متفاوتاً، وكان يبطل مفعولها إزاء الموت، وهذا ما جاء على لسان امرأة، نجست ولدها، فلم ينفعه ذلك، ومات، فقالت: (٧١٧)

(الرجز)

نَجَسْتُهُ لَا يَنْفَعُ التَّنَجِيسُ وَالْمَوْتُ لَا تُفَوِّتُهُ النَّفْسُ

(البسيط)

ونجد هذا المعنى في قول الممزق العبدى: (٧١٨)

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقٍ أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مِنْ رَاقٍ

كما نجده في قول أحد العرب الجاهليين، مخاطباً امرأة، منكرأ قدرة الرقى على دفع

القدر، والحماية من الموت: (٧١٩)

(الرجز) لَنْ يَدْفَعَ الْمَقْدَارَ أَسْبَابُ الرَّقَى وَلَا التَّهَاقُوتُ عَلَى جِنَّةِ الْفَلَا

ولم يقتصر استخدام هذه الشعائر على معالجة الإنسان، وإنما كانوا يعالجون الحيوانات بها، فهذا "سلمة بن الخرشب الأنماري" يشير إلى تعويذه فرسه بالرقى، وتقليدها عقداً من التمام، قائلاً:

تُعَوِّدُ بِالرُّقَى مِنْ غَيْرِ حَبْلِ وَتُعَقِّدُ فِي قَلَائِدِهَا التَّمِيمُ. (الوافر) (٧٢٠)

وهذا يؤكد حرصه على فرسه، وإيمانه بقدرة الرقى والتمائم على شفائه، ويقول خفاف

715

716

717

718

719

720

ابن ندبة في حديثه عن رقى الفرس والخيل، التي كان يعقدها على فرسه خشية الحسد: (٧٢١)

يُعَقَّدُ فِي الْجَبَدِ عَلَيْهِ الرُّقَى مِنْ خَبِئَةِ الْأَنْفُسِ وَالْحَاسِدِ (السريع)

وينسب إلى الساحر القدرة على إخراج الجن من المجانين، فالساحر هو الطبيب، والسحر هو الطب، وإذا كانت الجن سبب الأمراض العصبية والجنون، فهي أيضاً علاجٌ لهذه الأمراض، وهذا ما أشار إليه أبو قيس بن الأسلت بقوله: (٧٢٢)

(الوافر)

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ حَسَانِ عَيِّي أَطِيبُ كَانَ دَاوُكُ أَمْ جُنُونُ؟!

فالشاعر غير قادر على التمييز بين المرض والجنون؛ لما بينهما من علاقة. ومن معتقدات الجاهليين التي كانوا يمارسونها في هذا المجال النفث، إذ كانوا يؤمنون بقدرته على شفاء المريض أو المطعون (٧٢٣)، من ذلك قول عنترة: (٧٢٤)

(الوافر)

تَرَكْتُ جُرِيَّةَ الْعَمْرِيِّ فِيهِ سَدِيدُ الْعَيْرِ مُعْتَدِلٌ شَدِيدُ

فَإِنْ يَبْرَأُ فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيْهِ وَإِنْ يُفَقِّدُ فَحَقٌّ لَهُ الْفُقُودُ.

والنفث، هو أنهم كانوا إذا رمى أحدهم بسهم، وأراد سلامة الرقية منه، رمى سهمه، ونفث عليه، وإن أراد إهلاكه لم يفعل، مما يبين اعتقادهم بالتأثير الفعال للرقية، أو النفث بالسلامة للمطعون، حسب نية الراقي. (٧٢٥)

وهكذا فإن السحر يتم بمعونة الشيطان، ويثبت ذلك، أنه يقوم على الخداع وفساد

العقل، (٧٢٦) بدليل قول النابغة الذبياني: (٧٢٧)

_ 721

_ 722

_ 723

_ 724

_ 725

_ 726

فَقَالَتْ: يَمِينُ اللَّهِ أَفْعَلُ، إِنِّي رَأَيْتُكَ مَسْحُورًا، يَمِينُكَ فَاجِرَةٌ (الطويل)

ويؤكد علاقة تلك القوى بالجن، ما كان يمارسه الساحر من طقوس، "إذ كان يلبس المسوح، ويتوضأ باللبان، ويظهر قبيل ممارسة عمله بمظهر خاص، على أساس أنها ضرب من السحر التشاكلي"^(٧٢٨). ويبدو هذا في وصف عبيد بن الأبرص للحاوي، إذ يقول: ^(٧٢٩)

مُشَمِّرٌ خَلَقَ سِرْبَالَهُ مَشِيقٌ قَانِدُورَةٌ فَاثَلٌ مُعْذِمِرٌ قَطَطٌ^(٧٣٠) (البسيط)

فهو يظهر بصورة ننتة؛ كي تتقبل الجن مسيره، في تلك الفيافي المقفرة، فلا يتعرض للأذى، وهو بذلك يحمي نفسه ومن معه، كل ذلك كي يقترب من صورة الشيطان الذي يحلو له أن يكون قبيح المنظر، بشع الصورة، قذراً، "إذ كان الساحر في العصور التاريخية القديمة، ينفرد من النظافة، ولا يقدم على الاغتسال؛ لأن بينه وبين الشيطان عهداً على ذلك"^(٧٣١).

وتبدو خدمة الجن للبشر، فيما ينسب إليها من تعليم الإنس، من ذلك ما حدث مع أمية ابن أبي الصلت الذي تعلم كلمة سحرية (باسمك اللهم)، تغلب بها على الجن، وهي الكلمة التي كان يفتتح بها الكلام، ولا سيما الرسائل⁽⁷³²⁾، ويظهر هنا دور التابع أو القرين، واستخدامه في معرفة الأمور الغيبية ونقل الأخبار، والاستفسار عن خفيات الأمور، ويتضح ذلك في قصة الكاهن (خطر بن مالك) مع قومه، عندما توجهوا إليه، وسألوه عن النجوم التي يرمى بها، فما كان منه، إلا أن توجه إلى تابعه، فأرشده، وبيّن له سبب ذلك^(٧٣٣).

ويندرج تحت هذا الباب التوابع الذين يلقون الشعر على السنة الفحول من الشعراء، ويعرفون بشياطين الشعراء، فقد كان الشاعر إذا عسر عليه قول الشعر، أو الرّد على هجاء وجّه

- 727

- 728

- 729

- 730

- 731

- 732

- 733

له، يتوجه إلى شيطانه أو تابعه، فيُلقي عليه ما يريد^(٧٣٤)، وقد حدث ذلك مع مجموعة من الشعراء، سنذكرها في مواضعها.

ويبدو تبادل الأدوار بين الإنس والجن، فيما رُوي عن الجنّ، أنها حين سمعت بعِيفة بني أسد - إذ أنهم اشتهروا بالعِيفة- عَجِبَتْ منها، فقدمت إليها؛ لتمنحها هذا العلم^(٧٣٥)، ويورد (جواد علي) القصة "بأن قوماً من الجن تذكروا عِيفة بني أسد فأتوهم، فقالوا: ضَلَّتْ لَنَا نَاقَةٌ، فَلَوْ أُرْسَلْتُمْ مَعَنَا مِنْ يَعِيفٍ، فَقَالُوا لَعُلِّيمٌ مِنْهُمْ: انْطَلِقْ مَعَهُمْ، فَاسْتَرْدَفَهُ أَحَدُهُمْ، ثُمَّ سَارُوا، فَلَقِيَهُمْ عِقَابٌ، كَاسِرَةٌ إِحْدَى جَنَاحِيهَا، فَاقْشَعَرَ الْغَلَامُ، وَبَكَى، فَقَالُوا: مَالِكٌ؟ فَقَالَ: كَسَرْتُ جَنَاحًا، وَرَفَعْتُ جَنَاحًا، وَحَلَقْتُ بِاللَّهِ صَرَاحًا، مَا أَنْتَ بِإِنْسِيٍّ، وَلَا تَبْغِي لِقَاحًا"^(٧٣٦).

ومن العلاقات الإيجابية بين الإنس والجن، ما روي عن جرير بن عبد الله البجلي، إذ أمسى وحده في واد من الأودية، فإذا هو بين جمع من الجن، يستنشذونه شعراً فينشدهم، وبقي يحدثهم إلى الصبح، فانتهى أمره إلى أن تعلم منهم دواءً لا أحدٌ يَعْرِفُهُ إلى اليوم^(٧٣٧).

- 734
/ 735
/ 736
- 737

المبحث الخامس

مكافأة الجن للإنس على الخير والشر

ومما ينسب للجن، مكافأة الإنس على الخير والشر، ويتجلى ذلك في قصة عبيد ابن الأبرص والشجاع، إذ تذكر القصة أن عبيد بن الأبرص كان وأصحاب له في سفر، فمروا بحية تتقلب في الرمضاء، وتلهت عطشاً، فهمَّ بعضهم بقتلها، فقال عبيد: هي إلى من يصبُّ عليها نقطة ماء أحوج، قال: فنزل فصبَّه عليها، قال فمضوا، وأصابه ضلال شديد، حتى ذهب عنهم في الطريق، فبيناهم كذلك، فإذا بهاتف يهتف:

يا أيُّها السَّاري المُضِلُّ مَدَّهِبُهُ دُونَكَ هَذَا الْبَكْرَ مَنَّا فَاكْبَهُ (الرجز)
وَبَكْرَكَ الشَّارِدَ أَيْضاً فَاجْنِبُهُ حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ تَجَنَّى غِيْبُهُ

فَحَطَّ عَنْهُ رَحْلُهُ وَسَيَّيْبُهُ^(٧٣٨)

قال فسار به من الليل حتى طلع الفجر، مسيرة عشرة أيام بلياليهن، فقال عبيد بن الأبرص:^(٧٣٩)

يا صاحِبَ الْبَكْرِ قَدْ أَنْوَدْتَ مِنْ بَلَدٍ يَحَارُ فِي حَاقَتَيْهَا الْمُدْلُجُ الْهَادِي (البسيط)
هَلَا أَبْنَتْ لَنَا بِالْحَقِّ نَعْرِفُهُ مَنْ ذَا الَّذِي جَادَ بِالْمَعْرُوفِ فِي الْوَادِي
ارْجِعْ حَمِيداً، فَقَدْ أْبْلَغْتَ مَأْمَنَنَا بُورِكْتَ مِنْ ذِي سَنَامٍ رَائِحِ غَادِي

فقال مجيباً له:^(٧٤٠)

أنا الشُّجَاعُ الَّذِي أَلْفَيْتَهُ رَمِضاً فِي قَفْرَةٍ بَيْنَ أَحْجَارٍ وَأَعْقَادٍ^(٧٤١) (البسيط)
فَجُدْتَ بِالْمَاءِ لَمَّا ضَنَّ حَامِلُهُ، وَزِدْتَ فِيهِ وَلَمْ تَبْخُلْ بِأَنْكَادٍ^(٧٤٢)

738

739

740

741

742

الخيرُ يَبْقَى، وإنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أُوعِيَتْ مِنْ زَادٍ

تبدو مكافأة الجن للإنس، بأن قدم الشجاع لعبيد بن الأبرص مطية ليركبها، ولا نعرف ما هي؟ هل هي ناقة، أم فرس، أم شيء آخر من مطايا الجن، وسرعة هذه المطية تفوق تصور العربي؛ إذ قطعت مسافة عشر ليالٍ، في أقل من ليلة واحدة. ويبدو ذلك في قصة أخرى شبيهة بالقصة السابقة، وهي ما حدث مع مالك بن حريم الدلاني والشجاع الذي لاذ به لحمايته، فحماه، وانساب الشجاع إلى مأمنه، وأخذ مالك، يقول: (٧٤٣)

(الوافر)

وأوصاني الحريمُ بعزٍّ جاري وأمنعُهُ وليسَ به امتناعُ

وأدفعُ ضيمُهُ وأدبُ عنهُ وأمنعُهُ إذا مُنعَ المتاعُ

فارتحلوا، واشتد بهم العطش، فإذا هاتف يهتف بهم: (٧٤٤)

(البسيط)

يا أيُّها القومُ لا ماءَ أمامكمُ حتَّى تُسوموا المطايا يومَها النَّعْبَا

ثم اعدلوا شامةَ فالماءُ عن كُتُبِ عَيْنِ رُوءَاءِ وَمَاءٌ يَذْهَبُ اللَّغْبَا

حتَّى إذا ما أصببتم منه رِيَّكُمْ فاسقُوا المطايا وَمِنَّهُ فاملئوا القربَا

فنزلوا شامة فإذا هم في عين خرازة، في أصل جبل، فشرّبوا وسقوا إبلهم، وحملوا رِيَّهم،

حتى أتوا عكاظ، ثم أقبلوا، حتى انتهوا إلى ذلك الموضع، فلم يروا شيئاً، وإذا هاتف يقول: (٧٤٥)

يا مال عتّي جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً هذا وداعُ لكمُ مَيِّ وتَسْلِيمُ (البسيط)

لا تَزْهَدَنَّ في اصطناعِ الخيرِ معَ أحدٍ إنَّ الذي يَحْرُمُ المَعْرُوفَ مَحْرُومُ

مَنْ يَفْعَلُ الخَيْرَ لَا يَعْدَمُ مَعْبَتَهُ ما عاشَ والكُفْرُ بعدَ العَبِّ مَذْمُومُ

- 743

- 744

- 745

أنا الشجاع الذي أنجيت من رهق

شكرت ذلك إن الشكر مقسوم.

فطلبوا العين فلم يجدوها، وهكذا تصور الجن لعبيد بن الأبرص وجماعته، بصورة الشجاع الذي أرشدهم إلى عين ماء، شربوا منها، وسقوا إبلهم؛ وما ذاك إلا مقابل حمايته له.

وكما تكافئ الجن الإنس على الخير، فإنها تكافئه على الشر أيضاً، ويبدو ذلك في قصة ابن الحمّار، وما حدث له مع شيهمة وولدها، والهاتف الذي هتف به، واتهمه بإساءة الجوار، فقال:

يا ابن الحمّار قد نزلت بلادنا

فأصببت منها مشرباً ومَناما (الكامل)

فبدأتنا ظلماً بعقر لقوحنا

وأسأت لماً أن نطقت كلاما

فاعمد لأمر الرشد واجتنب الردى

إنّا نرى لك حرمة ودماما

واغرم لصاحبنا لقوحاً متبعاً

فلقد أصببت بما فعلت أثاما

وأجابه ابن الحمّار شعراً:

الله يعلم حيث يرفع عرشه

إنّي لأكره أن أصيب أثاما (البيسط)

أما ادعائك ما ادعيت فإنّي

جنّت البلاد ولا أريد مقاما

فأسمت فيها ما لنا ونزلتها

لأريح فيها ظهرنا أيّاما

فليغد صاحبكم علينا نعطيه

ما قد سألت ولا نراه غراما

ويستمر الحوار بين الطرفين، إلى أن يسمع شيخ من الجن ما دار بينهما، فيقول: لا والله لا نرى قتل إنسان مثل هذا، ثابت القلب ماضي العزيمة.. وتنتهي القصة، بأن يغرم للجن لقوحاً متبعاً للقنفذ وولدها^(٧٤٦)، فهذه الحكاية- وإن كانت كذباً-، إلا أنها تبين علاقة الجن بالإنس، وما يدور بينهما من معاملات.

المبحث السادس

شياطين الشعراء

رأى الإنسان القديم في الكلمة مفتاحاً، سحرياً يفتح جميع الأقفال^(٧٤٧)، وقوة حية، يستطيع أن يدفع بها أذى الطبيعة الحية، (الصامته والناطقة)، وأن يعيش معها في انسجام، وحين أدرك بتجربته، أنّ لمظاهر الطبيعة قوى كامنة فيها؛ لها القدرة على ضره، وأنّ الكلمة هي القدرة على التحكم فيها، وعلى منعها من العمل ضره، حافظ على قدسيّتها^(٧٤٨).

وهذه الكلمة هي الأسطورة التي نَعَمَت، وصاحبها حركة إيقاعية وأدائية، ومن إيقاع هذا الصوت، ولدت الشعيرة الأولى المصاحبة للأسطورة، وكانت هذه الشعيرة هي الشعر^(٧٤٩)، ولما كان للشعر من أثر في نفوس القدماء، وقدرة على امتلاك وجدانهم، نظروا إليه على أنه ملكة، لا تُؤتى إلا لشاعر تفوق على أبناء جنسه، والعرب كغيرهم من الأمم، عَزَوا القوة الخارجية للإلهام الشعري إلى الشياطين، وربطوا هذه النظرة بعوامل نفسية، وظروف اجتماعية، تفاعلت مع المفهوم، فشكلت تصورات حية، أثرت في نظرتهم، تجاه الشاعر، وموهبته الإبداعية^(٧٥٠).

وربما "ارتبط الشعر بالشعيرة لعلاقة كل منهما بالرأس، موطن الهامة"^(٧٥١) فقالوا: بأن لكل شاعر شيطاناً يلهمه الشعر؛ إذ يزعم الشعراء، أنّ الشياطين تلقي الشعر على أفواههم، وتلقنهم إياه، وتعينهم عليه، ويدعون أن لكل فحل منهم شيطاناً، يقول الشعر على لسانه، فمن كان شيطانه أمرد، كان شعره أجود^(٧٥٢)، فحاكوا القصص والخرافات حول هذا التصور، في العصر الجاهلي الذي كان مجالاً خصباً، لتقبل مثل هذه الاعتقادات، والتي بقيت عالقة في الأذهان على مرّ العصور، مع تنوّع طرائق التحليل والاستنتاج، بناء على مقدار المواقف وتطورها،

747 -

748 -

749 -

750 -

751 -

752 -

فتأرجحت فكرة شياطين الشعراء بين الرفض والقبول، والجذ والهزل، وتعددت حولها الافتراضات والتأويلات، فأدخلها البعض في دائرة الحقيقة، في حين أخرجها آخرون إلى عالم الخيال^(٧٥٣).

فالعقاد يُغلبُ أن يكون شيطان الشعر من خلق الشعراء أنفسهم، وأن يكون الكلام عنه لاحقاً لظهور الشعر وانتشاره، فإن لم يكن هذا الشعرُ مخلوقاً شعرياً، فهو مخلوق خيالي، أبدعه كاهن قديم، أو مفكر من مفكري الجاهلية الغابرة، له خيال الشاعر^(٧٥٤).

ومهما يكن من اختلاف فإن العرب تزعم أن شعراءها تستوحي الجن، وأن كل شاعر منهم يستعين بشيطان يصاحبه، يعرفه باسمه، ف" هبيد " اسم شيطان عبيد، و"مسحل السكران ابن جندل" اسم شيطان الأعشى و" جهنم " اسم شيطان عمرو بن قطن، ومنهم " لافظ بن لاحظ " شيطان امرئ القيس و" حاطب " شيطان النابغة و" هاذر بن ماذر " صاحب زياد الذبياني، وأسماء أخرى غريبة منكّرة، مثل مُدرك بن واغم، وابن الصلادم، وهيباب..... وغيرهم..^(٧٥٥)

وقد ذكر بعض الشعراء، أسماء شياطينهم في أشعارهم، فذكر الأعشى، " مسحلاً " حين هجاه " جهنم "، بقوله:^(٧٥٦)

(الطويل)

فلما رأيتُ الناسَ للشرِّ أقبلوا ، وثابوا إلينا من فصيح وأعجم
*دَعَوْتُ خَلِيلِي مِسْحَلًا، وَدَعَوَا لَهُ جُهْنَامُ جَدْعًا لِلْهَجِينِ الْمُدْمَمِ
فإني وثوبي راهب اللج، والتي بناها فصي والمضاض بن جرهم^(٧٥٧)
لئن جد أسباب العداوة بيننا، لئرتحلن مني على ظهر شيهم^(٧٥٨)

753 -

754 -

755 -

756 -

757 -

758 -

*حَبَانِي أَخِي الْجَبِّيُّ، نَفْسِي فِدَاؤُهُ،
بَأْفِيحَ جِيَّاشِ الْعَشِيَّاتِ خِضْرَمِ.

فالشاعر يدعو صديقه الشيطان " مسحلاً "، في مَعْرُضِ هجائه عمير بن عبد الله ابن المنذر^(٧٥٩)، ويذكر شيطان خصمه " جُهْنَام "، وقد حشد مجموعة من الرموز الدينية، فأقسم بها، منها الراهب، والكعبة التي بناها قصي بن كلاب، بعد إبراهيم عليه السلام، والمُضَاضُ ابن جُرْهُم، الذي كان قِيَّماً على الكعبة قبل قريش.

ويَتَوَعَدُ الأَعشى خصمه، بأن يحمله على ظهر شَيْهَمٍ، وهو القنفذ، وذكُرُ القنفذ مرتبط بالجن؛ لأن القنفاذ من مطايا الجن، فقد ربط الشاعر بين الشياطين أو الجن ومطاياها في تراكيب، تشيع فيها الرموز الدينية، وقد حَبَاهُ، وَمَنَحَهُ شَيْطَانَهُ الذي دعاه أخي، بالشعر، لمواجهة خصمه، فالصلة بينهما صداقة وأخوة، لذلك فهو يفتديه بنفسه، فالأبيات التي تحدد العلاقة بين مسحل والأعشى، ليست مجرد أبيات، تعبر عن علاقة الأعشى الفنية بمسحل، وإنما تعبر أيضاً عن علاقة عاطفية بينهما، تقوم أساساً على معرفة الأعشى الكاملة بمسحل^(٧٦٠)، فهو مدين له بقدرته الشعرية الفائقة، معترفاً بفضله، ويقول الشاعر نفسه في مكان آخر: ^(٧٦١) (الطويل)

وما كُنْتُ شَاحِرُ دَاً وَلَكِنْ حَسْبُنِي إِذَا مِسْحَلٌ سَدَى لِي الْقَوْلَ أَنْطَقُ^(٧٦٢)

شريكان فيما بيننا من هوادهٍ صفيان جنيُّ، وإنسٌ موفقٌ

يقولُ، فلا أعْيَا لشيءٍ أقولُهُ كفاني لاعِيُّ، ولا هو أخرقُ

جماعُ الهوى في الرُّشدِ أدنى إلى التقى وتتركُ الهوى في العَيِّ أنجى وأوفقُ

إذا حاجةٌ ولثكٌ لا تستطيعُها فخذُ طرفاً من غيرِها حينَ تسبقُ

759 -

760 -

761 -

762 -

يبدو الشاعر لسان شيطانه، لا يقول إلا ما يلهمه إياه، فالإبداع للشيطان، والأعشى خادمٌ مطيعٌ، يردد ما يقوله له، وهما شريكان وصفيان، فالشعر موزع بين الإلهام والقول، وشيطانه حكيم ومُجرب، لذلك تداعت الحكمة في أبيات القصيدة، ويبدو اعتراف الشعراء أنفسهم بتلقيهم الشعر من الشياطين، وهي صورة تحمل طابع التفاخر بشياطينهم، والاعتراف بقوتهم، وتفوقهم على شياطين غيرهم من الشعراء.

ومن الشعراء الذين ذكروا شياطينهم في أشعارهم، حسان بن ثابت: " إذ تُروى عنه قصةٌ مع السَّعلاة، يذكر من خلالها اسم شيطانه، وهي أن السعلاة لقينته في بعض طرقات المدينة، وهو غلام، قبل أن يقول الشعر، فَبَرَكْتُ على صَدْرِهِ، وقالت: أنت الذي يَرْجُو قومك، أن تكون شاعرهم، قال: نعم، قالت: فأنشدني ثلاثة أبيات على روي واحد، وإلا قتلتك، فقال: (٧٦٣) إذا ما ترعرعَ فينا الغلامُ فما إن يُقالُ له من هُوَ (المتدارك)

إذا لم يسُدْ قبلَ شدِّ الإزارِ فذلِكَ فينا الذي لا هُوَ

ولي صاحبٌ من بني الشَّيْصَبانِ فطوراً أقولُ وطوراً هُوَ

والشَيْصَبان قبيلة من الجن، فزعم أنه وشيطانه يتناوبان القول في الشعر.

ويزعم في موضع آخر، أن له جدياً يلهمه الشعر، ويوشيه له أحسن وشايه، ويجوده، فيظفر به على الشعراء، ويرفع عن السرقة، فهو يفتخر بأخيه الجني، الذي يُلقنه أفضل الكلام، بقوله: (٧٦٤)

لا أسرقُ الشعراءَ ما نطقوا بل لا يُوافقُ شعراً هم شعري (الكامل)

إني أرى لي ذلكم حسبي ومقالةٌ كمقاطع الصخر

وأخي من الجن البصيرُ إذا حالَ الكلامَ بأحسنِ الخبرِ (٧٦٥)

- 763

- 764

- 765

ويعترف امرؤ القيس صراحة بوجود توابع له، في قوله: (٧٦٦)

(الطويل)

أنا الشَّاعِرُ الموهوبُ حولي توابعي منَ الجنِّ تروِي ما أقولُ وتَعزِفُ

ويبين أن الجن تخيره من أشعارها، فيختارُ أفضلها، فهذا هو سبب تفوقه، وذلك بقوله: (٧٦٧)

تُخَيِّرُنِي الجنُّ أشعارَها فما شئتُ من شعرهنَّ اصطَفَيْتُ (المتقارب)

وهذا بدر بن عامر يعترف بقدرة الجن على نظم القوافي، ويبين التشابه بين لغة الجن والإنس،

فيقول: (٧٦٨)

(الكامل)

ولَقَدْ نَطَقْتُ قوافياً إنسيَّة ولَقَدْ نَطَقْتُ قوافي التُّجْنينِ

وقد قَسَمَ العرب شياطين الشعراء إلى فئتين من حيث مستوى الإجابة في الشعر، فالشيطان الذي

يلهم شعراً جيداً اسمه " الهوبر " والذي يلهم شعراً فاسداً اسمه " الهوجل " (٧٦٩).

وقد ورد في كتب الأدب، بعض الأخبار عن وجود شياطين للعديد من الشعراء

الجاهليين، ولكنهم لم يذكروا أسماءها في شعرهم، فأورد الجاحظ في كتابه قصيدة " الحكم ابن

عمرو البهراني " التي احتوت على أخبار متنوعة، عن علاقات العرب بالجن والغيلان، إضافة

إلى أسماء لشياطين شعراء في العصر الجاهلي والإسلامي (٧٧٠).

ولا بد من الإشارة إلى أن العرب لم يطلقوا هذه الأسماء جزافاً، فالعلاقة اللغوية بينها

وبين صورة الجن، التي استقرت في أذهانهم علاقة وثيقة، إضافة إلى أن جرسها الصوتي يوقر

إيقاعاً خاصاً، يعمل على جذب النفسي للمتلقي، فحول الدلالة اللغوية لشيطان امرؤ القيس

"لافظ بن لاحظ" ورد في اللسان أن " اللفظ " هو أن ترمي بشيء كان في فيك، ويلفظ البحر

- 766

- 767

- 768

- 769

- 770

الشيء يرمي به إلى الساحل، واللافتة هي الرّحى سميت بذلك؛ لأنها تلفظ ما تطحنه^(٧٧١)،
فالدلالة اللغوية للفعل لفظه، تدل على الرمي بشدة وقوة، فكأن الشاعر يرمي الشعر من فمه، كما
يرمي البحر الشيء إلى الساحل، ويؤثر الشاعر في خصمه، كما تؤثر الرحي في الحب الذي
تطحنه. "ولاحظ" اسم فاعل من المصدر "للحظ واللحظات" وهو أن ينظر الرجل بلحاظ عينه
إلى الشيء شزراً، وهو شق العين الذي يلي الصدغ، واللاحظ: ميسم في مؤخر العين إلى الأذن،
وهو خط محدود، أو لحظان من جانبيين أو لحاظ واحد من جانب واحد^(٧٧٢)، فدلالة "لحظ"
اللغوية تدل على النظر بغضب من طرف العين، وتدل على شكل العين التي تبدو مشقوقة، وتدل
أيضاً على علامة "خط" يصل العين بالأذن، وهكذا تصور العرب عين الشيطان.

أما "هبيد بن الصلادم"، فهبيد هو الحنظل، يُكسّر ويُستخرج حبه، ويُنقع، لتذهب مرارته
ويُتخذ منه طعامٌ، يؤكل عند الضرورة^(٧٧٣)، والحنظل وإن كان مرّاً الطعم، إلا أنه طعام محبوب
للطباء، والطباء من مطايا الجن، "والصلدم والصلادم": الشديد الحافر، وقيل: هو القوي الشديد
وأصلاد الجبين، هو الموضع الذي لا شعر عليه، فالفعل "صلد" يدل على الشدة والقوة،
والموضع الذي لا شعر عليه^(٧٧٤)، وهذا يتفق مع كون الشاعر يطلق جزءاً من شعره، في
معرض الهجاء خاصة، ويبدو أن حلق الشعر كان تقريباً للجن. أما "مسحل بن أثانة" فالمسحل
هو الرياح تسحل الأرض سحلاً، تكشف ما عليها، وتنزع عنها أدمتها، والمسحل الثوب النقي من
القطن، والشجاع الذي يعمل وحده، والغاية في السخاء، والجلاد الذي يقيم الحدود بين يدي
السلطان، والخطيب الماضي، والفرس الجموح، والشتم باللسان^(٧٧٥)، ولا تخفى علاقة هذه
المعاني بصفات الجن وخصائصها، ولكني سأشير إلى أحد هذه المعاني، وهو الثوب النقي من
القطن، فاللون الأبيض حمل رمزاً دينياً مقدساً عند العرب، إضافة إلى أن معنى الشتم، يتوافق مع

سلاطة

771 - () :

772 - () .

773 - () .

774 - () .

775 - () .

لسان الشاعر، أما الأثائة، فهي الكثرة والعظم من كل شيء^(٧٧٦).

ولعل الأعشى أسعد الشعراء حظاً من هذه الشياطين، فقد لوحظ في شيطانه صفات شعره ومزاياه، فشيطانه مسحل مأخوذ من معنى الكلمة، وذلك لتجويده وتنحله لشعره، و "مسحل السكران " لأنه أجاد نعت الخمر، وتحدث عنها كثيراً.

أما "جُهْنَام" فهو شيطان عمرو بن قطن، فقد اختلف في معنى هذا الاسم وأصله؛ والأغلب أنها كلمة عبرية، تتركب من جزئين هما (جي- هنوم)، ومعناها، وادي الهمس أو الأنين، أو الهينمة، أو وادي البكاء والعذاب" وذلك عندما يراد به السعير، وهو مسكن الشياطين ومأواها، ولعل الأعشى سمع الكلمة، وفهم معناها فهماً غير دقيق، أو سمعها غيره ممن جعلوا "جُهْنَام" شيطانه، ومن الرواة من جعل "جهنم" لقباً لعمرو بن قطن، أو شيطاناً له، وكان يهاجي الأعشى^(٧٧٧). ومهما يكن من أمر فإن هناك ارتباطاً وثيقاً بين اسم الشيطان، ودلالته اللغوية؛ فاختيار الاسم لم يأت من فراغ.

وتكثر أخبار لقاء الشياطين بالشعراء، في المصادر التراثية الأدبية، كلقاء الأعشى مع شيطانه، فقد روى الألويسي: " أن الأعشى خرج يريد قيس بن معد يكرب بحضرموت، فضلّ الطريق، في أوائل أرض اليمن، وأصابه مطر، فوقعت عينه على خباء من شعر، فقصدته، وإذا بشيخ على باب الخباء، فسلم عليه، وأدخل ناقته خباءً آخر، وحط رحله، وجلس، فسأله عن اسمه، وعن المكان الذي يقصدته، فأجابه، وسأله عن شعره، فقال: ^(٧٧٨)

رَحَلْتُ سُمِيَّةَ عُدُوَّةَ، أَجْمَالَهَا عَضْبِي عَلَيْكَ، فَمَا تَقُولُ بَدَا لَهَا (الرملة)

وسأله عن سمية، من تكون؟ فأجابه: إنها اسم ألقى في روعه، فنادى الشيخ: يا سمية، اخرجي، فخرجت جارية، طولها خمسة أشبار، وأنشدت القصيدة كاملة، ثم أنشده قوله: ^(٧٧٩)

776 - () .

777 - :

/

778 - :

779 - :

وَدَعِ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكَبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وداعاً أَيُّها الرَّجُلُ؟ (الرملة)

فنادى الشيخ: يا هريرة، فخرجت جارية، وأكملت القصيدة حتى نهايتها، فخاف الأعشى وتحير، فلما رأى الشيخ ما نزل به، قال: ليفرج روعك، يا أبا بصير، أنا هاجسك " مسحل بن أثانة " الذي ألقى على لسانك الشعر، فسكنت نفسه، ورجعت إليه، وسكن المطر، فدلته الشيخ على الطريق^(٧٨٠).

يتبين من القصة أن الأعشى لقي شيطانه الذي يوحى إليه، من غير أن يعرفه، وأن مسحلاً هو شيطان الأعشى، ونستدل منها على قدرة الجن على نظم الشعر، والإيحاء به إلى الإنسان، وقد روي عن العرب حكايات كثيرة، شبيهة بتلك الحادثة^(٧٨١).

ويصور " سويد بن أبي كاهل " خصومته مع شاعر آخر، وقد أعانه شيطانه، وظهر على شيطان خصمه، فجعله يولي هارباً، فيقول: ^(٧٨٢)

فَرَّ مَنِّي هَارِباً شَيْطَانُهُ حَيْثُ لَا يُعْطِي وَلَا شَيْئاً مَنَعَ (الرملة)

وَأَتَانِي صَاحِبٌ دُوَّ عَيْثٍ زَقْيَانٌ عِنْدَ إِنْفَادِ الْفُرْعِ^(٧٨٣)

قَالَ: لِبَيْتِكَ، وَمَا اسْتَصْرَحْتُهُ حَاقِرًا لِلنَّاسِ قَوْلَ الْقَدْعِ^(٧٨٤)

ذُو عُبَابٍ زَبْدٌ، أَذِيهِ حَمِطُ السِّيَّارِ يَرْمِي بِالْقَلْعِ^(٧٨٥)

ومما يجدر ذكره، أن الاعتقاد بشيطان لكل إنسان، لم يكن مقتصرًا على العرب؛ بل ارتبط الفن عند القدماء عامة ارتباطاً وثيقاً بالوحي والإلهام، فلم تكن الموهبة الشعرية عندهم قدرة إنسانية، تعود إلى المبدع، بأي شكل من الأشكال؛ بل كانت خارج نطاق العقل البشري، فلا

780	/	-
781		-
782		-
783	:	:
784	:	:
785	:	:

يدركها إلا من كان على اتصال بالآلهة، التي تثبت الشعر على ألسنة الشعراء^(٧٨٦).

وقد نسب العرب القوة الخفية التي تمدّ الشعراء بالشعر إلى الشرّ، ولم ينسبوها إلى الخير، فقالوا: شيطان الشعر، أما اليونانيون فقد نسبوا الإلهام في الشعر إلى ربة الشعر، ولكن المراد بها في الحالتين قوى روحية، توحى بالشعر^(٧٨٧)، فقد جاء في مطلع الإلياذة: ^(٧٨٨) (الخفيف)

رَبَّةُ الشَّعْرِ عَنْ أُخَيْلَ بْنِ نَيْلَا أَنْشَدِينَا وَارْوِي احْتِدَاماً وَبَيْلَا

ووجه الشبه بين العرب واليونانيين، يكمن في وجود قوة خفية، تلهم الشعراء الشعر، وكانت آلهة الفنون عندهم، تقيم في قمم الجبال، في هليكون وبرناس وبندوس، واختارت عيوناً مقدسة أودعت فيها سرّها، فإذا شرب منها الشارب، صار شاعراً ملهماً^(٧٨٩)، أمّا العرب فيزعمون، أنّ شياطين الإلهام تأتي من وادي عبقر ووبار، وأقامت في بيوت الأصنام، أحياناً تهتف بأوليائها، ويسمع لها صوت فيها^(٧٩٠)، وزعم سقراط الفيلسوف اليوناني، أنّ له شيطاناً خاصاً، يوحى إليه ما يريد، ثم توسعوا بالنظر إلى الخير والشر، وقالوا إنّ للإنسان شيطانين، للصلاح والفساد، وسموا الموحيات بالشعر (Musa) موزا، كما اعتقد الفرس بإلهي الخير والشر^(٧٩١).

ولا عجب في نسبة الشعر إلى الآلهة حيناً، وإلى الشياطين حيناً آخر؛ لأن كلمة عبقر من الكلمات التي تحمل المتضادات، فمعناها صاحب الجنة، أو الشبيه بالجنة في القدرة والتفوق، كائناً ما كان العمل الذي يتفوق فيه، وترتبط بالجن الذي يسبب الجنون، ويلحق المرض بالإنسان^(٧٩٢)، وروى "شيشرون" عن "ديمقراط" ما يثبت ذلك، وهو قوله: " إنّ الشعر العادي لا يتأتى بغير الجنون، أو وحي خاص يشبه الجنون "^(٧٩٣)، فهو من وحي الجن.

"لو عدنا إلى اشتقاق كلمة جينوس (Genius) في الإنجليزية، و(Genie) في الفرنسية، وكشفنا عن معناها، لوجدنا أن الجن عندهم مسؤولون عن التفوق الذهني، كما هم مسؤولون عن الخبل العقلي أيضاً" (٧٩٤).

ولم تكن الشياطين تابعة لكل الشعراء؛ بل يبدو أنها اقتصرت على الفحول فقط، بدليل ما ورد عن بعض الشعراء، أنه قال لآخر: "أنا أقول كل ساعة قصيدة، وأنت تُعرضها في كل شهر، فلم ذلك؟ فقال: لأنني لا أقبل من شيطاني، مثل الذي تقبله من شيطانك" (٧٩٥)، فالشيطان رمز الموهبة الإبداعية التي تتفاعل مع الشاعر، وتسيطر على نفسيته فيمتزج بها، ويذوب في ثناياها، كما يذوب الشيطان في دم الإنسان، وربما الرابط بينهما، هو أن كليهما سار على طريق الغواية.

وربما كان هذا هو السبب الذي دفع العرب إلى أن تخاف من الشعر، لدرجة أنهم كانوا إذا أسروا شاعراً، ربطوا لسانه بنسعة، لما له من أثر سحري، وعلاقة بالجن والشياطين، وفي هذا يقول عبد يغوث القحطاني بن وقاص الحارثي: (٧٩٦)

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمْعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلُقُوا عَن لِسَانِي (٧٩٧)

فالشاعر يؤكد أثر اللسان في إلحاق الضرر بالآخرين، وهذا يؤكد علاقة الشعر بالسحر، إذ ارتبط الشعر بالسحر ارتباطاً وثيقاً، فكان الشاعر يمارس طقوساً سحرية في الجاهلية، وخاصة في معرض الهجاء، "فقد كان يلبس حلة، ويحلق شعر رأسه إلا ذؤابتين، ويدهن أحد شقي رأسه، وينتعل نعلًا واحدًا" (٧٩٨). ويأتي تبادلُ المواقع بين الساحر والشاعر، من انتمائهما إلى العالم المرتبط بالغيب، ومخلوقاته الأثيرية، من جنّ وشياطين، مما أضفى على الشاعر صفة

794 -

795 -

796 -

797 -

798 -

الساحر والعالم، فهو عالم بقوة شعره السحرية، وبالأراء الروحانية^(٧٩٩).

"فبدا الهجاء طقساً سحرياً، أو ممارسة قائمة بذاتها، يراد بها إلحاق الأذى بالمهجو، معتمداً في ذلك على الجن والشياطين"^(٨٠٠)، فالسحر والهجاء كلمات تقال، تتضمن معنى الشر، واستمطار اللعنة، فيصيب شرها المسحور.

وبناء على ذلك، عزا العرب القدامى الأثر الذي يتركه الهجاء في النفوس، إلى فعل السحر، وقارنوا بين السحر والهجاء؛ للغموض الذي يحيط بهما، والرغبة التي يتركها كل منهما في النفوس، وعزوا الهجاء كغيره إلى إحياء وعون الشياطين؛ فالشاعر الهاجي يستعين بشيطانه، لاستمطار اللعنات على خصومه، والساحر يستعين بالأرواح الشريرة، لإلحاق الأذى بمن يريد سحرهم^(٨٠١)، وقد لاحظنا، كيف استعان الأعشى بشيطانه (مسحل) على هجاء خصومه الذين دعوا له جهنم^(٨٠٢)، وسويد بن أبي كاهل حين أتاه شيطانه؛ لينصره على شيطان خصمه^(٨٠٣).

وباعتبار الهجاء وسيلة سحرية، فإن الشاعر المهجو، يضطر إلى رد ما ألحق به بشعر مماثل، فيكون الهجاء في هذه الحالة "تعويذة سحرية، يردُّ بها على خصمه، ويدافع بها عن نفسه"^(٨٠٤)، ويكون "بمنزلة إبطال فعل القوى الشريرة الكامنه فيه"^(٨٠٥).

ويعد الرثاء عملية سحرية، في أساسها وهدفها، فهي في الأصل رقى وتعازيم، يمكن بواسطتها التخلص من الحزن واليأس، وتخطي حاجز الخوف والقلق^(٨٠٦)، فالساحر والشاعر، كل منهما بمقام الوسيط بين أمته والعوالم غير المنظورة؛ فهُمُ كلُّ منهما أن يحقق بمواهبه ما ينحبس من

799

800

801

802

803

804

805

806

رغائب أمته، وهذا ما ذهب إليه بروكلمان "من أن شعر الرثاء، يكمل الطقوس الجنائزية التي يقصد منها تهدئة روح الميت، وتحقيق الاستقرار له في قبره، وتنهاه أن يرجع إلى الحياة، فيلحق الضرر بالأحياء الباقين"^(٨٠٧).

ويلاحظ الدارس ارتباط التفسير الجاهلي لعملية الإبداع بشياطين الشعراء، في فترة كان الشعر – كما يزعمون- عبارة عن "أناشيد دينية، يتجهون بها إلى آلهتهم، يستعينون بها على حياتهم، فتارة يطلبون بها القضاء على خصومهم، وأخرى يطلبون بها نصرتهم، ونصرة أبطالهم"^(٨٠٨).

ولم أجد أحداً يخالف وينكر ذلك إلا "محمد صادق حسن عبد الله" إذ يقول: اعتقد بعضهم بمقولة شيطان الشعر، أو النفث الجئي، وهو ما يفهم بالإلهام الخفي الذي يلقي في روع الشاعر، مستنداً إلى عدة شواهد شعرية، تربط نشأة القصيدة بذلك، "فلو اعتقدنا بسلطان الشيطان ونفته، لما أصبح للموهبة وحدة القريحة تأثير في القول، ولما أصبح لتعلم الشعر، وتهذيبه مكان في نظمه، وكان أمر إنشاء القصيدة توقيفاً على الشيطان إلا أننا نظن أن الشيطان يوسوس للشاعر بالسوء في أثناء إنشاده، كما يوسوس لنا أثناء الكلام"^(٨٠٩)، فهو ينكر قضية إلهام الشياطين الشعر للشعراء، ويرى أن هذه المقولة أمرٌ متعذر القبول، صعب التأويل، لأن الشيطان والجن موجودان قبل الفترة التي قيل فيها الشعر؛ ويعد ما ورد من أشعارهم في مخاطبة الجن والغول، وغيرهما تعبيراً واقعياً، وترجمة حسية لما يعيش حولهم؛ وذلك لإيمانهم بوجود الجن، ورؤيتهم لها، ومخاطبتهم إياها^(٨١٠).

وإذا عدنا إلى الحديث عن أشعار الجن، فإننا نجدُ كثيراً من القصص التي تُخبر عن نظم الجن للشعر، ومخاطبة البشر به، وهتافها به في الأحداث الكبرى والمناسبات، ولا نستغرب من

- 807

- 808

- 809

- 810

ذلك؛ إذا علمنا أنّ الأساطير العربية القديمة، تنسب أشعاراً إلى إبليس أبي الجن^(٨١١). وهذا بدوره كافٍ ليردّ على ما جاء به " محمد صادق " فالشعر موجود، منذ أن وجد آدم " عليه السلام " وإبليس، وإن كانت أشعارهم مجالاً للشك، إلا أنها تبين قدرة إبليس على نظم الشعر، وتوضح الدور الذي لعبه في قصة سيدنا آدم، وخروجه من الجنة، وإن كانت من نظمه؛ فإنها تثبت وراثته المواهب الأدبية، وتؤكد قدرة الجن على نظم الشعر، وإن كان ما ينسب إليها من الشعر يتسم بالضعف، بدليل ما قالته تخبر به عن قتلها حرب بن أمية^(٨١٢)، وما ورد على لسان جوشن الكلابي يشير إلى تفوق الإنس على الجن، في كل شيء؛ مما أعطى الإنسان السيادة في الكون، وهو: ^(٨١٣)

فَأَقْسِمُ لَوْ بَقِيْتُ لَقُلْتُ قَوْلًا أَعُوقُ بِهَا قَوَافِي كُلِّ جِنَّ (الوافر)

فلا عجب إذن، أن نجد كثيراً من الأشعار تنسب إلى الجن والشياطين، وتبين الهدف أو المناسبة التي قيلت فيها، فقد بشرت بمولد كثير من الشعراء قبل أن يولدوا، من ذلك شاعر تغلب (عمرو بن كلثوم) الذي يحكى أن جده المهلهل عندما ولدت له ليلي، قال لامرأته هند: اقتليها، فأمرت هند الخدم بإخفائها، فلما نام هتف به هاتف، ينشد شعراً: ^(٨١٤)

كَمْ مِنْ فَتَى يُؤَمَّلُ وَسَيِّدٍ شَمَرْدَلٍ ^(٨١٥) (الرجز)

وَعَدَّةٌ لَا تُجْهَلُ فِي بطنِ بِنْتِ مُهَلَّهْلٍ

وعندما استيقظ، سأل عن البنت، وطلب العناية بها، ثم تزوجها "كلثوم بن مالك"، فلما حملت بعمرو ابن كلثوم، قالت: إنه أتاني أت في المنام، فقال: ^(٨١٦) (الرجز)

- 811

- 812

- 813

- 814

- 815

- 816

يا لك لئلي من ولد
يقدم إقدام الأسد

من جشم فيه العدد
أقول قبلاً لا فند

فولدت غلاماً أسمته عمراً، فلما أنت عليه سنة، قالت: أتاني ذلك الآتي ليلاً، وأشار إلى الصبي،
وقال: (٨١٧)

إني زعيم لك أم عمرو
بماجد الجد كريم النجر

أشجع من ذي ليد هزبر
وقاص أتراب شديد الأسر (٨١٨)

يسودهم في خمسة وعشر

يبدو أن الشعراء رُسل الجن إلى البشر، مما يزيد من مكانة الشاعر، فالجن تهتف شعراً،
بيشر بميلادهم، وتتابع أخبار حياتهم، فكانت أخبار عمرو بن كلثوم، كما قالت الجن.

وقد شاع أسلوب حوار الجن والإنس شعراً، من ذلك مثلاً، قصة "عبيد بن الأبرص و
الشجاع" حين وجده في طريقه، وقد احترقت جنباه من شدة الحر والعطش (٨١٩)، وزعموا أن
امرؤ القيس كانت له قصائد، ومطارحات مع عمرو الجني (٨٢٠).

وتظهر المحاوره الشعرية، من خلال المعركة التي دارت بين الجني الذي ظهر بصورة
الظليم، وعبيد بن الحمارس، حين اقتحم مكاناً، فحذرت نساؤه الجن من أهله (٨٢١)، وتبدو أيضاً في
قصة المثل القائل: الحمى أضرتني للنوم، وما جرى بين الجني الذي اختطف الأخوين "مرارة
ومرة" وأخيها مريز الذي ذهب يبحث عنهما (٨٢٢).

- 817

- 818

- 819

- 820

- 821

- 822

وأظن أنّ ما حدث مع "تأبط شراً" والغول بوصفها جنساً من الجن والشيطان، أو ساحرة الجن، يؤكد محاوره الشاعر معها، وإن لم تظهر شخصية الغول بشكل مباشر^(٨٢٣).

وقد نسب إلى الجن قدرتها على تحويل الإنسان إلى شاعر في سرعة هائلة، وذلك من خلال ما تلقّيه في روعه، كما حدث مع عبيد بن الأبرص، "إذ يحكى أنه أقبل ذات يوم، ومعه غنيمة له، ومعه أخته ماوية ليورد غنمه، فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة، فانطلق حزينا مهموماً؛ لما صنع به المالكي، حتى أتى شجرات، فاستظل هو وأخته تحتهن، فناما، فزعم أن المالكي نظر إليه نائماً، وأخته على جنبه، فأساء الظن به واتهمه، فسمعه "عبيد بن الأبرص"، فسأه ذلك، فرفع يديه نحو السماء، فابتهل، فقال: اللهم إن كان هذا ظلمي، ورماني بالبهتان، فأدلني منه، ثم نام، ولم يكن يقول الشعر قبل ذلك، فأتاه أت في المنام بكبة من شعر، حتى ألقاها في فيه، ثم قال له: قم، فقام وهو يرتجز ببني مالك، وكان يقال لهم بنو الزنية، فقال: (٨٢٤)

أَيَا بَنِي الزَّنِيَّةِ مَا عَرَّكُم لَكُمُ الوَيْلُ بِسُرْبَالِ حُجْرٍ^(٨٢٥) (الرمل)

واستمر بعد ذلك في الشعر، فكان شاعر بني أسد بلا منازع، ويبدو أن شيطانه هبيد هو الذي ألقى إليه ذلك؛ لأن ما يلقي للشعراء، يسمى عسُّ الهبيد.

وتقترب هذه القصة من قصة "سكيلوس" اليوناني" إذ يقال إنه بدأ يقول الشعر بمثل هذه الطريقة^(٨٢٦)، وهذا يؤكد تماثل المعتقدات، وإيمان كل منها، أن مصدر الشعر هو قوى خفية.

وقد أورد القرشي قصيدة، نسبها إلى هاتف، ألقاها في روع رجل، خاف من الحرث ابن ذي شداد ملك الجاهلية، وكان قد طلبه فأعجزه، حتى إذا جنه الليل، فاستضاف إلى كهف في جبل، فأخذته عينه، فإذا هو باتٍ قد أتاه، فقعده عند رأسه، وأنشأ يقول: (٨٢٧) (المنسرح)

823

824

825

826

827

الدَّهْرُ يَأْتِيكَ بِالْعَجَائِبِ إِنَّ
الدَّهْرَ فِيهِ لَدَيْكَ مُعْتَبِرٌ
إِنِّي زَعِيمٌ بِقِصَّةٍ عَجَبٍ
عِنْدِي لِمَنْ يَسْتَزِيدُهَا الْخَبِرُ
تَأْتِي بِتَصْدِيقِهَا اللَّيَالِي وَالـ
أَيَّامُ إِنَّ الْقَضَاءَ يُنْتَظَرُ

يبدو من خلال استعراضنا، لما ورد من أشعار على ألسنة الجن، أن الشعر الذي ينسب إلى الجن ضعيف، لا يليق بمنزلتها في عالم الأدب عامة، والشعر خاصة، ولا بمقدرتها، وإذا كانت القصص ضعيفة النسيج أحياناً، بادية السخف أحياناً أخرى، فلأنها لم تنضج من الناحية الفنية، ولم يكن يراد بهما ذات القصة، وإنما أريد بها غايات مختلفة، بعضها ديني، كإخبارها بنزول النبي "صلى الله عليه وسلم"، وانتصار المسلمين في بدر، وبعضها سياسي، أو قبلي، كبكاء الجن على شهداء الحرّة، وقد يكون للعامل الأدبي أثرٌ في كتابة هذه القصص، وتلك الأشعار^(٨٢٨).

وقد أشار الشهرستاني إلى هذه العوامل، فجعل أخبار الجن في سورة (الجن)، وغيرها، سبباً في كثير من الشعر المنسوب إليها، إذ يقول: "فلم يكد القصاصون والرواة يقرأون هذه السورة، حتى ذهبوا في تاويلها كل مذهب، واستغلوا استغلالاً لا حد له، وأنطقوا الجن بضروب من الشعر، وفنون من السجع"^(٨٢٩).

ويؤكد ذلك أيضاً ما أورده الجاحظ، إذ أثبت من خلاله، أن كل ما ورد من أخبار عن الجن وغيرها من باب الخرافات، والمزاعم التي لا أصل لها، لأنه يقول زعموا، ويزعمون^(٨٣٠).

ومهما يكن من أمر، فإن الشعراء كانوا يعتقدون، أن شعرهم أحرف نارية، تلقى بها الجن على ألسنتهم، وأنهم إنما يتناولون من الغيب، فهم فوق أن يُعدوا من الناس، ودون أن يُحسبوا من الجن^(٨٣١).

828 - / :

829 - - :

830 - / :

831 - / :

المبحث السابع

الجن والكهانة والسحر

تعتبر الكهانة من الأمور التي ارتبطت بالجن، وهيمنت على عقليّة الجاهليين، واتصلت بمجرى حياتهم، وتعني استخدام الجن في معرفة الأمور الغيبية، والتنبؤ واستطلاع الغيب بوساطتهم^(٨٣٢)، فكان الجاهليون إذا ناب أحدهم أمرٌ يريد معرفة داخلته أو مستقبله، ذهب إلى الكاهن، فأخبره بما يهمله، وكانوا "يعتقدون أن لكل كاهن صاحباً من الجن، يحضر إليه، فيخبره بما يريد، أو شيطاناً يخبره به"^(٨٣٣)، "وأنّ الشياطين تسترق السمع، وتلقيه على ألسنة الكهان؛ فيؤدون إلى الناس الأخبار، بحسب ما ترد إليهم"^(٨٣٤).

فالكهنة " قوم لهم أذهان حادة، ونفوس شريرة، وطباع نارية، فألفتهم الشياطين؛ لما بينهم من التناسب في هذه الأمور، وساعدتهم بكل ما تصل قدرتها إليه"^(٨٣٥)، فكان خضوع الناس للكهنة، بدافع تحقيق منفعة لهم، قد لا يخرج عن هدف جوهري، هو دفع غوائل الدهر عنهم، والتي لا يقدر عليها بحسب زعمهم إلا الكهنة، وما يتفرع عنهم من أمور جانبية أخرى، وتصبُّ في محور محافظة الإنسان على حياته، والتمتع بالاستقرار والهناء، وردّ الشر أياً كان مصدره^(٨٣٦).

وقد لبس أمر الرسول "عليه السلام" على المشركين؛ فنعته بالسحر، ورموه بالجنون، وقالوا إن له رؤيا أو تابعاً من الجن، فخلطوا بين الملك والرئي، وهذا ما ذهبت إليه الخرافات العربية، من أنّ الكاهن هو الصورة المشوّهة للنبي في التراث اليهودي، فهو يعرف حكم الغيب،

- 832

- 833

- 834

- 835

- 836

ويتنبأ بما سيحدث مستقبلاً، والفرق بينهما، أن النبي يستلهم الملائكة، والكاهن يستلهم الشياطين^(٨٣٧).

فالشياطين هم أصحاب الكهنة، وركاتهم يتكلمون بالسنتهم، والقرآن الكريم خير مصدر، أشار إلى حقيقة وجود الكهان، في المجتمع الجاهلي، ورد على مزاعم المشركين، بقوله:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ ظُلُمٍ إِلَى نُّورٍ بِإِذْنِهِ﴾^(٨٣٨) وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ ظُلُمٍ إِلَى نُّورٍ بِإِذْنِهِ﴾^(٨٣٩).

وهكذا قرن القرآن الكريم الكهانة بالجنون؛ وذلك لما لكل منهما من علاقة بالجن، ونفى عن رسول الله تهمة الكهانة.

والكهانة أنواع تدور حول الجن وتتعلق بها، فمنها ما يتلقونه من الجن مباشرة، إذ تصعد الجن إلى جهة السماء، فيركب بعضها فوق بعض، إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام؛ فيلقيه إلى الذي يليه، إلى أن يتلقاه من يليه، ويلقيه في أذن الكاهن، فيزيد فيه، فهي إذن قائمة على استراق الجني السمع، وإلقائه في أذن الكاهن، ثم ما لبثت السماء أن حرست من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب، وذلك بعد بعثة النبي "عليه السلام"، فلم يبق من استراقهم إلا ما يتخطفه الأعلى، فيلقيه إلى الأسفل، قبل أن يصيبه الشهب^(٨٤٠).

837 /
838 .
839 -
840 -

ويؤكد القرآن الكريم تلك الحقيقة بقوله: " ﴿مَنْ يَدْعُ إِلَى الْفِتْنِ فَيُجِبْهُ فَيُدْخِلْهُ مُؤَمَّنًا فَقَدْ أَخْرَجَهُ مِنْهَا وَلَسَ يَدْرِي أَيَّ صَاحِبِ الْمَقَامِ كَانَتْ تَعْبُدُ ۖ وَمَا كَانَ لِدُعَاؤِهَا مُبَدِّلَ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الصَّالِحِينَ ۗ﴾ " (٨٤١)

﴿مَنْ يَدْعُ إِلَى الْفِتْنِ فَيُجِبْهُ فَيُدْخِلْهُ مُؤَمَّنًا فَقَدْ أَخْرَجَهُ مِنْهَا وَلَسَ يَدْرِي أَيَّ صَاحِبِ الْمَقَامِ كَانَتْ تَعْبُدُ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الصَّالِحِينَ ۗ﴾ (٨٤١)
﴿مَنْ يَدْعُ إِلَى الْفِتْنِ فَيُجِبْهُ فَيُدْخِلْهُ مُؤَمَّنًا فَقَدْ أَخْرَجَهُ مِنْهَا وَلَسَ يَدْرِي أَيَّ صَاحِبِ الْمَقَامِ كَانَتْ تَعْبُدُ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الصَّالِحِينَ ۗ﴾ (٨٤١)
﴿مَنْ يَدْعُ إِلَى الْفِتْنِ فَيُجِبْهُ فَيُدْخِلْهُ مُؤَمَّنًا فَقَدْ أَخْرَجَهُ مِنْهَا وَلَسَ يَدْرِي أَيَّ صَاحِبِ الْمَقَامِ كَانَتْ تَعْبُدُ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الصَّالِحِينَ ۗ﴾ (٨٤١)
﴿مَنْ يَدْعُ إِلَى الْفِتْنِ فَيُجِبْهُ فَيُدْخِلْهُ مُؤَمَّنًا فَقَدْ أَخْرَجَهُ مِنْهَا وَلَسَ يَدْرِي أَيَّ صَاحِبِ الْمَقَامِ كَانَتْ تَعْبُدُ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الصَّالِحِينَ ۗ﴾ (٨٤١)
﴿مَنْ يَدْعُ إِلَى الْفِتْنِ فَيُجِبْهُ فَيُدْخِلْهُ مُؤَمَّنًا فَقَدْ أَخْرَجَهُ مِنْهَا وَلَسَ يَدْرِي أَيَّ صَاحِبِ الْمَقَامِ كَانَتْ تَعْبُدُ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الصَّالِحِينَ ۗ﴾ (٨٤١)
﴿مَنْ يَدْعُ إِلَى الْفِتْنِ فَيُجِبْهُ فَيُدْخِلْهُ مُؤَمَّنًا فَقَدْ أَخْرَجَهُ مِنْهَا وَلَسَ يَدْرِي أَيَّ صَاحِبِ الْمَقَامِ كَانَتْ تَعْبُدُ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الصَّالِحِينَ ۗ﴾ (٨٤١)
﴿مَنْ يَدْعُ إِلَى الْفِتْنِ فَيُجِبْهُ فَيُدْخِلْهُ مُؤَمَّنًا فَقَدْ أَخْرَجَهُ مِنْهَا وَلَسَ يَدْرِي أَيَّ صَاحِبِ الْمَقَامِ كَانَتْ تَعْبُدُ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الصَّالِحِينَ ۗ﴾ (٨٤١)

(٨٤٢)، ويتضح ذلك من خلال ما قاله عبد الله بن عمرو: " لما كان اليوم الذي نبئ به رسول الله، منعت الشياطين، ورُموا بالشهب" (٨٤٣).

وقد أشار أمية بن أبي الصلت إلى هذا المعنى بقوله: (٨٤٤)

وَتَرَى شَيْاطِينًا تَرُوعُ مُضَافَةً وَرُؤَاغَهَا شَتَّى إِذَا مَا تُطْرَدُ (٨٤٥)

تُلْقَى عَلَيْهَا فِي السَّمَاءِ مَذَلَّةٌ وَكَوَاكِبٌ تُرْمَى بِهَا فَنُعْرَدُ (٨٤٦)

ومن الكهانة، ما يخبر به الجني من يواليه، بما غاب عن غيره، بما لا يطلع عليه من قُرْبٍ منه، ولا من بعد (٨٤٧)، واختلف في مصدر استطلاع الغيب، فمن كان يعتقد التوحيد نسبه إلى أفواه الملائكة، ومن كان من عبدة الأصنام، اعتقد حلول الأرواح المجردة داخل الأصنام، وقدرة الكاهن على مخاطبتها (٨٤٨)، لأنه إنسان غير طبيعي، وذو صلة بالآلهة والجن، وهذا يؤكد

841
842
843
844
845
846
847
848

ما ذهبوا إليه، من "أنهم كانوا يسمعون من أجواف الأصنام همهمة"^(٨٤٩)، من ذلك ما يروى عن صنم اسمه ضمّار، للعباس بن مرداس، كان أبوه قد أوصاه بعبادته، وبقي كذلك، إلى أن ظهر أمر رسول الله عليه السلام، فسمع العباس صوتاً، يخاطبه شعراً من جوف الصنم، قائلاً: ^(٨٥٠)
(الكامل)

هَلْكَ الْأَنْبِيُسُ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ قُلْ لِلْقِبَائِلِ مِنْ سَلِيمٍ كُلِّهَا

بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهَنْدٍ إِنَّ الَّذِي وَرَثَ النَّبُوَّةَ وَالْهُدَى

قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَوْدَى الضَّمَّارُ؛ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً

فالقصة تبين العلاقة بين الجن والكهنة.

وقد كان لكل قبيلة كاهن، يستشيرونه في حوائجهم، ويحتكمون إليه في خصوماتهم، ويستطبونه في أمراضهم، ويستفتونه فيما أشكل عليهم، ويستفسرون منه عن رؤاهم، ويستنبئونهم مستقبلهم^(٨٥١)، من ذلك ما حدث مع الزّباء – صاحبة جذيمة الأبرش- وكانت قد سألت كهنة عن أمرها، فقالوا لها: نرى هلاكك بسبب عمرو بن عدي، ولكن حتفك بيدك، فحذرت عمراً، واتخذت نفقاً من مجلسها إلى حصن لها داخل مدينتها، وذلك ما لمح إليه، المخبلّ السعدي في إحدى قصائده التي يقول فيها: ^(٨٥٢)
(الكامل)

يَا عَمْرُو إِنِّي قَدْ هَوَيْتُ جَمَاعَكُمْ وَلَكُلِّ مَنْ يَهْوَى الْجَمَاعَ فُرَاقُ

بَلْ كَمْ رَأَيْتُ الدَّهْرَ زَائِلَ بَيْنَهُ مَنْ لَا يُزَائِلُ بَيْنَهُ الْأَخْلَاقُ

طَابَتْ بِهِ الزَّبَاءُ وَقَدْ جَعَلَتْ لَهَا دُوراً وَمَشْرَبَةً لَهَا أَنْفَاقُ

- 849

- 850

- 851

- 852

ويُتضح دورُ الكاهن في قول أُحيحة بن الجَلّاح: (٨٥٣)

(الوافر)

فَهَلْ مِنْ كَاهِنٍ أَوْذِي إِلِهِ إِذَا مَا حَانَ مِنْ رَبِّ أَقُولُ^(٨٥٤)

يُرَاهُنِّي فَيُرَاهُنِّي بَنِيهِ وَأُرَاهُنُّهُ بَنِيَّ بِمَا أَقُولُ^(٨٥٥)

ولقد لعب بعض الشعراء دور الكاهن، الحريص على مصلحة قومه، يقدم لهم النصيح والإرشاد، ويؤكد ذلك، ما ورد عن أبي ذؤيب الهذلي أنه كان كاهناً^(٨٥٦) يحتل مكانة مرموقة في قومه، وهذا

ما أشار إليه ابن عمه خالد في قوله: (٨٥٧)

(الطويل)

وَكُنْتَ إِمَاماً فِي الْعَشِيرَةِ تَنْتَهِي إِلَيْكَ إِذَا ضَاقَتْ بِأَمْرِ صُدُورُهَا

فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرُّهَا وَأَوَّلُ رَاضِي سُنَّةٍ مَنْ يَسِيرُهَا.

ومن الكهان الذين عظم شأنهم؛ ورسم القصاصون لبعضهم صوراً خيالية "شق بن انمار ابن نزار^(٨٥٨). وقد كانت صورته توحى بصورة الغول عند العرب، وفي أخباره ما يوحي بصلته بالجن، ومنهم سطيح بن مازن بن غسان الذي كان يدرج كما يدرج الثوب، لا عظم فيه إلا الجمجمة، ويقال إن وجهه كان في صدره، ولم يكن له رأس، ولا عنق^(٨٥٩)، وقد أشاد به الشعراء، منهم الأعشى الذي أقرَّ بصدق ما يسجع به، بقوله: (٨٦٠)

مَا نَظَرْتُ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظَرَتِهَا حَقًّا كَمَا صَدَقَ الدُّبِّيُّ إِذْ سَجَعَا^(٨٦١) (البيسيط)

853

854 : : الرَّبِّ: السَّيِّدِ.

855

856

857

858

859

860

861

إِذْ نَظَرْتُ نَظْرَةً لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ إِذْ يَرْفَعُ الْأَلُّ رَأْسَ الْكَلْبِ فَارْتَفَعَا

وقد كان للكهنة دور كبير في الإخبار عن الحوادث المستقبلية، والتبشير بالدعوة الإسلامية، من ذلك حادثة إسلام "سواد بن قارب"^(٨٦٢)، ومن هؤلاء الكهنة، خنافر بن التوأم الحميري الذي كان رَيْئُهُ لا يتغيب عنه في الجاهلية، فلما شاع الإسلام، جاء يدعو إليه، ويثني على النبي "صلى الله عليه وسلم"^(٨٦٣).

ومن الحوادث الدالة على إيمان الجاهليين بالكهنة، وتصديقهم ما يقولونه، ما حدث مع الشاعر "أفنون التغلبي" إذ سأل كاهناً عن موته، فأخبره، وكان كما قال له، وحين شعر بدُئُو أجله، في المكان الذي أشار إليه الكاهن، قال لرفيق له: احفر لي قبراً، فإني ميت، ثم تغنى قبل أن يموت، باكياً نفسه: ^(٨٦٤) (الطويل)

أَلَا لَسْتُ فِي شَيْءٍ فَرُوحًا مُعَاوِيَا وَلَا الْمُشْفِقَاتُ إِذْ تَبْعُنَ الْحَوَازِيَا ^(٨٦٥)

كَفَى حَزَنًا أَنْ يَرَحَلَ الْحَيُّ غُدُوَّةً وَأَصْبَحَ فِي أَعْلَى الْإِلَهِةِ ثَاوِيَا ^(٨٦٦)

لذلك كان الكهنة هدف الأعداء، فهذا علقمة بن السباح يسخر بمقتل عمرو بن الجعيد، الكاهن الذي قتل في يوم الكلاب الثاني، بقوله: ^(٨٦٧) (السريع)

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ مَخْلُوجَةً أَكْرَهْتُ فِيهِ خَرَصًا مَارِنَا ^(٨٦٨)

قُلْتُ لَهُ: خُذْهَا، فَإِنِّي امْرُؤٌ يَعْرِفُ رُمْحِي الرَّجْلَ الْكَاهِنَا

862	/	/	-
863	:	:)
864	/	-	(
865	:	:	:
866	:	:	:
867	:	:	-
868	:	:	-

وذلك لما له من قدرات عجيبة، فلماذا يسخر إذا لم يكن للكاهن حدُّ التألية؟ ألم يكن يتمتع بكل ما يعينه على تمكين فكرة الإنسان القادر على كل شيء.^(٨٦٩)

ولم تقتصر الكهانة على الرجال؛ بل لقد كانت النساء أقدر على الكهانة من الرجال^(٨٧٠)، فقد ورد عن "عفراء" الكاهنة الحميرية " أن "مرثداً بن عبد كلال" حشر الكهان؛ ليخبروه بتفسير رؤيا، فعجزوا، وكانت أمه قد تكهنت، فقالت له: أبيت اللعن أيها الملك إنَّ الكواهن أهدى إلى ما تسأل عنه؛ لأن أتباع الكواهن من الجان ألطف وأظرف من أتباع الكهان، ولكنهن عجزن عن ذلك، حتى اهتدى إلى عفراء الحميرية، ففسرت له الرؤيا، وأراد أن يتزوجها، فرفضت، وقالت: إنَّ تابعي غيور، ولأمري صبور، وناكحي مَثْبُور، والكلف بي ثبور".^(٨٧١)

وهذا يبين مكانة المرأة في الجاهلية، إذ تستطيع أن تنبئ بالغيب، بفضل أتباعها من الجان^(٨٧٢)؛ لأنها تمتلك قوة سحرية، تشهد لها معتقداتهم، فقد عرف عن الجاهليين، أنهم كانوا في الحرب، ربما أخرجوا النساء، فبلن بين الصفين، فإن ذلك في رأيهم يطفئ نار الحرب، ويقودهم إلى السلم، وقد سجل الشعراء ذلك في أشعارهم، من ذلك ما يقوله الشاعر، منكرأ قدرة بول النساء على إطفاء نار الحرب:^(٨٧٣)

هيهات رُدُّ الخَيْل بالأبوال إذا غَدَّتْ في صُور السَّعالي (الكامل)

ورغم ذلك، فإن المرأة تملك قدرة سحرية، "كانت تضرب بها المحبوب بالجنون؛ فيفقد لَبَّهُ، ويتشتت عقله، فيستسلم وينقاد لها حتى الموت"^(٨٧٤)، وفي المقابل كانت تمارس طقساً سحرياً

- 869

- 870

- 871

- 872

- 873

- 874

من شأنه إمداد الرجل بالقوة، كما لها قدرة التأثير على الحيوان^(٨٧٥)، فقد أشار "سويد بن أبي كاهل اليشكري" إلى ذلك، بقوله^(٨٧٦):

(الرمل)

خَبَلْتَنِي ثُمَّ لَمَّا تُشْفِي
فُقُؤَادِي كُلَّ أَوْبٍ مَا اجْتَمَعُ

وَدَعَنْتَنِي بِرُقَاهَا، إِنَّهَا
تُنْزِلُ الْأَعْصَمَ مِنْ رَأْسِ الْيَفْعِ^(٨٧٧)

فهو يعترف بأثرها، ويرى أنه لم يستطع مقاومة إغرائها، أو الفكاك من أسرها. ولم يقتصر تأثيرها عليه، وإنما تعداه إلى الحيوانات.

ونتبين ذلك من خلال ما قامت به المرأة من تعليق الخرز، إذ نوّعت في الخرزات بتنوع الغرض، والهدف منها، فهي لم تكتف بسحرها الجسدي، وإنما لجأت إلى الرقى والسحر؛ كي تؤكد إيمانها المطلق بقدرة هذه الخرزات في التأثير على الزوج، وهذا أمرٌ نابعٌ من وثبيتها، القائمة على عبادة الأصنام، ويؤكد ذلك ما قاله "الشمردل" منكرًا أثر السلوة "وهي خرزة بيضاء شفافة، تدفنها في الرمل، ثم تفحص عنها بإصبعك، حتى تراها سوداء، فتنتفعها في الشراب، ويسقى عليها الحزين فيسلو، ويُصرف بها الإنسانُ عمَّن يحبه"^(٨٧٨)، وقد استخدموها في مجال العشق، من ذلك قول احدهم^(٨٧٩):

(الكامل)

وَلَقَدْ سُقَيْتُ بِسَلْوَةٍ فَكَأْتُمَا
قَالَ الْمُدَاوِي لِلْخِيَالِ بِهَا أُرُ

ومن المعتقدات التي لها علاقة بالسحر ما يُسمى بطقس رمي البعرة^(٨٨٠)، إذ يقول أحد الشعراء الجاهليين مخاطباً امرأته، حاثاً إياها على عدم ممارسة هذا الطقس؛ لأنه لا يفيد^(٨٨١):

لَا تَقْذِفِي خَلْفِي إِذَا الرَّكْبُ اغْتَدَى
رَوْتُهُ عَيْرٍ وَحَصَاةٍ وَثَرَى (الرجز)

- 875

- 876

- 877

- 878

- 879

- 880

- 881

لَنْ يَنْفَعَ الْمَقْدَارَ أَسْبَابُ الرُّقَى وَلَا التَّهَاطُيْلُ عَلَى جِنَّ الْفِلا

كما اعتبر الجاهليون فقء عين الفحل من العيافة؛ وذلك لحماية الإبل من الحسد، فيقول
أحد الشعراء: (٨٨٢)

(الطويل)

فَقَاتُ لَهَا عَيْنَ الْفَحِيلِ عِيَاةٌ وَفِيهِنَّ رِعْلَاءُ الْمَسَامِعِ وَالْحَامِي

فالعيافة من القضايا المرتبطة بالجن؛ إذ "أن العائف هو الرجل المتكهن، الصادق الحدس والظن،
وبنو أسد يذكرون بالعيافة، ويوصفون بها، وقد قيل عنهم إن الجن كانت تستجد بهم حينما تضلُّ
إبلها" (٨٨٣).

ولم يقف دور الكهنة عند هذا الحد؛ بل تجاوز ذلك إلى "احتراف مهنة الطب، ومعالجة
المرضى، وذلك عن طريق طرد الشياطين من جسم المريض، بالتعاون والتراويل والأناشيد
المقدسة، حتى كانت هذه المهنة حكراً لهم" (٨٨٤)، فالأمراض سببها في نظرهم، روح شريرة تحلُّ
في جسم المريض، فيتمُّ علاجه بطرد تلك الأرواح، ويشترك مع الكاهن والحازي والعراف
الساحر في ذلك؛ إذ غدت كلها تقريباً من المترادفات، وقد ربطوا شخصية الملك بالكاهن،
وزعموا أن الملوك يمتلكون قوى روحية خارقة، وقدرات سحرية، يستطيعون بواسطتها ردَّ
الموت عن أنفسهم، فهم لا يموتون، وأرواحهم خالدة، وإن ماتوا فإن دماءهم تستخدم لعلاج الكلب
والخبل (٨٨٥)، وقد كثر التعبير عن هذه المزاعم في أشعارهم، من ذلك ما يقوله المتلمس الضبعي:
(٨٨٦)

من الدَّارِمْيِّينَ الَّذِينَ دَمَاؤُهُمْ شَفَاءٌ مِنَ الدَّاءِ الْمَجَبَّةِ وَالْخَبْلِ (٨٨٧) (الطويل)

(الطويل)

وهذا عاصم بن القرية يقول: (٨٨٨)

882	/	/	-
883	/	:	-
884	.	:	-
885	/	/	-
886	.	:	-
887	.	:	-

وَدَاوِيئُهُ مِمَّا بِهِ مِنْ مَجْنَةٍ دَمَ ابْنِ كُهَالٍ وَالنُّطَاسِيَّ وَاقْفُ

وَقَلْدَتْهُ دَهْرًا تَمِيمَةً جَدَّهُ وَلَيْسَ لِشَيْءٍ كَادَهُ اللَّهُ صَارْفُ^(٨٨٩)

إلا أن الإيمان بقدرة الكهان على علاج المرضى، لم يمنع من نظرة التشاؤم المكونة في النفس الإنسانية إزاء الموت، والإيمان بأنه قدرٌ محتوم، على الرغم من محاولة مواجهته وتحديه، وفي ذلك يقول الممزق العبدي: ^(٨٩٠) (الطويل)

وَلَوْ كُنْتُ فِي بَيْتٍ تُسَدُّ خُصَاصُهُ حَوَالِيَّ مِنْ أَبْنَاءِ بَكْرَةَ مَجْلِسُ^(٨٩١)

وَلَوْ كَانَ عِنْدِي حَازِيَانٌ وَكَاهِنٌ وَعَلَّقَ أَنْجَاسًا عَلَيَّ الْمُنْجَسُ
إِذَنْ لِأَتُنْتِي حَيْثُ كُنْتُ مِنْيَّتِي يَخْبُبُ بِهَا هَادٍ إِلَيَّ مُعْفَرَسُ^(٨٩٢)

فالشاعر ينكرُ قدرة الحازي والكاهن والتنجيس، والأهل والعشيرة على دفع الموت عنه،

ويؤكد ذلك قول تأبط شرًا: ^(٨٩٣) (الكامل)

كَذِبَ الْكُوهَانُ وَالسَّوَاخِرُ وَالْهَنَا أَنْ لَا وَفَاءَ لِعَاجِزٍ لَا يَبْقِي

ونجد في شعر أبي ذؤيب الهذلي، ما يشير إلى عدم اعتقاده بالطرق الذي هو "ضرب الكاهن بالحصى" ^(٨٩٤)، وذلك في قصيدة يرثي بها ابن عمّه نشيبة، ويثهم الطراق بالكذب، منها: ^(٨٩٥)

يَقُولُونَ لِي: لَوْ كَانَ بِالرَّمْلِ لَمْ يَمُتْ نَشِيبَةُ وَالْكُهَّانُ يُكَذِبُ قِيلُهَا. (الطويل)

ويبدو ذلك فيما قاله أفنون التغلبي رافضاً تصديق ما قاله الكاهن له: ^(٨٩٦) (السريع)

888	/
889	:
890	:
891	:
892	:
893	:
894	" "
895	/ / :

يا أَيُّها المَزْمَعُ وَشَكَ النوى لا يَنُتِك الحازي ولا الشَّاحُجُ

ولم يقتصر السحر على خداع الإنسان، والتحكم في تصرفاته وشئونه، وإنما يهدف إلى التحكم بقوى الطبيعة الخفية، والسيطرة عليها، من ذلك ما كانت تقوم به بعض الشعوب فجرأ؛ لإعانة الشمس على الشروق، أو في أحوال الكسوف والخسوف، والطقوس التي كانت تؤدي لإيقاظ الأرض من سباتها الشتائي^(٨٩٧)، ويندرج تحتها التحكم في المطر، " فالساحر كالوسيط بين أمته، والعوالم غير المنظورة، مهمته تحقيق ما انحبس من رغائبها بمواهبه الخاصة " ^(٨٩٨).

ففي معتقدات الجاهليين، أن الشياطين تتحكم في تلك الظواهر، فتصد الشمس عن الشروق، ويسجل أمية بن أبي الصلت ذلك بقوله: ^(٨٩٩)

والشمسُ تطلُّ كلَّ آخر لَيْلَةٍ حمراءَ يُصْبِحُ لَوْئها يَنورُ
تَأبى فَلَا تَبْدو لنا في رُسُلهَا إلاَّ معذبةً وإلاَّ تُجَلدُ
لا تستطيعُ بأن تُقَصِّرَ ساعةً وبذاكِ تدأبُ يومَهَا وتَسرُدُ

ويأتي ضمن هذا الباب ما تأتي به النجوم من الخير والشر، فعبيد بن الأبرص يقول: ^(٩٠٠)

فالشَّمسُ طالعةٌ وليلٌ كاسفٌ والنَّجمُ تجري أنحساً وسُعوداً (الكامل)

فهو يؤمن بقدرة النجوم من خلال ما بها من الشياطين على إلحاق الخير والشر بالإنسان.

ويرتبط بذلك ما كانوا يسمونه بطقوس الاستسقاء، فكل ما يتصل بها يعد من الممارسات السحرية، سواء أكانت بالنيران أو بالثور أو البقر ^(٩٠١) وغيرها.

896

897

898

899

900

901

ونخلص من ذلك إلى أن السحر عند القدماء، كان يقوم على مبدأ التحكم بالآلهة، وإجبارها على العمل، وأنه طريقة لإعطاء الإنسان نوعاً من السيادة على الرب أو الشيطان، وتغيير القدر الذي تفرضه النجوم عليه، وأن الكهانة والسحر يلتقيان في منابع الموهبة ومصادر الإلهام، والكاهن والساحر شخص يعيش على شفا عالمين، عالم الجن وعالم الإنس، وإن اختلفت مصادر كل منهما من حيث النوعية، فالساحر مُلهمه الجنّي، أمّا الكاهن فملهمه الرئي.

وأنّ السحر دخل في كل ممارسات الجاهليين وطقوسهم الحياتية، كما كان عند الأمم القديمة فقد مارست الكهانة والسحر بنفس الوسائل ولنفس الأغراض^(٩٠٢).

ويثبت ذلك ما قاله جرجي زيدان " أن الكهانة من العلوم الدخيلة على العرب، وأن الكلدانيين حملوها إليهم مع علم النجوم، ويؤكد ذلك أن الكاهن يسمى بالعبرية حازي، وهما بنفس المعنى، وهو الرائي والناظر، والبصير والحكيم والنبي"^(٩٠٣)، ويؤكد الجاحظ هذا التشابه؛ إذ استخدم كلمة حازي في حديثه عن تحاكم العرب عند بعض الحكام، ويقول: " كان العرب يتحاكمون عند حازي جهينة"^(٩٠٤).

902 - :
903 - /
904 - / / ()

الفصل الرابع

الجن و الحيوان في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: الجن والحيوان

المبحث الثاني: الجن والكلب الأسود

المبحث الثالث: الجن والإبل

المبحث الرابع: الجن والخيل

المبحث الخامس: الجن والطير

المبحث السادس: الجن والحية

المبحث السابع: الجن والغزال

المبحث الثامن: الجن والثور

المبحث الأول

الجن والحيوان

يَعُجُّ عالم الصحراء العربية بكائنات روحية، وقوى خفية تتحكم في أهواء البشر، وتصرفاتهم، ومصائرهم، منها الهامة والصدى، والجن والغول والأفاعي الطائرة، كل هذه المخلوقات دخلت في أوهام العرب، وشكلت أخیلتهم^(٩٠٥)، وكانت جزءاً من حياتهم، تتعاقب مع ما يعتمدون عليه من حيوانات قريبة إلى نفوسهم، وتشكل عنصراً أساسياً في حياتهم كالخيل والإبل، وما يعترضهم من حيوانات متوحشة، تشكل هاجس الخوف في نفسية بدائية، فما كان من الإنسان الجاهلي إلا أن ربط بين هذه الكائنات، بروابط أملاها عليه واقعه، فتارة يجعل من الحيوانات الأليفة، وما يحيط به من حيوانات متوحشة، مطايا لتلك الكائنات، وتارة يجعل تلك الكائنات، تتصور بأشكال مختلفة غريبة وعجيبة، بل وبلغ به الحدّ، أن جعل بينها علاقة قرابة ونسب حتى كان الجنّ حيواناً في تصوّر العربي القديم^(٩٠٦).

وهكذا تراوحت الحيوانات التي اعتقد الجاهليون بأن الجن تتركبها، بين المتوحشة والأليفة، وبين ضخامة الحجم وصغره، ونظروا إليها نظرة رهبة وخوف وتقديس، وأحجموا عن صيدها أو قتلها، ونسجوا حكايات طريفة في ذلك، ونظموا أشعاراً، واتخذوا من بعض الحيوانات التي لا يركبها الجن تعويذة وتميمة؛ لدفع الأذى والشر عنهم. ويؤكد الجاحظ هذه المزاعم، بقوله: "والأعراب لا يصيدون يربوعاً، ولا قنفذاً، ولا ورلاً من أول الليل، وكذلك كل شيء، يكون عندهم من مطايا الجن، كالنعام والظباء، فإن قتل أعرابي قنفذاً، أو ورلاً من أول الليل، أو بعض هذه المراكب، لم يأمن على فحل إبله، ومتى اعتراه شيء، حكم بأنه عقوبة من قبلهم، قالوا: ويسمعون الهاتف عند ذلك بالنعي، وبضروب الوعيد"^(٩٠٧).

- 905

- 906

- 907

وستحدث الآن عن بعض الحيوانات ذات الصلة القوية بالجن، مع استعراض ما يثبت ذلك في الموروث الشعري، بدءاً بمطايا الجن.

يُعَدُّ القنفذ من أشهر مطايا الجن، ونوعاً من الحيوانات التي لا تظهر إلا ليلاً، وقد كثر ذكره في أشعار العرب، كما تسمّى به بعضهم، وذو البُرة الذي ذكره عمرو بن كلثوم، هو الذي يقال له، "بُرة القنفذ"، وهو كعب بن زهير^(٩٠٨)، فيقول: ^(٩٠٩)

وذا البُرة الذي حُدثتَ عنه به نُحَمَى وَتَحْمَى الْمُحَجَّرِينَا

وقد لقب بذلك لشعر خشن كان على أنفه، تشبيهاً بالقنفذ، وقد أورد الألويسي حكاية تدل على ارتباط القنفذ بالجن، مفادها "أنّ عبيد بن الحمارس، كان نازلاً بالسماوة، فارتحل بعد جفافٍ حلّ فيها إلى وادي تبّل^(٩١٠)، فرأى روضة وغديراً، فقال: روضة وغدير، وخطب يسير، وأنا لما حويت مجير، فنزل هناك، وله امرأتان، (رباب وخولة)، فقالت له خولة: ^(٩١١)

أرى بلدةً قفراً قليلاً أنيسها وإنا لنخشى إن دجا الليل أهلها (الطويل)

وقالت له رباب:

أرتك برأيي فاستمع عنك قولها ولا تأمنن جنّ العزيف وجهها (الطويل)

فقال مجيباً:

ألستُ كمياً في الحروب مجرباً شجاعاً إذا شبت له الحربُ محرباً^(٩١٢) (الطويل)

سريعاً إلى الهيجا إذا حمس الوغى فأقسم لا أعدو الغدير منكباً

//

ثم صعد إلى جبل تُبَل فرأى شبيهة، وهي الأنتى من القنفاذ، فرماها فأقعصها، ومعها ولدها،
فارتبطه، فلما كان الليل، هتف به هاتف من الجن: (٩١٣) (الكامل)

يا ابن الحمارس قد أسأت جوارنا وَرَكِبْتَ صَاحِبِنَا بِأَمْرِ مُفْطَعٍ

وَعَقَرْتَ لَفْحَتَهُ وَفُدَّتْ فَصِيلُهَا قَوْدًا عَنيفًا فِي الْمُنَيْفِ الْأَرْفَعِ (٩١٤)

وَنَزَلْتَ مَرَعَى شَاتِنَا وَظَلَمْتَنَا وَالظَّلْمُ فَاعِلُهُ وَخَيْمُ الْمُرْتَعِ

فَلَنْطُرُقْتِكَ بِالَّذِي أَوْلَيْتَنَا شَرًّا يَجْبِكُ وَمَالُهُ مِنْ مَدْفَعِ

فالهاتف من الجن، يتهم عبيد بن الحمارس بإساءة الجوار، حينما نزل بوادي " تبل "، مما يؤكد أن الوادي مسكن للجن، وأنه عقر ناقة الجن، وهي القنفذ، وقاد فصيلها، ويصف الناقة بالتمام والطول والحسن، وأن الروضة التي نزل بها، هي مرعى لشيء الجن؛ ولذلك فقد توعد الجن ابن الحمارس، بأنهم سيعاملونه كما عاملهم بالإساءة إليه، فأجابه ابن الحمارس بأبيات من الشعر، ينفي فيها التهمة عن نفسه، ويدعو الجن إلى الاستماع إلى قوله، وتستمر الحكاية، والجدال بين الجن وابن الحمارس، وبين الاتهام والنفي، والتهديد والتحدي، إلى أن يتدخل أحد الجن الخيرين، ويفضّ النزاع بينهما، بتغريم ابن الحمارس ناقة بدلاً من التي عقرها (٩١٥). فالحكاية تشير إلى أن القنفذ من مطايا الجن.

ومن مطايا الجن "العَضْرَفُوط" وهو دويبة صغيرة، ضعيفة، ملساء، تعدو، وتتردد

كثيراً، ولا تؤذي (٩١٦)، وقد وردت في الشعر المنسوب إلى الجن: (٩١٧)

كُلُّ الْمَطَايَا قَدْ رَكَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ أَلَدًا وَأَشْهَى مِنْ رُكُوبِ الْجَنَادِبِ (الطويل)

913 - / .

914 - : . :

915 - / - .

916 - / .

917 - / .

وَمِنْ عَضْرَفُوطٍ حَطَّ بِي فَأَقْمْتُهُ يُبَادِرُ وَرَدًّا مِنْ عِظَاءِ قِوَارِبِ

فالشاعر من الجن، على -حدّ زعمهم- يبين أنّ ركوب الجنادب والعضرفوط، لمبادرة سرب العطاء ألدّ من ركوب سائر المطايا.

ومن المعتقدات التي تتعلق بذلك، أنهم كانوا يشدون على أوساطهم عظام الذئاب، والضباع؛ معتقدين أنها تجلب لهم المنفعة والسلامة^(٩١٨)، وذلك من باب الرغبة في إقامة علاقات وديّة، مع بعض الحيوانات الضارية، خاصة الذئاب، دلالة على اعتقاد طوطمي مترسب في أعماق الإنسان الجاهلي، فيعتقد بعضهم أن له مع الذئب علاقة متينة، وواسطة وثقى أمتن وأقوى من تلك التي مع البشر^(٩١٩)، وما ذاك إلا لما لها من علاقة بالجن، وهذا ما نلمحه من خلال ما قاله امرؤ القيس بن حُجر الكِندي^(٩٢٠): (المقارب)

يَا هُنْدُ لَا تَنكُحِي بُوْهَةَ عَلِيَّهِ عَقِيْقَةً أَحْسَبَا (٩٢١)
مُرْسَعَهُ بَيْنَ أَرْسَاغِهِ بِهِ عَسَمٌ يَبْتَغِي أَرْنَبَا (٩٢٢)
لِيَجْعَلَ فِي يَدِهِ كَعْبَهَا حِذَارَ الْمَنِيَّةِ أَنْ يُعْطَبَا

تشير الأبيات إلى أن تعليق كعب الأرنب كتعويدة، كان للسليم والمريض معاً؛ فالسليم يعلقه دفعا للأذى والمرض، والمريض يعلقه أملاً بالشفاء والعافية، فالاعتقاد بهذا الأمر، ينبع من حاجتين، الوقاية من المرض والشفاء منه. وإذا اعتبرنا هذا من باب السحر التشاكلي، فإننا نجد فيما أورده الجاحظ على لسان الجن، ما يخالف ذلك، إذ جعل الجن لا تركب الأرنب؛ لأنها تحيض، ولا تغتسل من الحيض..^(٩٢٣) وذلك بقوله: (٩٢٤)

(الطويل)

_ 918

_ 919 /

_ 920 - - :

_ 921 / - :

_ 922 :

_ 923 :

_ 922 :

_ 923 :

وَشَرُّ مَطَايَا الْجِنِّ أَرْثَبُ خُلَّةٍ وَذَنْبُ الْغَضَا أَوْقُ عَلَى كُلِّ صَاحِبِ

وربما كان هذا هو الدافع الذي جعل العرب يتخذون من أعضاء هذه الحيوانات تعاويذ وتمائم^(٩٢٥).

وفي هذا المجال لا بد من الحديث عن العلاقة بين الجن والسنور، إذ يعتقدون "أن القط من الحيوانات التي لها علاقة بالكائنات اللامرئية"^(٩٢٦)، "فالقط الأسود من الصور التي يتشكل بها الجن في بعض الأساطير"^(٩٢٧)، وفي المعتقد الشعبي يرون أن القط الأسود هو أحد أفراد الجن؛ لذلك كانوا وما زالوا يتورعون عن ضربه وإيذائه، ولا سيما في الليل. كما أن هناك شبهة بين الهرّ والغول، فقد جاء أن لسان الغول ورأسه على شكل لسان الهرّ ورأسه^(٩٢٨)، وجاء وصف تأبط شراً للغول الذي قتله كذلك، بقوله:^(٩٢٩)

(الوافر)

إذا عينان في رأس قبيح كرأس الهرّ مشقوق اللسان

وهذا ما قادهم إلى استخدام سنّ الثعلب وسنّ الهرّ، كمنفرات للجن، إذ كانت تعلق على صدر الصبي، خوفاً من الخطفة والنظرة، فقد جاء:^(٩٣٠)

كان عليه نفره تعالِبٌ وهرره

والحيضُ حيضُ السمره

هذا ما قالته الجنية، تعتذر عن عدم قدرتها على خطف الصبي، الذي علقت عليه هذه المنفّرات، ويبدو أن الاعتقاد بصلّة الجن بالقط الأسود، قد داخلتها ثنائية متناقضة، فالجن تتصور بالقط الأسود، وفي ذات الوقت تخشى من سنّ القط، إذا علق على صدر الصبي، وقد نلمح في

924 -

925 -

926 -

927 -

928 -

929 -

930 -

جمع زهير بن أبي سلمى بين الجنّ والثعالب في صحراء مغبرّة، ما يستدلُّ منه على أن الثعلب من مطايا الجن، وذلك بقوله: (٩٣١)
(المنسرح)

تَسْمَعُ لِلْجِنِّ عَازِفِينَ بِهَا تُضِيحُ مِنْ رَهْبَةٍ ثَعَالِبُهَا

وقد جمع الأعشى بين الثعالب والجنّ في منطقته حجر، وذلك بقوله: (٩٣٢) (مجزوء
الكامل)

أَوْ لَمْ تَرَى حَجْرًا وَأُنْدُ ت حَكِيمَةٌ وَلَمَّا بِهَا
إِنَّ الثَّعَالِبَ بِالضُّحَى يَلْعَبْنَ فِي مِحْرَابِهَا
وَالْجِنُّ تَعْرِفُ حَوْلَهَا كَالْحُبُّشِ فِي مِحْرَابِهَا

فلولا أن هناك علاقة بين الجنّ والثعالب لما جمع الشاعر بينها.

وسنعرض الآن إلى أهم الكائنات الحية التي لها علاقة بالجن عرضاً تفصيلياً...

- - - : - 931

- - - : - 932

المبحث الثاني

الجن والكلب الأسود

يرتبط الجن بالكلب الأسود ارتباطاً وثيقاً، حتى قالوا " السود من الكلاب الجن " (٩٣٣)، والبقع منها الحن، وبما أن " الحنّ ضعفة الجن " (٩٣٤)، فالكلاب كلها من الجن، وقد أثبت ذلك، ما ورد عن النبي " عليه السلام " قوله: " لولا أنّ الكلاب أمة، لأمرت بقتلها، ولكن خفت أن أبيد أمة، فاقتلوا منها كلّ أسود بهيم، فإنه جنّها " (٩٣٥)، وقد أقر الرسول " عليه السلام " ذلك بقوله: " الكلب الأسود شيطان " (٩٣٦)، وهناك من الحكايات ما يثبت ذلك، فقد روي أن امرأة أتت إلى النبي " صلى الله عليه وسلم " وقالت: إن ابني هذا به جنون، ويصيبه عند الغداء والعشاء، فمسح النبي " عليه السلام " على صدره، فتحّ ثغرة، فخرج من جوفه، جرو أسود، يسعي (٩٣٧)، وبما أن الجنون من الجن، فإن هذا الجرو الذي خرج من جوفه كان سبب مرضه.

وربّما نلمح العلاقة بين الجن والكلاب، من خلال إطلاق العرب على الشعراء، كلاب الجن؛ وما ذلك إلا لارتباط الشاعر بشيطانه؛ ولأن الكلب من الصور التي يتشكّل بها الجن؛ ولأن الكلب يتبع صاحبه، كما يتبع الشيطان الشاعر، ويلزمه، فيقول عمرو بن كلثوم: (٩٣٨)

وأَنْزَلْنَا الْبَيْوتَ بَدْيِ طُلُوحٍ إِلَى السَّمَامَاتِ تَنْفِي الْمُوعِدِينَا (الوافر)

وَقَدْ هَرَّتْ كَلَابُ الْجِنِّ مَنَا وَشَدَّبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا (٩٣٩)

ويبدو التشابه بين شكل الغول والكلب، من خلال وصف تأبط شراً للغول " وساقاً مُخْدَجٌ وَشَوَاهُ كَلْبٍ " (٩٤٠).

933	-	/	:	/
934	-	/		
935	-	/	:	
936	-	/		
937	-	/	/	
938	-	:	:	
939	-	:	:	:

ونجد في حكاية الكلب الأسود، الذي استخرج من رثام، ما يؤكد ذلك، إذ "يرون أن رثام كان بيتاً للنصارى، يعظمونه، وينحرون عنده، ويكلمون منه، فقال الحبران لتبع: إنما هو شيطان يفتنهم، فخلّ بيننا وبينه، فقال: شأنكما به، فاستخرجا منه، فيما يزعم أهل اليمن كلباً أسوداً، فذبحاه، ثم هدمنا ذلك البيت^(٩٤١).

وقد روى النويري قصة إسلام عبد الله بن أبي ذياب، التي تثبت أن الكلب من الجن، إذ كان عاثر الحظ في الصيد، فشكا أمره إلى صنم يدعى فراض، قائلاً: ^(٩٤٢) (الرجز)

فَرَاضُ أَشْتَكُو نَكَدَ الْجَوَارِحِ مِنْ طَائِرِ ذِي مِخْلَبٍ وَنَابِحِ
وَأَنْتَ لِأَمْرِ الشَّدِيدِ الْفَادِحِ فَاقْتَحُ فَقَدْ اسْهَلْتَ الْمَفَاتِحُ

فأجابه الصنم فراض: (الرجز)

دُونَكَ كَلْبًا جَارِحًا مُبَارِكًا أَعِدْ لِلْوَحْشِ سِلَاحًا شَابِكًا

يَفِرُّ حُزُونَ الْأَرْضِ وَالذَّكَادِكَا ^(٩٤٣)

ولما عاد إلى بيته، وجد كلب صيد، فخرج به ليصطاد، فإذا به يصيد كل حيوان أو طير يراه، فصلح حاله، فنزل عنده ضيف كان قد زار رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، وسمع منه القرآن، فحدث الضيف عبد الله بما سمع من الرسول، وكان الكلب الذي سماه صاحبه حياضاً ينصت للحديث، فخرج في اليوم التالي للصيد، إلا أنّ الكلب أحجم عن الصيد، فقال عبد الله مخاطباً إياه:

أَلَا مَا بِحَيَاضٍ يَحِيدُ كَأَنَّمَا رَأَى الصَّيْدَ مَمْنُوعًا بِزُرْقِ اللَّهَازِمِ ^(٩٤٤) (الطويل)

فسمع هاتفا يقول: (الطويل)

940 - :
941 - /
942 - /
943 - :
944 - : (/ -)

يُحِيدُ لِأَمْرٍ لَوْ بَدَأَ لَكَ عَيْبُهُ

لَكُنْتُ صَفُوحًا عَادِلًا غَيْرَ لِأَيْمٍ

وعاد عبد الله من الصيد خالي اليبدين، فإذا بشخصين، خلفهما عبدٌ أسود يقود كلبا، فأشار
أحدهما إلى حيّاض "الكلب" قائلا:
(الرجز)

وَيْلَكَ يَا حَيَّاضُ لِمَ تَصُدُّ
اللهُ أَعْلَى وَأَلَهُ التَّوْحِيدُ
سُحْقًا لِفَرَاضٍ وَمَا يَكِيدُ
أَخْنِيسُ وَجَدَّ عَمَّا حَوَّثَهُ الْيَيْدُ
وَعَبْدُهُ مُحَمَّدُ السَّدِيدُ
قَدْ ظَلَّ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ

فخاف عبد الله، وظهر الذل على الكلب، فلم يرفع رأسه، وبينما عبد الله يتقلب في فراشه ليلا، فإذا
بالكلب الأسود الذي رآه مع العبد الأسود، يقول له "حيّاض" "الكلب" إن "العفريتين" الشخصين
الذين رأهما عبد الله عندما كان عائداً من الصيد، قد أسلما، وقد عهد إليهما بتعذيب شياطين
الأوثان، وأنه سيرحل إلى جزائر الهند، واتفقا معاً على الذهاب هناك^(٩٤٥).

تدل أحداث القصة على أنها وضعت في صدر الإسلام، وعلى الرغم من ذلك؛ فإنها
تكشف عن اعتقاد العرب قبل الإسلام، بأن الكلب الأسود من الجن، فهي تتضمن إشارات
أسطورية كثيرة، لأنه لجأ إلى الصنم فرّاض، في وقت الضيق والشدة، وهذا ما اعتادت عليه
العرب، وسمع هاتفا من جوف الصنم يُخبره باستجابته لطلبه، إذ كانت العرب تؤمن بالهواتف،
ونلاحظ التجانس بين اسمي الصنم والكلب، فرّاض وحيّاض، وهو تجانس لا يقتصر دوره على
الإثارة والتشويق في القصة؛ وإنما يشير إلى العلاقة الوظيفية بين الصنم والكلب، على اعتبار أن
الكلب هو شيطان الصنم، كما بدا في الحديث الذي دار بين الكلب الأسود وحيّاض، وتظهر القصة
مطايا الجن، فالشخصان اللذان لاقيا عبد الله، وهو عائد من الصيد، كانا يركبان حماراً وحشياً،
وهو من مطايا الجن، إضافة إلى " أن لون الكلب-خلاسي- وهو ما كانت أمه سوداء وأبوه
أبيض، يحيلنا إلى لون الحية التي كانت تحرس أملاك الكعبة، وإلى لون العقاب الذي اختطفها
" (٩٤٦)

- / - 945

- / - 946

وتبدو صورة الكلاب قريبة من صورة الجن؛ لما تجمعها من صفات اللؤم، والبطش والقوة، وذلك في وصف امرئ القيس لها، إذ وصفها وصفاً دقيقاً، حتى برز لونها أزرق، وعيونها حمراء، تشبه نوار العُضرس، فقد جمعت بين اللونين الأزرق والأحمر، تلك الألوان التي تشير إلى التشاؤم، يقول: (٩٤٧)

(الطويل)

مُغْرَثَةٌ زُرْقًا كَأَنَّ عَيْونَهَا من الدَّمْرِ والإِيحَاءِ نُورًا عُضْرَسُ (٩٤٨)

وهذا يؤكد ارتباط اللون الأزرق بالغول والجن، والقوى السلبية في الأرض (٩٤٩).

ويؤكد علاقة الجن بالكلب، اعتقاد العرب أن الكلب داء شبيه بالجنون، على حد معنى قول النابغة الحدي: (٩٥٠)

(الرملة)

كَلْبًا مِنْ حَسٍّ مَا قَدْ مَسَّهُ وَأَفَانِينَ فُوَادٍ مُحْتَمِلٍ (٩٥١)

ونلاحظ في علاج هذا المرض، ما يدل على إيمان الجاهليين بذلك، ويجسد ذلك قول المتنبي العدي: (٩٥٢)

(الرملة)

بِاحْرِي الدَّمِّ مَرُّ طَعْمُهُ يُبْرِئُ الكَلْبَ إِذَا عَضَّ وَهَرَّ (٩٥٣)

ولولا علاقة الجن بالكلب لما كانت هذه المعتقدات.

المبحث الثالث

الجن والإبل

947	:	:	:	:	:
948	:	:	:	:	:
949	:	:	:	:	:
950	:	:	:	:	:
951	:	:	:	:	:
952	:	:	:	:	:
953	:	:	:	:	:

أضفت مخيلة الجاهليين على الإبل طابعاً أسطورياً، فزعموا أنّ فيها عرقاً " من سفاد الجن" (٩٥٤) وأنها خلقت من "أعنان الشياطين" (٩٥٥)، فقد ورد أن الرسول "صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة في أعطان الإبل" (٩٥٦)، وزعموا أنّ " الإبل الحوشية منسوبة إلى الحوش، وهي التي ضربت فيها فحول إبل الجن، وأن من نسل إبل الجن الإبل الحوشية" (٩٥٧)، ويؤكد الدميري هذه المزاعم بقوله " ومنها إبل وحشية، تسمى إبل الوحش، ويقولون إنها من بقايا إبل عاد وثمود، ومن لقب الإبل العيس، وهي الشريرة الصلبة، ومنها الشمال وهي الخفيفة، واليَعْمَلَة وهي التي تعمل، والوجناء وهي الشريرة" (٩٥٨)، وتلتقي هذه الصفات مع ما عرف عن الجن، فلا بد إذن من أن يكون بينها صلة قرابة ونسب، ويبدو ذلك في قول محمد عبد المعيد خان " لم تكن السباع وحدها من الجن، بل كانت الإبل أيضاً، ولو أنها ليست من الحيوانات المخيفة" (٩٥٩)، وقد جاء ذلك على لسان أبي العالمية، وذلك قوله: "إن من الإبل ما كان أولها من الجن" (٩٦٠).

فالحوشية من الإبل، إذن هي التي ضربت فيها فحول إبل الجن، والعيديّة (٩٦١)، والمهريّة (٩٦٢)، والعسجدية (٩٦٣)، والعمانية ضربت فيها الحوش (٩٦٤)، وفي ذلك يقول ابن هريم: (٩٦٥)

كأني على حوشيةٍ أو نعامةٍ لها نَسَبٌ في الطير وهو ظليمٌ (الطويل)

/	_ 954
/ /	_ 955
/	_ 956
/	_ 957
/	_ 958
/	_ 959
/	_ 960
:	_ 961
:	_ 962
:	_ 963
/	_ 964
/ () /	_ 965

وتتضح العلاقة بين الإبل والجن، أكثر من خلال إطلاق الجاهليين على الإبل الشريرة " النَّفَّار " اسم الإبل " الجِنَّة " معتقدين أن الجَنَان قد رَكِبَتْهَا^(٩٦٦)، كما وصفوا إبلمهم بالجنون، أو أن طائفاً من الجن ألمَّ بها، ويبدو ذلك في قول الأعشى:^(٩٦٧) (الطويل)

وَخَرَقَ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتَ بَجَسْرَةٍ، إِذَا خَبَّ آلٌ فَوْقَهُ يَتَرَفَّرِقُ

وَتُصْبِحُ مِنْ غَبِّ السُّرَى وَكَأَنَّمَا أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجِنِّ أَوْلَقُ^(٩٦٨)

ولا بد من الإشارة إلى اعتقادهم بقرابة الإبل من الحيّات، إذ زعموا أن الحية كانت في صورة جمل فمُسِخَتْ^(٩٦٩)، وبما أن هناك علاقة قوية بين الجن والحية، فلا بد إذن أن تكون العلاقة بين الجن والإبل أقوى، قال عدي بن زيد في مسخ الحية:^(٩٧٠)

فَكَانَتْ الْحِيَّةُ الرَّقْشَاءُ إِذْ خُلِقَتْ كَمَا تَرَى نَاقَةَ فِي الْخَلْقِ أَوْ جَمَلًا (البسيط)

ولو استعرضنا الشعر الجاهلي لوجدنا أن الشعراء " أطلقوا على الناقة أسماء لها علاقة بحيوانات ومخلوقات وهمية، "كالسعالي والغفاريات والغيلان والدواهي"^(٩٧١)؛ كما تردد في أشعارهم ذكر الناقة العنتريس وهي الداھية، والعترس، وهو الذكر من الغيلان، والداھية أيضاً^(٩٧٢)، والناقة العفرناة من العفرية، وهي الداھية^(٩٧٣)، والناقة العيسجور، وهي السعلاة^(٩٧٤)، ومن معنى الداھية

966 - : " / -
967 :
968 :
969 : / /
970 :
971 :
972 : /
973 : /
974 : / () "

سموا نوقهم بالقرطوس، والدرخمين^(٩٧٥)، فقد قال عبيد بن الأبرص واصفا ناقتة: ^(٩٧٦)
(الخفيف)

عَنْرَيْسٌ كَأَنَّهَا دُوٌّ وَشُومٌ أَحْرَجَتْهُ بِالْجَرِّ إِحْدَى اللَّيَالِي

وهذا الأعشى، يذكر الناقة العفرناة في شعره، فيقول: ^(٩٧٧) (البسيط)

كَلَفْتُ مَجْهَوْلَهَا نَفْسِي وَشَايَعَنِي هَمِيَّ عَلَيْهَا، إِذَا مَا أَلْهَا لَمَعَا
بَدَاتِ لَوْثٌ عَفْرَنَاتٍ إِذَا عَثَرْتُ، فَالْتَعَسَ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا

ويصور طرفة بن العبد تلاعب زمام ناقتة، إذ تتلوى كما تتلوى حية الشيطان في الأرض،
بقوله: ^(٩٧٨) (الطويل)

تُلَاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كَأَنَّهُ تَعَمَّجُ شَيْطَانٍ بِيْذِي خُرُوعَ قَفْرِ ^(٩٧٩)

وقد كان حسان بن ثابت حريصاً على تحقيق وجوده، ومقاومة الفناء بواسطة ناقتة،
فيصفها بالسرعة والنشاط، بقوله: ^(٩٨٠) (المتقارب)

وَدَاوِيَةٌ سَبَسَبِ سَمَلَقٍ مِنْ الْبَيْدِ تَعْرِفُ جِنَائِهَا ^(٩٨١)
قَطَعْتُ بَعِيرَانَةَ كَالْقَيْبِ قِ يَمْرَحُ فِي الْأَلِّ شَيْطَانِهَا ^(٩٨٢)

فالناقة تبدو وسيلة انتشال الشاعر من همومه وأحزانه، وحمائته من مخاطر الحياة. ويتكرر
المشهد إيّاه عند ضابئ بن الحارث، إذ يقول: ^(٩٨٣) (الطويل)

975	/
976	:
977	:
978	:
979	:
980	/
981	:
982	:

قطعتُ إلى مَعْرُوفها مُكْرَأتِها إذا البيدُ هَمَّتْ بالضُّحى أن تَعَوِّلا
 بأدماءَ حرجوجٍ كأنَّ بدوقها تَهَاوَيْلَ هَرًّا أو تَهَاوَيْلَ أَخْيِلَا^(٩٨٤)
 كأنَّ بِهَا شَيْطَانَةً مِنْ نَجَائِهَا إذا واكفُ الدُّقْرِى على اللَيْثِ شَلْشَلَا^(٩٨٥)
 وَتُصْبِحُ عَنْ غَيْبِ السُّرَى وَكَأَنَّهَا فَنِيْقُ تَنَاهَى عَنْ رَحَالِ فَارْقَلَا

فالشاعر يصور فلاة مقفرة مضللة، ويفتخر بأنه تجاوزها بناقة نشيطة قوية مسرعة، كأنه أصابها
 مس من الشيطان فمنحها الخفة.

ويقرن امرؤ القيس ناقته المتميزة، المتفوقة في النشاط والسرعة بعبقر الذي ينسب إليه،
 كل ما تفوق على أبناء جنسه، فيقول: ^(٩٨٦) (الطويل)

كأنَّ صَلِيلَ المَرَوِ حِينَ تَشُدُّهُ صَلِيلُ زَيْوْفٍ يُنْقَدْنَ بِعَبْقَرَا^(٩٨٧)

ولن يأبه الجاهلي من أن يشرك ناقته في أساطيره ومعتقداته، فهي في رأيه "تماثيلها تشفي من
 الجنون، وسنامها يشفي من العشاء، والصياح في آذانها، يهدي من بعد ضلال"^(٩٨٨)، لذلك كانوا
 إذا أصاب أحدهم العشاء، عمد إلى سنام ناقته فقطع منه قطعة، ومن الكبد قطعة فقلاهما، وقال
 عند

كل لقمة يأكلها، بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته: ^(٩٨٩) (مجزوء الرجز)

فِيا سَناماً وَكَبِدَ أَلَا اذْهَبَا بِالْهُدْبِ

ليس شفاء الهُدْبِ إلا السنام والكَبِدُ

_ 983

_ 984

_ 985

_ 986

_ 987

_ 988

_ 989

فيزعمون أنه يذهب العشاء، أما بالنسبة لتمثيلها، فقد ذكرنا في باب الوقاية من الجن ما كانوا يفعلونه، إذا طالت علة المريض، وظنوا أن به مساً من الجن^(٩٩٠). وقد أشرنا إلى ما كان يفعله من يضل في الصحراء^(٩٩١).

ومن معتقدات الجاهليين ذات العلاقة بالجن والناقة التي أصبحت أمثالا ترسخ مفاهيم ذات دلالات اجتماعية في معالجة شؤون الحياة التي يحيها الأفراد، قولهم " كذي العر يكوى غيره وهو راتع"^(٩٩٢)، وقد سجل النابغة ذلك في قوله: ^(٩٩٣) (الطويل)

لَكَلْفَثْنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَتَهُ، كَذِي الْعُرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ^(٩٩٤)

وقد رد بعض الشراح هذا الاعتقاد إلى كونه طقساً رمزياً، يشعرون بجذواه، وأنهم يلحقون منفعة حقيقية في الإبل المريضة، بكّي البعير الصحيح عن طريق السحر.^(٩٩٥)

ومما يشير إلى علاقة الناقة بالشياطين، ويؤكد اعتقادهم بأن قوى خفية تكمن فيها " أن الجاهليين اعتبروها باعثاً من بواعث نظم الشعر، كما ألهب البقر شعراء الهند في عصر الفيدا"^(٩٩٦)؛ وذلك لإدراكهم أثر الإبل في حياة العرب، وشعرهم، كما استعاروا من فكرة الإبل فكرة الإبداع في الشعر؛ فسموا الشعراء المجيدين باسم الفحول^(٩٩٧)، مما يوثق العلاقة بفحول الإبل.

ولا بد في معرض الحديث عن الجن والإبل، من الإشارة إلى أن الجمل كان من مطايا الجن، فقد ورد "أن العرب تذكر راكبا على جمل في قدر إنسان، وفد عليهم بسوق عكاظ، ونادى

990 - / .
991 -
992 - / : .
993 - : .
994 - : .
995 -
996 - : - - .
997 - / : (.) .

ألا من يهيني ثمانين بكرة هجانا، وأوماً، فلم يجبه أحد، فلما رأى ذلك، ضرب جَمَلَهُ، وطار بين السماء والأرض، فقالوا إنه جنُّ ركبٌ على جمل. (٩٩٨)

ونخلص من ذلك إلى أن الناقة كانت حيواناً أسطورياً، يلجأ إليه الشعراء في التعبير عن قوى الشر الغامضة المستلطة على الإنسان أوقوى الموت.

المبحث الرابع

الجن والخيال

لعبت الخيل دوراً مهماً في حياة الإنسان القديم، إذ كانت الركيزة الكبرى في حياته، سلماً وحرباً، كما كانت رمزاً من رموز الشمس الإلهة، والربة "ذات حميم"، لذلك اقترنت بصورة المرأة، فكان الحصان أو صورته يقدم قرباناً لها^(٩٩٩)، لذلك أقبل الشعراء عليها، ووصفوها بجمالها وسرعتها، لمشاركتها في المواقع والمعارك.

وإن كنا لا نقف على شعر جاهلي يبين صلة الجن بالخيال، أو يشير إلى أن الخيل كانت من مطايا الجن، فإننا لا بد أن نشير إلى أن الشاعر الجاهلي استمد صورته من عالم اللامحسوس، ومن تلك الكائنات الغيبية؛ إذ ترتبط الطرق التعبيرية والتصويرية في الشعر الجاهلي، إلى حد بعيد بالمعتقدات، والموروثات الدينية القديمة، إذ صور الشعراء خيولهم بصور شتى، لها قدسيّتها وأهميتها، في ضمير الفرد والجماعة، فكانت معاني متداخلة، وصوراً متناسقة منسوجة من ضمير الشاعر، وإحساسه الفني المرهف الذي عكس عليه وجدان البيئة الجاهلية^(١٠٠٠).

وفعلاً قدّر الإنسان الجاهلي الخيل، وقرنها بالخير، وقدمها على عياله، وقد يكون هذا هو الدافع الذي دفعه إلى أن يعلق عليها التمامم والخرز، منعاً للأرواح الشريرة، فهذا علقمة بن العبد، يقول في دفع العين عن فرسه: ^(١٠٠١)

(الطويل)

بمُجَرَدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ لآحَهُ	طِرَادُ الهَوَادِي كُلِّ شَأْوٍ مُعْرَبٍ ^(١٠٠٢)
بِعَوجِ لِبَائِهِ يُنَمُّ بَرِيْمُهُ	عَلَى نَفْثِ رَاقٍ خَشِيَةِ العَيْنِ مُجَلَّبٍ ^(١٠٠٣)
كُمَيْتٍ كَلُونِ الأَرَجَوَانِ نَشْرَتُهُ	لِبَيْعِ الرِّدَاءِ فِي الصُّوَانِ المُكْعَبِ ^(١٠٠٤)

999 - - - - -

1000 - - - - -

1001 - - - - -

فالشاعر يصف فرسه، وقد وضع حول عنقه خيطاً فيه خرزة؛ دفعاً للعين.

وإذا حاولنا استقراء الأشعار الجاهلية، التي تشير إلى علاقة الخيل بتلك الكائنات، وجدنا أن تعلق الشعراء بالفرس، وقربهم منها؛ دفعهم إلى تصويرها بتلك الكائنات الغيبية، وذلك ليبالغوا في تصويرها، وينقلوا المخاطب إلى عالم اللامحسوس، من ذلك ما فعله المهلهل ابن ربيعة يعلن استعدادة للنثار من قبيلة بكر، وأنه لن يهدأ حتى يشفي غليله منها، ويشبه خيول قبيلته بسعال، تحمل الأسود من أبناء قبيلته؛ ليشيع الرهبة والخوف في نفوس خصومهم، إذ يقول مفتخراً بشجاعة قومه، واصفاً خيولهم: (١٠٠٥)

(الخفيف)

سَعَالِي يَحْمِلِينَ مِنْ تَغْلِبٍ فَثِيَانٌ صِدْقُ كَلْبُوثِ الطَّرِيقِ

وتتكرر الصورة عند امرئ القيس بن عمرو بن الحارث في مجال الفخر بفرسان قبيلته، مشبهاً خيولهم بالسعال والعبان، بقوله: (١٠٠٦)

(الطويل)

سَمَوْنَا لَهُمْ بِالْخَيْلِ تَرْدَى كَأَنَّهَا سَعَالٍ وَعِيبَانُ اللَّوَى حِينَ تُرْكَبُ

وما ذاك إلا ليزيد من سرعتها، وخفة حركتها وقوتها. وتستخدم الخنساء الصورة إيّاها في مجال رثائها أخيها، وقد تذكرت صفاته، فتقول: (١٠٠٧)

وَقَوَادُ خَيْلٍ نَحْوِ أُخْرَى كَأَنَّهَا سَعَالٍ وَعِيبَانُ عَلَيْهَا زَبَانِيهِ (الطويل)

1002	:	:	:	:	:
1003	:	:	:	:	:
1004	:	:	:	:	:
1005	:	:	:	:	:
1006	:	:	:	:	:
1007	:	:	:	:	:

ويبدو أن الشعراء يلجأون إلى التشبيه المزدوج في المناسبات القتالية الشرسة التي تحتم على الشاعر ولوج الخوارق، فهي تصور الخيول بحيوانات خيالية، متمثلة في ضمير الناس ومعتقداتهم، وتضفي عليها صورة العقبان؛ لما تمتاز به هذه الطيور من الخفة والسرعة.

ولا عجب في ذلك، فقد بدت الفرس عند العرب من الحيوانات العلوية التي صورت بها الكواكب^(١٠٠٨)، لأنهم رفعوها عن المستوى الأرضي إلى السماوي.

ويعدُّ عنتره من الشعراء الذين أكثروا من هذا التصوير؛ لأنه يؤمن بالأوهام والخرافات والأساطير، فقد شبه خيول قبيلته بالأغوال، لما لها من أثر في نفسية الجاهلي ومشاعره، وذلك بقوله:^(١٠٠٩)

أَمَارِسُ خَيْلًا لِلْهَجِيمِ كَأَنَّهَا سَعَالٌ بِأَيْدِيهَا الْوَشِيحِ الْمُقَوِّمِ (الطويل)

ويقول مفتخراً بقومه:^(١٠١٠) (الكامل)

إِنَّا إِذَا حَمَسَ الْوَعَى نَرُوي الْقَنَا وَتَعَفُّ عِنْدَ تَقَاسُمِ الْأُنْقَالِ
نَأْتِي الصَّرِيخَ عَلَى جِيَادٍ ضُمَّرٍ خُمُصَ الْبِطُونِ كَأَنَّهُنَّ سَعَالِي

نلاحظ أنه يركز على صفة الضمور الشديد؛ ليدلل على سرعة جياده، ويكرر الصورة مفتخراً بنفسه، واصفاً خيول الأعداء، بقوله:^(١٠١١) (الوافر)

سَلِي يَا عَيْلَ عَمْرًا عَن فِعَالِي بِأَعْدَاكِ الْأَلَى طَلَبُوا قِتَالِي
أَتُونَا فِي الظَّلَامِ عَلَى جِيَادٍ مُضْمَرَّةِ الْخَوَاصِرِ كَالسَّعَالِي

- 1008

- 1009

- 1010

- 1011

واللافت للنظر، أن معظم التشبيهات الخيلية، تدور في غالب الأحيان على الأشياء التي تخيف، وتتبعث من نفوس مليئة بالأوهام والأساطير الخرافية، تعود إلى ما علق في أذهان الناس، من قدرة السعالي على التلون، والتشكل والتنقل.

وتأتي الصورة في مجال المدح، عند الأعشى الذي يمدح إياس بن قبيصة، من خلال تصويره جيادهم بالسعالي في حدة حوافرها وقوتها، لدرجة أنها تكسر الحجارة الصلبة، صورة توحى بالسرعة، وذلك بقوله: (١٠١٢)

(الوافر)

إِذَا مَا سَارَ نَحْوَ بِلَادِ قَوْمٍ أَزَارَهُمُ الْمَنِيَّةُ وَالْحِمَامَا
تَرَوْحُ جِيَادَهُ مِثْلَ السَّعَالِي حَوَافِرُهُنَّ تَهْتَضِمُ السَّلَامَا

وقد تطرق إلى هذا المعنى عبید بن الأبرص في قوله: (١٠١٣) (رمل مرفل)

نَحْنُ قُدْنَا مِنْ أَهَاضِيْبِ الْمَلَا الـ خَيْلَ فِي الْأَرْسَانِ أَمْثَالَ السَّعَالِي (١٠١٤)

يفتخر الشاعر بقومه وخيولهم، ويشبهاها بالسعالي في سرعة الانقياد والطاعة. ويستخدم التصوير نفسه في مجال وصف الديار، وما حلّ بها بعد رحيل أهلها، ثم يعود للفخر، بقوله: (١٠١٥)

أَوْحَشْتَ بَعْدَ ضُمُرِ كَالسَّعَالِي مِنْ بَنَاتِ الْوَجِيهِ أَوْ حَلَابِ (١٠١٦) (الخفيف)

ويقول لبيد بن ربيعة في ذلك: (١٠١٧) (الطويل)

عَلِيْهُنَّ وَوَدَانُ الرَّهَانِ كَأَنَّهَا سَعَالٍ وَعَقْبَانٌ عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ

1012 _

1013 _

1014 _

1015 _

1016 _

1017 _

وتتكرر الصورة عند عمرو بن الأيهم التغلبي، بقوله: (١٠١٨)

(الخفيف)

وتراهنّ شُزْبًا كالسَّعالي يَنْطَلَعْنَ مِنْ تُغُورِ النِّقَابِ (١٠١٩)

وعند دريد بن الصمة الذي يدعو قومه لقتال الأعداء، فيجيبه منهم الشباب والشيب، ملين الدعوة

على جُرْدٍ كالسَّعالي، بقوله: (١٠٢٠) (الوافر)

دَعَوْتُ الحَيَّ نَصْرًا فَاسْتَهَلُّوا بِشُبَّانِ ذَوِي كَرَمٍ وَشَيْبِ
عَلَى جُرْدٍ كَأَمْثَالِ السَّعَالِي وَرَجَلٍ مِثْلِ أَهْمِيَّةِ الكَثِيبِ

ويقول عمرو بن شاس الأسدي: (١٠٢١) (الطويل)

وَأَقْرَأْنَا مِثْلُ السَّعَالِي أَصَابَهَا قِطَارٌ وَيَلْتَنُهَا مَنَافِجَةٌ شَمَلٌ (١٠٢٢)

أما النابغة الجعدي فيقول: (١٠٢٣) (الرمل)

جَاوَبَتْهُ حُصْنٌ مُمَسَّكَةٌ أَرْنَاتٌ لَمْ يُلَوِّحْهَا الهَمَلُ (١٠٢٤)
مِثْلَ عَزْفِ الجِنِّ فِي صَلَاحَةٍ، لَيْسَ فِي الأصْوَاتِ مِنْهُنَّ صَحَلٌ

يصور صوت الخيل الذي يعبر عن النشاط والمرح بصوت عذيف الجن، وهي صورة ممزوجة بالتفاؤل الممزوج بالخوف.

-	-	:	-	-	-	1018
.	/	1019
-	-	/	.	.	.	1020
-	-	:	-	-	-	1021
.	1022
.	.	:	.	.	.	1023
.	.	:	.	.	.	1024

ويقول علقمة بن العبد مشبهاً فرسه بالحباب، وهو الشيطان والحية، بالسرعة وخفة الحركة: (١٠٢٥)

(الطويل)

وراح يُباري في الجنابِ قُلُوصَنَا عزيزاً علينا كالحبَابِ المُسَيَّبِ (١٠٢٦)

يبدو أن تشابه صور الخيل، وتكرارها في الشعر الجاهلي يُنم عن إعجاب الشعراء الجاهليين بالسعالي، إذ أنه لم يجد الشاعر معادلاً لقوة فرسه إلا هذه الكائنات، فجاءت صورته، تعكس نفسيته، مما يوحي بالرهبة والقلق، ويقرب المعاني، ويقربها ببعض.

_ 1025

_ 1026

المبحث الخامس

الجن والطير

يأتي ارتباط الجن بالطير، من خلال ما يرد عن تشكلات الجن، فصورة الطير من الصور التي تظهر بها الجن، فقد ورد "أن امرأة بالمدينة كان لها تابع من الجن، فجاءها مرة في صورة طائر أبيض، فوق على حائط لهم، فقالت له: لم لا تنزل إلينا، فتحدثنا، ونحدثك، وتخبرن، ونخبرك؟ فقال لها: " إنه قد بعث نبي بمكة، وحرّم الزنا" (١٠٢٧)، وقد أورد الشبلي عن وهب بن منبه والحسن البصري ما يشبه ذلك، وهو "أنهما كانا يصادفان في موسم الحج جاناً في صورة طائر، يجمع بين خصائص الهرّ والطائر، فيقول وهب "إنه قعد معه وناوله يده، فمدّها، فإذا هي مثل برثن الهرّ، وعليها وبرّ، ثم مدّ يده حتى بلغت منكبيه، فإذا مرجع جناح" (١٠٢٨).

وقد اعتقد الجاهليون بقدرة الطيور على استشراق الغيب؛ وما ذاك إلا لما لها من قدرة على الطيران، والتحليق في السماء، ولعلاقتها بالجن، وبالعالم الأرواح، فهي بمنزلة الشيطان الذي يسترق السمع، ويأتي بأخبار السماء، فالطائر بجناحيه، وبقدرته على الصعود والنزول كان مؤهلاً، ليكون واسطة بين العالمين العلوي والسفلي، شأن الغراب، دليل نوح، ودليل عبد المطلب على موضع زمزم، وشأن حمامة نوح، وهدهد سليمان (١٠٢٩)، ويبدو ذلك في قول كعب بن زهير: (١٠٣٠)

يا لَيْتَ شعري وَلَيْتَ الطَّيْرَ تُخْبِرني أمثلَ عشقي يُلاقِي كلُّ مَنْ
عشقا (البيسط)

وقد وردت حكايات كثيرة، يُستدل منها، على أن بعض الطيور تعد من مطايا الجن، من ذلك ما حدّته أحد الأعراب عن النعامة، قال: "لقيت رجلاً في بعض المفاوز راكباً على نعامة، وعيناه مشقوقتان بطول وجهه، فأخذتني منه روعة ثم استوقفته، فقلت له: أتروي شيئاً من الشعر؟ قال

- 1027

/

- 1028

/

- 1029

- 1030

نعم، وأقرضه، وأنشدني: (١٠٣١)
(الـوافر)
أَتَارِكَةٌ تَحِيَّهَا قَطَامٌ وَضِيْنَا بِالنَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ (١٠٣٢)

حتى أتى على آخرها، فقلت هيهات، سبقك إليها أخو بني ذبيان. فقال: أنا والله يا أخي نطقت بها،
على لسانه بسوق عكاظ، وكنت قلتها قبل ذلك بأربعمائة عام". (١٠٣٣)

ونجد فيما قاله ابن هُرَيْمٍ ما يؤكد ذلك، إذ جَمَعَ بَيْنَ نَاقَتِهِ الحَوْشِيَّةِ الَّتِي نَسَبَهَا إِلَى الجِنِّ
وَبَيْنَ النِّعَامَةِ وَالطَّيْرِ، فيقول: (١٠٣٤)
(الطويل)

كَأَنِّي عَلِي حَوْشِيَّةٍ أَوْ نِعَامَةٍ لَهَا نَسَبٌ فِي الجَوِّ وَهُوَ ظَلِيمٌ

ويتجلى في قصة المثل "الحمى أضرعتني لك ، أو للنوم" (١٠٣٥)، ما يشير إلى أن الظليم
ذكر النعام من مطايا الجن، إذ جاء الجنيُّ مُطالباً بثأره من مريـر الذي قتله ثاراً لأخويه، فأنشأ
يقول: (١٠٣٦)

يَا أَيُّهَا الرَّامِي الظَّلِيمِ الأَسْوَدَ تَبَّتْ مَرَامِيكَ الَّتِي لَمْ تُرْشِدْ

فَأَجَابَهُ مَرِيـرٌ: يَا أَيُّهَا الهَاتِفُ فَوْقَ الصَّخْرَةِ كَمْ عِبْرَةٌ هَيَّجَتْهَا وَعَبْرَةٌ

بِقَتْلِكُمْ مَرَارَةَ وَمُرَّةَ فَرَّقْتَ جَمْعاً وَتَرَكْتَ حَسْرَةَ

ويؤكد تلك العلاقة، ما ورد من صلة في الدلالة اللغوية بين الاسم (نعمة) أو الجنية (نعمة) التي
تشارك الليليـث في خنق الأطفال الحديـثي الولادة، والإضرار بهم، وبين طائر النعام التي
يضرـب به المثل، في تخلي أنثاه عن بيضها، وأولادها عند رؤيتها الطعام، كما أن اسم (نعمة)

1031 - :
1032 - :
1033 -
1034 - / () /

() /
1035 - / -
1036 -

كان من ألقاب آلهة الجنس "عشترت" (١٠٣٧). وقد ولدت هذه المزاعم لدى الإنسان الجاهلي اعتقادات نفسية كثيرة، لها علاقة بالطير، منها الطيرة والعيافة والزجر، وكلها عادات لا يمكن فصلها عن عالم الغيبيات، أو القوى الخفية التي كانت في نظر العربي وراء كل مكروه (١٠٣٨)، فقد سيطرت هذه العلاقة على أذهان الشعراء، فراحوا يتحدثون عنها، بأراء مختلفة، من ذلك ما قاله لبيد بن ربيعة ينكر تلك المعتقدات: (١٠٣٩)

(الطويل)

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الضَّوَارِبُ بِالْحَصَى وَلَا زَاجِرَتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ

وما قاله طرفة بن العبد في ذلك: (١٠٤٠)

(الطويل)

وَلَا يَمْنَعُكَ الطَّيْرُ مِمَّا أَرَدْتَهُ فَقَدْ حُطَّ فِي الْأَلْوَاحِ مَا كُنْتَ لَاقِيَا

ولا يخفى أن إنكار الشيء، يدل على وجوده، إذ لو لم تكن هذه الاعتقادات موجودة، لما اضطر الشعراء إلى نفيها.

ومن الشعراء الذين اشتهروا بالزجر والعيافة، أبو ذؤيب الهذلي الذي جمع بينها في بيت واحد (١٠٤١):

(الطويل)

زَجَرْتُ لَهَا طَيْرَ السَّنِيحِ فَمَا نُصِبُ هَوَاكَ الَّذِي تَهْوَى يُصَبُّكَ اجْتِنَابَهَا

ويقتر الشنفرى بما تحمله الطير من مفاجآت، بقوله: (١٠٤٢)

(الطويل)

فَلَوْ نَبَّأْتَنِي الطَّيْرُ أَوْ كُنْتُ شَاهِدًا لِأَسَاكَ فِي الْبَلْوَى أَخُ لَكَ نَاصِرُ

/	-	1037
	-	1038
:	-	1039
:	-	1040
/	-	1041
:	-	1042

وارتبط العقاب عند أبي ذؤيب بالعيافة، إذ أورد في شعره قصيدةً، يصور فيها انقضاض عقاب أمامه، وما أوحى له انقضاضه، فقال لمن سأله من أصحابه: ما تعيف؟! فأجابته: إنه رأى طيراً، تبشر بالغنيمة، أو تخيف فساداً! فحدث ما توقعه، وقال: (١٠٤٣)

(الوافر)

فقال: لَقَدْ خَشِيتُ وَأُنْبَأْتُني به العقبانُ لو أُني أُعِيفُ

فلا بدّ أن يكون العقاب الذي أخبره، على علاقةٍ بمصدر غير مرئي.

ومن الطيور التي تشاءم بها العرب، وكرهوا إطلاق اسمها مخافة الزجر والطيرة، الغراب، فعنّرة يشير إلى ذلك بقوله: (١٠٤٤)

(الكامل)

ظَعَنَ الَّذِينَ فُرِّقَهُمُ اتُّوِّعُ وَجَرَى بَيْنَهُمُ الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ

(البيسط)

ويقول علقمة الفحل في ذلك: (١٠٤٥)

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغُرْبَانِ يَزُجُّهَا عَلَى سَلَامَتِهِ لَا بُدَّ مَشْوُومُ

(الرمل)

أما الأعشى فيقول: (١٠٤٦)

ما تعيفُ اليومَ في الطيرِ الرَّوْحُ مِنْ غُرَابِ النَّيْنِ أَوْ تَيْسِ بَرَحُ

وما ذاك إلا لما وقر في أذهانهم، من أن الغراب يقوم بمهمة رسول إبليس، وقد يظهر الشيطان بصورة غراب. (١٠٤٧)

ويبدو أثر الشياطين في ذلك؛ "إذ أنهم يتشاءمون بالبارح الذي يأتي من جهة اليسار؛ لأنها النافذة التي تطلُّ منها الشياطين" (١٠٤٨)، إلا أن هناك من تشاءم بالسانح، أمثال زهير الذي يقول: (١٠٤٩)

جَرَتْ سُنْحًا ففُلتُ لها: أُجِيزِي نوى مَشْمولةً، فَمَتَى اللِّقاء؟! (الوافر)

- 1043

- 1044

- 1045

- 1046

- 1047

- 1048

- 1049

وقد أنكر ربيعة بن مقروم الضبي تلك المعتقدات، بقوله: (١٠٥٠)

(المنسرح)

لا سائحٌ من سوانح الطير يثَّ
نيني ولا ناعِبٌ إذا نَعَبَا

ويعدُّ النسر من الطيور التي ارتبطت بالجن؛ فقد زعموا "أن الجنّ تتراءى لهم في صورة النسر" (١٠٥١) لذلك اتخذته الكهنة والعرافون في حضارة الرافدين القديمة أحد الفؤول التي تعينهم على التنبؤ بالغيب، كما أن الجن تسكن رؤوس الجبال، ولعل ذلك يوضح العلاقة بين النسر والجن، من خلال اتخاذه الجبل مسكناً له، وأكثر الشعراء دلالة على ذلك، ما جاء على لسان ليبيد بن ربيعة في

قصة لقمان مع النسر إذ يقول: (١٠٥٢)

(الكامل)

ولقد جرى لبُدُّ فأدركَ جَرِيَه
رَيْبُ الزَّمانِ وكانَ غيرَ مُثَقِّل

لما رأى لبُدُّ النُّسورَ تُطَايَرَتْ
رَفَعَ القَوادِمَ كالْفَقيرِ الأَعزَلِ (١٠٥٣)

ولا بد من الإشارة إلى أنه كان للتطير صلة بعقيدة استحالة الأرواح طيوراً بعد مفارقتها الأجساد (١٠٥٤)، إذ أن روح الميت تتحول إلى طائر، يظلُّ هائماً بين الأحياء، متخذاً أسماءً عدة، حسب طبيعة تلك المعتقدات التي يظهر فيها، فكانت العرب تسميه (البومة، والصدى، والهامة) (١٠٥٥)، وكانت تقول إنَّ عظام الموتى، تصير هامة فتطير، ثم تتوحش، وتصدح، فيشعرون أنها تتتبع أخبارهم، وتلقيها إلى قبر المتوفى، ليعلم حالهم من بعده (١٠٥٦)، وفي ذلك ما يشير إلى العلاقة بين الروح والجن، إذ أن الأرواح نوعٌ من الجن، وهي التي تتعرض للصبيان. (١٠٥٧)

1050

1051

1052

1053

1054

1055

1056

1057

ويتفق هذا مع ما جاء في قصة الحضارة من "أن عبادة الأشباح تطورت حتى أصبحت عبادة
للأسلاف، وبات الناس يخافون موتاهم جميعاً، ويعملون على استرضائهم؛ خشية أن ينزلوا
لعنائهم على الأحياء، فيجلبوا لهم الشقاء"^(١٠٥٨)، ويجسد أمية بن أبي الصلت ذلك بقوله لأبنائه:
(١٠٥٩) هامي تُخبرني بما تستشعروا فتجنّبوا الشنعاءَ والمكروها (الكامل)

كما يشعرون أن بإمكانها إلحاق الخير والشر بهم، كما في طقس رمي البعرة، وقد يكون لذلك
علاقة بارتباط الطير بالمطر، والرعد الذي يعتبره البعض ناجماً عن حركة أجنحته المدويّة، من
ذلك قول علقمة: (١٠٦٠) (الطويل)

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَّاعِفُهَا لَطِيرٌ هِنَّ دَبِيبٌ

وذلك لأن الجاهليين كانوا يربطون المطر بتلك القوى الخفية، ويحاولون إرضاءها، والتذلل إليها
بالتعاويذ السحرية؛ كي تزيل عنهم شبح الموت المرتبط بالمطر.

أما الصدى، فإنه وإن ارتبط بالهامة ارتباطاً وثيقاً، وتبادل المواقع معها، في الدلالة، إلا أن هناك
من يقول إنه الذكر من البوم، وهو طائرٌ يُصرُّ بالليل ويطير، وهو طائرٌ يخرج من رأس المقتول
إذا بلي^(١٠٦١)، وكلاهما يرتبط في الدلالة على "الصوت، والموت، والليل، والاختلاط،
والجن"^(١٠٦٢)، بدليل ما ورد على لسان أسماء بن خارجة، وهو: (١٠٦٣)

وبه الصدى والعزفُ تحسبُهُ صدحَ القيانِ عزفنَ للشربِ (الكامل)

- 1058

- 1059

- 1060

- 1061

- 1062

- 1063

فقد جمع الشاعر بين الصدى وعزف الجن في وصفه الأرض المقفرة النائبة، مما يؤكد علاقة الصدى به، وقد أكثر الشعراء من ذلك^(١٠٦٤)، كما أكد محمد عبد المعيد خان، "أن النفس التي كانت طائراً، أصبحت جنّاً من الجن الخيالية، وصارت من شياطين الشعراء"^(١٠٦٥).

ويبدو أن لليوم صفات سحرية وغيبية، بدليل ما قاله عبيد السلولي الذي جعلها تهتف، كما تهتف الجن وذلك:^(١٠٦٦)

(الطويل)

وداويةٍ لا يأمنُ الركبُ جوزَها بها صارخاتُ الهامِ واليومُ تهتفُ

نلاحظ من الشواهد المتقدمة، أن هذه الكائنات ما هي إلا طيور، تتعامل مع الغيبيات التي تختفي خلف انسداد الليل، وفي الصحراء الموحشة التي تؤطر الخوف من المجهول، وهي طيور مرهوبة، تأتي مع الليل والمجهول الذي يخفي وراءه الشر.

- 1064

- 1065

- 1066 : ()

المبحث السادس

الجن والحية

ارتبط مفهوم الجن بالحية، فقد اعتبر القدماء الحية بنت الجن، وجعلوها فصيلة مهمة من فصائله، ونوعاً بارزاً من أنواعه^(١٠٦٧)، وقال الدميري: "الجان حية بيضاء، وكذلك الحية الصغيرة"^(١٠٦٨)، وقال آخرون: "الجان: حية دقيقة ملساء، لا تضر أحداً، يضرب لونها إلى الصفرة، وأهل الحجاز يسمون الأيم من الحياتِ جانا، وبنو تميم تُسمى الأينَ جانا"^(١٠٦٩)، وقد وردت في قول أبي كبير الهذلي: ^(١٠٧٠)

وَلَقَدْ وَرَدَتْ الْمَاءَ لَمْ يَشْرَبْ بِهِ بَيْنَ الرَّبِيعِ إِلَى شَهْرِ الصَّيْفِ
إِلَّا عَوَّاسِلُ كَالْمِرَاطِ مُعِيدَةٌ بِاللَّيْلِ مَوْرَدَ أَيْمٍ مُتَغَضِّفِ

وقول تأبط شرا: ^(١٠٧١) (البسيط)

يَسْرِي عَلَى الْأَيْنِ وَالْحَيَاتِ مُحْتَوِيًّا نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ سَارٍ عَلَى سَاقِ

ويؤكد ارتباط الجن بالحية، بعض الدلالات والرموز والأسماء المشتركة، منها: الحباب الذي يعد اسماً من أسماء الشيطان، ويطلق على الحية، بدليل ما ورد عن الرسول "عليه السلام": "لا تسموا الحباب، فإن الحباب شيطان"^(١٠٧٢)؛ ولما بينهما من تشابه في السرعة، وخفة الحركة، كما "أن السفيف اسم من أسماء إبليس، والسفُّ نوع من الحيات يطير في الهواء"^(١٠٧٣)، فهذا المعطل

الهذلي

/	- 1067
. /	- 1068
. - /	- 1069
. / :	1070
. :	- 1071
. /	- 1072
()	- 1073

يقول في رثاء عمرو بن خويلد: (١٠٧٤)

(الطويل)

جَوَاداً إِذَا مَا النَّاسُ قَلَّ جَوَادُهُمْ

وَسُقّاً إِذَا مَا صَرَخَ الْمَوْتُ أَفْرَعَا (١٠٧٥)

كما وحد العرب الجاهليون الأفعى بالشيطان، أو إبليس، حيث سَمُوا الثعبان العظيم شيطاناً، واعتبروه من الجن (١٠٧٦). ويتجلى ارتباط الشيطان "إبليس" بالحية من خلال قصة خروج آدم وحواء من الجنة، إذ يرجع سبب خروجهما من الجنة إلى الحية، التي لعبت دوراً رئيساً في ذلك، وكانت حارسة الجنة وسيّدتها، فاستأذنها إبليس في الدخول إلى الجنة، فكان له ما أراد، وكانت حينئذ كاسية تمشي على أربع على شكل جمل، فعاقبها الله بأن أعراها، وجعلها تمشي على بطنها، وجعل رزقها في التراب، فقطع أرجلها، وقص سنامها (١٠٧٧) وقد سجل عدي بن زيد هذه

الحادثة، وما ترتب عليها في شعره، فقال: (١٠٧٨)

(البيسط)

فَكَانَتِ الْحَيَّةُ الرَّقِشَاءُ إِذْ خُلِقَتْ كَمَا تَرَى نَاقَةَ فِي الْخَلْقِ أَوْ جَمَلًا
فَعَمَّداً لِلتِّي عَن أَكْلِهَا تُهَيَّا بِأَمْرِ حَوَاءَ لَمْ تَأْخُذْ لَهُ الدَّعْلَا
كَلَاهُمَا خَاطٌ إِذْ بُزَا لِبُوسَمَاهُمَا مَن وَرَقَ التَّيْنِ ثَوْباً لَمْ يَكُنْ غُزْلا
فَلَاطَهَا اللهُ إِذْ أَغْوَتْ خَلِيفَتَهُ طُولَ اللَّيَالِي وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا أَجْلا
تَمْشِي عَلَى بَطْنِهَا فِي الدَّهْرِ مَا عَمَرَتْ وَالثَّرْبُ تَأْكُلُهُ حَزَنًا وَإِنْ سَهْلا

وما يلفت النظر، هو أن الشعر وقصص الأنبياء، تتحدث عن الحية، باعتبارها عنصراً فاعلاً في الأحداث، في حين أن القرآن الكريم لم يشير إلى ذلك، وإنما عزا السبب إلى الشيطان. قال تعالى (فأنزلهما الشيطان فأخرجهما مما كانا فيه) (١٠٧٩)، مما يقودنا إلى القول بأن صورة إبليس غير مستقلة عن الحية، وأن قصة الخليفة في القرآن الكريم استعاضت عن الحية بالشيطان، لأن

1074 - / :

1075 - :

/

1076 - /

1077 - - :

1078 - :

1079 - - :

من معاني الشيطان عند العرب الحية، أو إبليس الذي اضطلع بوظيفتها^(١٠٨٠)، وهذا يؤكد العلاقة بين الشيطان "إبليس" والحية، ويتحدث أمية بن أبي الصلت عن الحية وإبليس، ويبين أن الحية رمز الشر والإغواء، ويحمل الجن مسؤولية ترك الحية تسعى في الأرض؛ لتبث الشر والفساد، بقوله: (١٠٨١)

(الوافر)

كذي الأفعى يُرببها لديه وذي الجنّي أرسله يُساب
فلا ربّ المنيّة يأمّنها ولا الجنّي أصبح يُستتاب^(١٠٨٢)

وتتضح العلاقة بين الشيطان والحية من خلال "شيطان الحمّاطة"، فالحمّاطة شجرة التين التي أكل منها آدم، وجلس عليها نادما على فعلته، وجلست الحية عليها ترقبه، والمعروف أنها شجرة تألفها الحيات، ولا بد أن تكون الحية التي كانت تسكنها رمزا للشيطان^(١٠٨٣)، وفي ذلك يقول حميد بن ثور الهلالي:

(الطويل)

فلما أنته أنشبت في خشايشه زمّاماً كُعبان الحمّاطة
مُحكّماً^(١٠٨٤)

وقد تحولت الحية إلى رمز حي، ودائم للألم والندم، إذ تعني كلمة الثعبان "الحية الخبيثة"؛ لأنها توحدت مع الشيطان، وكانت سبباً في إغراء آدم وحواء للأكل من الشجرة، وما ترتب على ذلك من الشقاء والألم والندم^(١٠٨٥)، ويتمثل هذا مع ما جاء في ملحمة جلجامش "حيث توحدت الشيطانة "إليث" مع الحية، واتخذتا مسكناً لهما عند قاعدة شجرة الإلهة "إنانا"، رمز الخصب والحياة، وكان هدفهما القضاء عليها^(١٠٨٦)، وهذا يؤكد عداوة الحية والشيطان للحياة والخصوبة،

- /	-	1080
.	:	1081
.	:	1082
- /	-	1083
- -	:	1084
- -	:	1085
- -	:	1086

وعشقهما لأماكن المياه، فقد جاء في المعتقد العربي "أن المياه مسكونة بأرواح الجن، وأن تلك الأرواح اتخذت هيئة الأفاعي، وأن البقع الكثيفة بالنبات والأحراش، كانت مسكونة بالأرواح الموجودة، على شكل حيات"^(١٠٨٧). وقد سجل الشعر الجاهلي ذلك الاعتقاد، فهذا طرفة بن العبد يقول:^(١٠٨٨)

ثَلَاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كَأَنَّهُ تَعْمُجُ شَيْطَانٍ بَدِي خِرُوعِ قَفْرٍ (الطويل)

ويؤيد ذلك ما جاء في تفسير الآية القرآنية الكريمة (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلحها كأنه مرؤوس الشياطين)^(١٠٨٩)، فالمقصود برؤوس الشياطين، رأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطاناً، وهي حية لها عرف قبيح الوجه والمنظر^(١٠٩٠)، وقد يكون هذا ما عناه الشاعر في قوله يذم امرأة:^(١٠٩١)

(الرجز)

عَجْرَدٌ تَحْلَفُ حَيْنَ أَحْلَفُ كَمَثَلِ شَيْطَانِ الْحَمَاطِ أَعْرَفُ

ولا يبتعد عن ذلك ما قاله بعضهم "أن للعرب شجراً يطلقون عليه "الصوم" كريبه المنظر جداً، يقال لثمره، رؤوس الشياطين، أي الحيات"^(١٠٩٢)، فالشاعر يربط بين المرأة والشيطان والشجرة؛ ليؤكد اعتقاد الجاهليين بوجود قوى كامنة في الأشجار، لها دور خطير في حياتهم.

ويبدو تشابه بين الجن والحيات في الطباع، من ذلك الأصل التي تشبه الجن في كونها شديدة الفساد.^(١٠٩٣) ولعل ما قيل عن الشيطان والحية والغول، لا يختلف عما يقال عن الشجاع، وهو الأسود العظيم من الحيات، والداهية، وهو أيضاً من به جنون من الإنس أو غيره^(١٠٩٤)، ويزيد من تأكيد تلك العلاقة، ما ورد عن العرب من قول: "إنه إذا طال جوع المرء، تعرض له حية في

-
- 1087 - / :
- 1088 - :
- 1089 - -
- 1090 - " "
- 1091 - () () /
- 1092 - / -
- 1093 - .
- 1094 - () .

بطنه، يقال لها الشجاع، فتعضه"^(١٠٩٥)، وفي ذلك يقول أبو خراش الهذلي: (1096)
(الطويل)

أرُدُّ شُجَاعَ البَطْنِ قَدْ تَعَلَّمِيئَهُ وَأَوْتَرُ عَيْرِي مِنْ عِيَالِكِ بِالطُّعْمِ

ويتضح ذلك من خلال نوع من الحيات، يقال له "الأرقم"، وهو يشبه الجان في اتقاء الناس من قتله، والأرقم والجان يُتقي في قتلها عقوبة الجن لمن قتلها، وهي أخبت أنواع الحيات، وأطلبها للناس، وربما مات قاتلها أو أصابه خَبَلٌ، وهي كالقائل، "أنا كالأرقم إن تقتله ينقم، وإن تتركه يلقم"^(١٠٩٧)، لذلك اعتقد الجاهليون أن من تعرض للحية، بأذى سيصيبه المرض، أو الجنون، مما يثبت أن الحية تصيبُ بالخبل والجنون، كالجن تماماً.

وبناء على هذه المعتقدات كان الجاهليون، إذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن أن يأخذ بثأره، فيأخذون روثه ويفنونها على رأسه، ويقولون: روثه راث تائرك، وفي ذلك يقول بعضهم:^(١٠٩٨)

طَرَحْنَا عَلَيْهِ الرُّوثَ وَالزَّجْرُ صَادِقٌ قَرَأَتْ عَلَيْنَا ثَارَهُ وَالطَّوَائِلُ (الطويل)

وقد جاء في قصص العرب، ما يثبت ثأر الجن للحية، من ذلك ما جاء في قصة أمية بن أبي الصلت، التي تثبت أن الجن أخذت بثأر الحية من الإنسان، فقتلت حرب بن أمية، وقالت فيه شعراً:^(١٠٩٩)

كما ربط الجاهليون بين مرضهم ومس الجن والحية، فكانوا إذا اعتل أحدهم، واعتقدوا أن به مَسًّا من الجن؛ لأنه قتل الحية، يقدمون لها القرابين أمام الجحور^(١١٠٠).

وآمنوا برقى الحيات، ودعوا ممارس هذه الرقى بالحواء، مما يؤكد العلاقة بين الحية وحواء في الفكر الجاهلي، من حيث قيمة الخلود والحياة، وارتباطهما بالبعد الإغرائي الشيطاني،

1095	-	/	.
1096	-	:	/
1097	-	/	-
1098	-	/	.
1099	-	/	.
1100	-	/	.

كما خلدته التوراة: (١١٠١) وخلده الشعر الجاهلي، في حديثه عن الحية الصماء التي لا تجيب الرقاة، ولا تسمع لهم، بقول عمرو بن شأس: (١١٠٢) (البسيط)

لو شَرَّحْتَ بِالْمُدَى مَا مَسَّهَا بَلَلٌ ولو تَكَنَّفَهَا الْحَاوُونَ مَا قَدَرُوا

قد جَاهَدُوهَا فَمَا قَامَ الرَّقَاءُ لَهَا وخَاتَلُوهَا فَمَا نَالُوا وَلَا ظَفَرُوا

ومما يثبت الصلة بين الجن والحية، أن العرب اعتقدوا، في تعليق الحلي على الرجل اللديغ "السليم" سبعة أيام (١١٠٣)، ليبقى السليم مسهداً، حتى لا يسري السم في جسمه، ويبدو أن تعليقها لم يكن للسهر، وإنما التماساً لطرد الأرواح الشريرة من الجن والشياطين؛ لأن الرأي الشائع من العصور القديمة "أن الشياطين تهربُ عند سماع صوت من معدن، سواء أكان هذا الصوت، صوت صليل من الأجراس الصغيرة، أو قعقة متواصلة" (١١٠٤)، فعن طريق الضجيج تبتعد الأرواح الشريرة التي دخلت جسم اللديغ.

وقد سجل الشعراء ذلك، وخاصة النابغة الذبياني الذي بات ليله في همٍّ وعمٍّ وشؤم، وداخلته المخاوف من تهديد النعمان له، فأخذ يصور إحساسه بالألم والحيرة، بقوله: (١١٠٥) (الطويل)

فبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَنْيَلَةٌ مِنْ الرُّقْشِ، فِي أُنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعٌ
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا، لِحُلِيِّ النِّسَاءِ، فِي يَدَيْهِ، قَعَاقِعُ
تَنَادَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا، تُطَلِّقُهُ طَوْرًا، وَطَوْرًا تَرَاجِعُ

ومن معتقدات العرب الدالة على الصلة بين الجن والحية، استخدام الرقى والعزائم في التعامل مع الحية، محاولة لاتقاء شرها، وإبعاد خطرها، خاصة الحيات التي تمتنع عليهم، ولا تخرج من جحرها، ويرون فيها أمراً غريباً وقوة لا تجابه إلا بالرقية، فأمنوا بقدره الرقية على

- 1101

- 1102

- 1103

- 1104

- 1105

إخراج الحية من الصخر وقدرتها على شفاء اللدغ^(١١٠٦)، فنسبة إخراج الحية من جحرها إلى الراقى، إنما يكون للعزيمة، والإقسام عليها؛ لأنها إذا فهمت أجابت ولم تمتنع^(١١٠٧)، وهنا تظهر علاقة الجن بالحية؛ لأن الراقى لا بد أن يكون على اتصال مباشر بالجن كالكاهن؛ لأن ما يقوم به من أعمال، تفوق قدرة البشر، لذلك رأوا أن الحية كالجن، لا تجيب صاحب العزيمة، حتى يلتزم بمظاهر خاصة، توحى بالاستعداد النفسي والحسي "فيتوحش، ويسكن البراري، ويتشبه بالجن، ويغتسل بالماء القراح، ويتبخر باللبان الذكر، ويراعي المشتري، فإذا دق، ولطف، وتوحش، وعزم، أجابته الجن، وذلك بعد أن يكون بدنه يصلح هيكلًا لها، حتى يلذ دخوله وادي منازلها، وإلا يكره ملابسته والكون فيه، فإن هو ألحَّ عليها بالعزائم، ولم يأخذ لذلك أهبتة، خبلته، وربّما قتلته، لأنها تظن أنه متى توحش لها، واحتمى، وتنظف، فقد فرغ، وهي لا تجيب بذلك قط، حتى يكون المعزّم مشاكلاً لها في الطباع"^(١١٠٨).

نتبين مما سبق تشابه معتقدات العرب بالجن والحية، وعلاقتها ببعضها، فقد ارتبط الجن

بالحياة ارتباطاً وثيقاً.

- 1106

- 1107 / -

- 1108 / -

المبحث السابع

الجن والغزال

يعد الغزال من الحيوانات التي حرص الجاهليون على عدم قتلها في قصائدهم، وعدم إصابتها بأذى، إذ لم يمكنوا الصائد منها، مما يدل على قدسية هذا الحيوان، ويؤكد ذلك ما رواه ابن هشام بشأن حفر "عبد المطلب" جد رسول الله " عليه السلام" بئر زمزم الذي وجد فيه غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم فيها، حين خرجت من مكة، ووجد فيها أسياً قلعية وأدراعاً^(١١٠٩)، وقد سجل الشعر الجاهلي ما يدل على ألوهية وقدسية الغزال، كما وجد في الكتابات المقدسة، والنقوش القديمة ما يثبت ذلك^(١١١٠)، ومن ذلك قول امرئ القيس:

(١١١١)

وماذا عليه لو ذكرتُ أو انساً كغزْلانِ رمْلٍ في مَحَارِبِ أقبال^(١١١٢) (الطويل)

وصورت الغزالة بامرأة حسناء، كما كانت رمزاً للإلهة الشمس، فوضعت في محارِب الملوك، وحرّم أكلها على عابدي الآلهة، في حين لم يحرم ذبحها قرباناً لها^(١١١٣)، ومن مظاهر تقديس العرب للغزال، أنهم كانوا إذا وجدوا غزلاً ميتاً غطّوه، وكفنّوه ودفنّوه، وكانت القبيلة تحزن عليه سنة^(١١١٤).

وقد ورد في قصص الجاهليين ما يشير إلى اعتقادهم بقدسية الغزال، وبأن قاتله يعاقب عقاباً ساحقاً، فقد أورد الأزرقى القصة التالية "أقبل عتبة وشيبة، ابنا ربيعة بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب، فتحدّثوا وذكروا الغزال، فقال أحبحة: أطيعوني، ولا تخوضوا في أمر هذا

- 1109

- 1110

- 1111

- 1112

- 1113

- 1114

الغزال، فإن عندي منه علما، فقالوا: ما علمك؟ قال: حدثني أبي عن أبيه، أن قبيلة من العرب
نزلوا بمكة، فأهلكوا في شأن ظبي، قتله رجل منهم، واستؤصل أحرارهم ورقيقهم، قالوا: ما

سمعنا بهذا، فأنشدهم:

(الرمل)

يَا رَجَالَاتِ قُصَيِّ بَلَدٍ مَن يُرَدِّ فِيهِ مَلَدَاتِ الظُّلْمِ
هَلْ سَمِعْتُمْ بِبَقَايَا عَرَبٍ عَطَبُوا فِيهِ وَحَيٍّ مِّنْ عَجْمٍ
هَلَكُوا فِي ظَبِيَّةٍ يَتَّبِعُهَا شَادِنٌ أَحْوَى لَهُ طَرْفُ أَحَمِّ
عَاقَةُ عَنْهَا فَمَا يَتَّبِعُهَا حَيْثُ آوَتْهُ إِلَى جَنْبِ الْحَرَمِ

فقالوا: كيف كان هلاكهم؟ قال: أقبلت حية من الجبل، فجعلت تنفخ عليهم من جوفها،
أمثال الرماح من النار، فجعلوا يحترقون، حتى هلكوا جميعا، قالوا: أتى يكون هذا؟ قال: أما

سمعتم بقول عبد شمس:

(الرمل)

فَأَتَاهُ حَيَّةٌ مِّنْ خَلْفِهِ أَحْبَبُ النَّابِينَ دُوْ نَابِ خِضْمٍ
فَرَمَاهُ بِشِهَابٍ ثَاقِبٍ مِثْلَ مَا أُوْرِيَتْ بِالرُّمْحِ الضَّرْمِ^(١١٥)

فهذا يؤكد أن الحية التي جاءت من الجبل هي أحد أفراد الجن الذي تصور بصورة الحية، ويبين
العلاقة بين الجن والظبي، فالجن يظهر بشكل الظبي، عوقب قاتلوه، ويؤكد قداسة الغزال،
وتحريم قتله، وتحريم صيد الطباء. ويبين أنها من ماشية الجن ما جاء في الأساطير المخوفة من
انتهاك تلك الحرمة " أنه دخل قوم مكة تجاراً من الشام في الجاهلية، فنزلوا بذي طوى تحت
السمرات، يستظلون بها، فاصطادوا ظبية من طباء الحرم، وطبخوا لحمها، فبينما هي على النار،
إذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة، فأحرقت القوم، ولم تحرق ثيابهم، ولا أمتعتهم،
ولا السمرات التي كانوا تحتها"^(١١٦)، فيبدو العجب في العقاب الذي أنزل بواسطة النار، وقدرتها

- 1115

- 1116

على التمييز والتخصيص، إذ لم تنل النار من ثيابهم وأمتعتهم، مما يؤكد أن الفاعل لا بد أن يكون من الجن؛ لأن الأطباء في معتقداتهم من ماشية الجن، وقد عبر النابغة عن حرمة الأطباء

بقوله: (١١١٧) (البيسط)

() .

ومن الحكايات التي تدل على أن الأطباء من مطايا الجن، ما أورده الشبلي عن حميد ابن ثور الهلالي، قال: "كنا نتحدث أن الأطباء ماشية الجن، فأقبل غلام ومعه قوس ونبل، فاستتر بأرطاة، وبين يديه قطيع من ظبي، ويريد أن يرمي بعضه فهتف هاتف لا يرى، وقال: (١١١٩)

إِنَّ غَلَامًا عَسَرَ الْيَدَيْنِ يَسْعَى بِكَيْدٍ أَوْ لِهَيْئِ مَيِّنِ
مُتَّخِذَ الْأَرطَاةِ جُنَّتَيْنِ لِيَقْتُلَ النَّائِسَ مَعَ
العَنَزَيْنِ (١١٢٠)

فسمعت الأطباء، فتفرقت، لأن الهاتف ينبه الأطباء من الصياد، كي تنجو من الموت.

كما رُويت رواية عن النعمان بن سهل الحراني، قال: بعث عمر بن الخطاب رجلا إلى البادية، فرأى ظبية مصرورة، فطاردها حتى أخذها، فإذا رجل من الجن يقول: (١١٢١) (الرجز)

يَا صَاحِبَ الْكَنَانَةِ الْمَكْسُورَةَ خَلَّ سَبِيلَ الظُّبْيَةِ الْمَصْرُورَةَ
فَإِنَّهَا لَصَبِيَّةٌ مَضْرُورَةٌ غَابَ أَبُوهُمْ غَيْبَةً مَذْكُورَةَ
فِي كُورَةٍ لَا بُورَكَتْ مِنْ كُورَةٍ

1117 -

1118 -

1119 -

1120 -

1121 -

والهاتف هنا يدعو الصياد إلى إطلاق الطيبة، وإخلاء سبيلها، ويبين له حالها. وقد جاء في الشعر ما يبين أن الأطباء من مطايا الجن، وذلك قول أحدهم: (١١٢٢)

وأجوبُ البلادَ تحثي ظبي
ضاحكٌ سنُّه كثيرُ التمرى (الخفيف)
مُولجٌ دُبره خَوَايَة مَكْوٍ
وهو بالليل في العفاريث يسرى

وتبدو العلاقة بين الغزال والجن، في ارتباط كل منها بشجرة السمرة، التي تعدُّ شجرة العزى، (١١٢٣) وقد سجل صخر الغي ذلك بقوله: (١١٢٤) (الطويل)

فخانتُ غَزَاً جاثماً بصُرتِ به
لدى سَمَرَاتٍ عند أدماء سارب

وقد تحدث كعب بن زهير عن تلك العلاقة في أثناء حديثه عن صيد الأطباء، بقوله: (١١٢٥) (الطويل)

فلما أراد الصيد يوماً وأشرعت
زوى سَهْمُهُ عاو من الجن حارم (١١٢٦).

فالشاعر ينسب ارتداد السهم إلى ما يركب الأطباء من الجن، وهذا يؤكد ما ذهب إليه الجاحظ "ما من وحشية إلا وعليها جني يركبها" (١١٢٧)

وإذا علمنا علاقة الزجر بالجن، فإننا نجد في زجرهم للأطباء، ما يبين علاقتها بتلك الكائنات، وهذا ما أشار إليه عنتر بن شداد بقوله: (١١٢٨) (الطويل)

طربتَ وهاجتكُ الأطباءُ السوارحُ
غداة غَدَتْ مِنْهَا سَنِيحٌ وبارحُ

ويقول كعب بن زهير: (١١٢٩) (المتقارب)

/	- 1122
.	- 1123
/ :	- 1124
.	- 1125
.	- 1126
/	- 1127
.	- 1128

علا حاجبي الشَّيبُ حتى كائهُ ظبَاءُ جَرَتُ فِيهَا سَنِيحٌ وَبَارحُ

وقد يكون في تسمية البيت الذي قدسه عرب اليمن " رثام " الذي كان فيه شيطان، وخرج منه كلب أسود، ما يدل على علاقة مقدسة بين البيت والظباء، وبين الجن والظبي^(١١٣٠)، فالعلاقة اللغوية توحى برمز أسطوري إلى حد ما. ويؤكد ما قالته العرب "آمن من حمام مكة، ومن غزلان مكة"^(١١٣١)، فكانوا حريصين على عدم قتلها، حتى تخيلوا أن الجن تنبه الصيادين إلى ذلك....

- 1129

- 1130

- 1131

المبحث الثامن

الجن والثور

ربط الجاهليون بين الجن والثور والبقر عامة، وربما كان القرنان هما الصلة الشكلية بينها^(١١٣٢)، "فنظر القدماء بشكل عام إلى الثور نظرة قداسة وتبجيل، وعدوه إله الخصب والقوة، وإله العواصف، وعدت عبادته تجسيدا أرضياً لعبادة القمر السماوي، فرأوا الهلال كقرون الثور، والثور فيه قوة الإخصاب^(١١٣٣)، فكان هذا دافعاً، كي ينسجوا حوله أساطيرهم، من ذلك ضرب الثور لتشرب البقر، فكانوا إذا أوردوا البقر، ولم تشرب، إما لكدر الماء، أو لقلّة العطش، ضربوا الثور ليقحم الماء؛ لأن البقر تتبعه كما تتبع الشول الفحل، وكما تتبع أنثى الوحش الحمار^(١١٣٤)، وقد سُجّلت هذه المعتقدات في أشعارهم، فقال عوف بن الخرع: ^(١١٣٥) (الوافر)

نَمَّتْ طَيْئِي جَهْلًا وَجُبْنًا وَقَدْ خَالَيْتَهُمْ فَأَبُوا خَلَائِي
هَجُونِي أَنْ هَجَوْتُ جِبَالَ سَلْمَى كضرب الثور للبقر الظماء ^(١١٣٦)

وقد عكس الشعراء هذه المعتقدات، في التعبير عما يلحق بهم من مظالم اجتماعية، فالأعشى يكرر المعنى نفسه، متحدثاً عما ألحقه به بنو سعد بن قيس من ظلم، من غير إثم اقترفه، فيقول: ^(١١٣٧) (الطويل)

وإني، وما كلفتموني وربكم ليعلم من أمسى أعق وأحرباً
لكالثور والجنّي يضرب ظهره، وما ذنبه أن عافت الماء مشرباً
وما ذنبه إن عافت الماء باقر، وما إن تعافت الماء إلا ليضرباً

1132 - /

1133 - .

1134 - .

1135 - : - -

1136 - / .

1137 - : / " / " .

وتتماثل هذه الصورة، مع الصورة التي رسمها نهشل بن حري، بقوله: (١١٣٨)

كدأب الثور يُضْرَبُ بالهراوى إذا ما عافتِ البقرُ الظمأءُ (الوافر)

ومع قول يحيى بن منصور الذهلي: (١١٣٩) (الطويل)

لكالثور والجنِّي يُضْرَبُ وَجْهَهُ وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ كَانَتْ الْجِنُّ ظَالِمَةً

ويتضح انعكاس هذه المعتقدات، من خلال قول أنس بن مدرك في قتله سليك بن السلكة: (١١٤٠)

إبِّي وَقَتْلِي سُلَيْكَا ثُمَّ أَعْقَلُهُ كالثور يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتْ الْبَقْرُ (البيسط)

ومنها قول الهيبان الفهمي: (١١٤١) (الطويل)

كَمَا ضُرِبَ الْيَعْسُوبُ أَنْ عَافَ بَاقِرٌ وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ بَاقِرٌ

ويتعجب النابغة الجعدي من أن تلقى عليه جريرة، لم يقترفها، ويشبه حاله بحال الثور المظلوم

يضرب؛ لأن البقر لا ترد الماء، فيقول: (١١٤٢) (الوافر)

أَتَشْرِكُ مَعْشَرًا قَتَلُوا هُذَيْلًا وَتُوْعِدُنِي بِقَتْلِي مِنْ جُذَامٍ؟

كَذَلِكَ يُضْرَبُ الثَّورُ الْمُعْنَى لِيَشْرَبَ وَارْدُ الْبَقْرِ الْعِيَامِ (١١٤٣)

فالشعراء يلتفون عند فكرة واحدة، هي استغرابهم من ضرب الثور، إذا امتنعت البقر عن ورود

الماء، على الرغم من أن الثور يرد الماء، ويختلفون في تفسيرهم لذلك، ولكن التعليل الذي أعتقد

أنه يقترب من الصواب، هو أن العرب يعتقدون بحلول أرواح شريرة في الثور، فكأن هذا

الضرب الواقع على ظهر الثور، هو بمثابة طرد للأرواح التي حلت فيه، إلا أن المتعارف عليه،

1138 - / /

1139 - / /

1140 - /

1141 - /

1142 - :

1143 - :

أن الضرب والكي وإحداث الأصوات كلها أدوات، يستعين بها العرب لطرد الشياطين^(١١٤٤)، ويقترب من ذلك ما أورده الحوفي " زعموا أن الجن تصدّ البقر عن الماء، وأن الشيطان يركب قرني الثور، فكأنهم بضرب الثور، يطردون الجن"^(١١٤٥).

ولا بد من الإشارة، إلى ما يمتلكه الثور من قوة خفية سحرية، يستطيع بواسطتها التأثير على البقر، ودفعها إلى الشراب، كما أن الشيطان الذي يحل في الثور، يرمز للفناء والدمار، ويريد القضاء على البقر، ومنعها من الشرب، وهي رمز الخصوبة والحياة، والثور هو القوة المقابلة للشيطان، فهو الحياة^(١١٤٦).

ويتفق هذا مع ما ورد عن البابليين " أن العفاريت من الجن، تهوى الاصطبلات الخاصة بالحيوانات، فتؤثر فيها"^(١١٤٧)، والآشوريين الذين اعتقدوا بحلول أرواح شريرة في البقر؛ لذلك اتخذوها وسيلة لحراسة قصورهم، وأخذوا يلتمسون عندها النصر والحماية^(١١٤٨)، ولا ننسى الدور الذي قام به الثور في ملحمة جلجامش.

وقد تكون هذه المعتقدات هي التي دفعت الجاهليين إلى استخدام الثور، والبقر في عملية الاستسقاء، "فقد كان العرب في الجاهلية الأولى، إذا تتابعت عليهم الأزمات، واشتد الجذب، واحتبس عنهم المطر، ويئسوا من نزوله، يجمعون البقر، ويعقدون في أذناها، وعراقبيها السلع والعشر، ويصعدون بها في جبل وعر، ويشعلون بها النار، ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر؛ لأنهم يعتقدون أن القوى الخفية التي تتحكم في سقوط المطر؛ تستوطن الجبال"^(١١٤٩)، ويؤمنون

- 1144

- 1145

- 1146

- 1147

- 1148

- 1149

بقدرتها على الاستجابة لدعواتهم واستغاثتهم، وبالتالي إنزال المطر، ويؤكد ذلك أما ذكرناه من أن البقرة بدت شيطاناً، أخذت تهتف شياطين الأصنام من داخله^(١١٥٠).

ويشير أمية بن أبي الصلت إلى هذا المعنى، بقوله: ^(١١٥١) (الخفيف)

*سَنَةٌ أزمَةٌ تُخَيَّلُ بِاللَّيْلِ
*وَيَسُوقُونَ بَاقِرَ السَّهْلِ لِلطَّو
س تَرَى لِلعَضَاهِ فِيهَا صَرِيرًا
د مَهَازِيلَ خَشِيَّةً أَنْ تَبُورًا
عَاقِدِينَ النِّيرَانَ فِي شُكْرِ الأَدُ
نَابَ عَمْدًا كِيمَا تَهَيِّجُ
*سَلْعٌ وَمَا مِثْلُهُ عَشْرٌ مَا
البُحُورُ^(١١٥٢)
عَائِلٌ مَا وَعَالَتُ البَيْفُورًا

وقال الورل الطائي: ^(١١٥٣) (البيسط)

لَا دَرَّ دَرٌّ رَجَالُ خَابَ سَعِيهِمْ
أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيْفُورًا مَسْلُوعًا
يَسْتَمْطَرُونَ لَدَى الأَزْمَاتِ بِالعُشْرِ
ذَرِيعةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالمَطَرِ

فكل من الشعارين، يشير إلى دور البقر، وأثرها في معتقدات الجاهليين وطقوسهم. وقد ذكرنا أن العرب الجاهليين اتخذوا الثور تعويذة سحرية في طقوس الاستسقاء، فكانوا يحشون جلد الثور بالبنور الزراعية، ويحرقون الجلد؛ ليتدفق منه الحب فيمطرون^(١١٥٤)، وكانت بعض القبائل تحرق معدة أحد الثيران عند حلول المساء؛ لأن الدخان الأسود يجمع السحب، ويسبب سقوط المطر^(١١٥٥)، ومما يؤكد امتلاك الثور قوة خاصة، أنهم كانوا يعلقون جمجمة أحد الثيران على مداخل بيوتهم أو الجدران المحيطة ببساتين النخيل، لحمايتها من الحسد، مما يدل على عبادتهم

1150 - /

1151 - : / -

1152 - : :

1153 - / /

1154 -

1155 -

لها، واستخدامها في السحر^(١١٥٦)، وقد يكون تساقط البقر من أعالي الجبال من التعاويذ السحرية الجاهلية المهمة في الاستسقاء، وذلك ما كان يقوم به الشعراء والسحرة والمتنبئون^(١١٥٧).

وهذا ما أشار إليه بشر بن أبي خازم في شعره، حيث زعموا أنه خرج في سنة، أسنت فيها قومه، وجهدوا، فمروا بصوارٍ من البقر، وأجل من الأروى، فذعرت منه، فركب جبلاً وعرأ، ليس له منفذ، فلما نظر إليها، قام على شِعبٍ من الجبل، وأخرج قوسه، وجعل يشير إليها، كأنه يرميها فجعلت تلقي نفسها فتتكسر.^(١١٥٨) وهو يقول: (مشطور الرجز)

تتابعي بقر تتابعي بقر

حتى تكسرت ثم قال:

أنت الذي تصنع ما لم يُصنع

أنت حططت من ذرى مُقنَّع

كلَّ شُبُوبٍ لهقٍ مَوْلَعٍ^(١١٥٩)

فهم يصعدون إلى الجبال؛ كي تسمع الآلهة شكواهم وتضرعاتهم. وأرى فيما أورده النويري ما يناسب ما ذهبنا إليه، فهو يقول إنهم يختارون جهة الغرب دون الجهات؛ لأن السحب تثور من تلك الجهة، فإذا لم تستجب الآلهة لتوسلاتهم، أشعلوا بين عراقيبها النيران، كي تأتي بالمطر فتطفئ النيران، ويذهب الجفاف والقحط، وإن لن تأت به، فهي تستحق ذلك المصير البشع^(١١٦٠).

— 1156

— 1157

— 1158

— 1159

— 1160

الفصل الخامس

الجن والطبيعة في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: الجن والصحاري

المبحث الثاني: الجن والشجر

المبحث الثالث: الجن والجبال

المبحث الرابع: الجن والآبار والأودية

المبحث الأول

الجن والصحاري

عاش العربي في جزيرة واسعة، تختلف عليه الرمال والأنواء، وتشدد عليه الطبيعة، فينتقل في سبيل العيش، يضرب في الأرض وراء اللقمة، فيجتاز مسافات كبيرة، ويخترق صحاري شاسعة، كأنه في ركب الحياة على سفينة، تتقاذفها الأمواج، تعلو به وتهبط، فيلقى مصاعبها ومتاعبها، إلى أن يرسو به القدر عند مرفأ، يحط به رحاله، وفي أثناء ذلك، وحين يستبد به التعب، كما يستبد برفاقه، ويملُّ الجميع الكلام، ولم يعد يسمع صوتاً ولا حركة، عندها يبني الإنسان صوراً اعتاد على مسخها، وتشويهها، صوراً من شظايا ما سمع، وآمن به، صوراً مخيفة مهولة، ثم يسمع نعيب بوم، أو صدى الرياح، تردده الأصداء غامضاً، فيخيل إليه أن صورة الخيال قد تجسدت، وأن الأطياف راحت تهاجمه، وأن الجن تلحق به؛ لتؤذيه على غزوه أرضها، فقد اعتاد أن يصف كل خرق ومهمة، لا يصل إليها موطناً للجن؛ لأنها تصلح لذلك؛ نتيجة لطبيعة سطحها، وما يحيط بها، ويشرف عليها من صخور، وأكام وجبال أو وديان.^(١١٦١)

فارتبط اسمها بعزيف الجن، واعتقد الجاهلي أنها سبقتة إليها؛ فسكنتها منذ عهد سحيقة، فهذا طرفة بن العبد، يقول: (1162)

وَرَكُوبٍ، تُعْرِفُ الْجِنُّ بِهِ قَبْلَ هَذَا الْجِيلِ، مِنْ عَهْدِ أَبَدٍ (الرملة)

فهو يذكر طريقاً مجهولة، سيطرت الجن عليها، منذ أقدم الأزمنة، مما يعزز مقولة أن الجن سكنوا الأرض، قبل أن يسكنها الإنس، وأنها تألف القفار، والمواضع الموحشة التي لا يعرفها أحد، إلا نادراً، ويؤكد اعتقادات العرب قبل الإسلام أن الجن تسكن المواضع التي تصيبها الكوارث بعد هلاك أصحابها، وهذا ما نجده عند العبرانيين وغيرهم^(١١٦٣)، ويؤكد هذا ما ورد،

- 1161 -

- 1162 -

- 1163 -

من أن الجن عندما حشرت لسليمان، خرجت من الآكام والقفار والجبال^(١١٦٤)، ويجسد هذا ما وجدناه في أشعار الجاهليين، فالنابغة الشيباني يرى في الصحاري مجالاً من التيه البعيد، الذي يحارُّ به الركب، ويُعاني من أهواله؛ لأنه لا يقطنها إلا الجن، ويقول: ^(١١٦٥) (الخفيف)

حَوْمَةٌ سَرَبِيحٌ يَحَارُّ بِهَا الرِّكْبُ بٌ تُنَوِّفُ كَثِيرَةَ الْأَهْوَالِ

جُبْتُ مَجْهُولَهَا، وَأَرْضُ بِهَا الْجِنُّ نٌ وَعَقْدُ الْكَثِيبِ ذِي الْأَمْيَالِ

ويؤكد هذا المعنى وصفه لها: ^(١١٦٦) (الكامل)

وَاجْتَبْتُ تَيْهًا مَا تَنِي أَصْدَاؤُهُ تَزْقُو وَغَرَّدَ بَعْدَ بَوْمٍ هَامُهَا

عِذْرَاءٌ لَا إِنْسٌ وَلَا جِنَّ بِهَا وَهِيَ الْمَضَلَّةُ لَا تُرَى أَعْلَامُهَا.

فالشاعر يعتبر الصحراء عذراء، لم يعبرها أحدٌ قبله، تقتل السالكين فيها؛ لاختفاء معالمها، وفي تلك القفار، تتنادى الجن ليلاً، ويُسمع لها عذيف رهيب، يتردد على الرمال، ويغوص في كل جوف سحيق من الأرض، فهذا المتنخل بن عويمر الهذلي، يقول: ^(١١٦٧)

وَخَرَقَ تَعَزَّفُ الْجِنِّانُ فِيهِ، بَعِيدِ الْجَوْفِ، أَغْبَرَ ذِي انْخِرَاطٍ^(١١٦٨) (الوافر)

و يتضح ذلك من قول أسماء بن خارجة^(١١٦٩): (الكامل)

بَلْ رُبَّ خَرَقٍ لَا أَنْيْسَ بِهِ نَابِي الصُّوَى مُتْمَاحِلٍ سَهْبٍ^(١١٧٠)

يَنْسَى الدَّلِيلُ بِهِ هِدَايَتَهُ مِنْ هَوْلٍ مَا يَلْقَى مِنَ الرُّغْبِ

وَيَه الصَّدَى وَالْعَزْفُ تَحْسِبُهُ صَدْحَ الْقِيَانِ عَزْفَنَ لِلسَّرْبِ^(١١٧١)

1164

1165

1166

1167

1168

1169

1170

كَابَدْتُهُ بِاللَّيْلِ أَعِيفُهُ فِي ظُلْمَةٍ بِسَوَاهِمِ حُدْبٍ (١١٧٢)

ويصور الشاعر ما يحس به في الصحراء من الضلال والضياع، كما يصور الهلع الذي يدبُّ في

نفسه، ويكرر كعب بن زهير ذلك المعنى، بقوله: (١١٧٣) (البسيط)

يَوْمًا قَطَعْتُ وَمَوْمًا سَرَيْتُ إِذَا مَا ضَارِبُ الدُّفِّ مِنْ جَنَائِهَا عَزَفَا

ويقول أيضا: (١١٧٤)

(الكامل)

وَعَلِمْتُ أَنِّي مُصْبِحٌ بِمَضِيعَةٍ غِبْرَاءَ تَعْرِفُ جِنُّهَا مَذْكَارَ (١١٧٥)

ويشير حسان بن ثابت إلى فلاة، تغدو وتروح فيها الجن، حتى أصبح لها فيها آثار، وذلك

بقوله (١١٧٦)

رُبَّ خَرَقٍ أَجَزْتُ مَعْلَبَةَ الْجِنِّ وَمَعِي صَارُمُ الْحَدِيدِ إِبَاطِي (١١٧٧) (الخفيف)

وهذا أمية بن أبي عائد، يجعل الصحراء، بما فيها من مخاوف، تزيد من قوة الجن، وتحولها إلى

غول مخيفة، بقوله: (١١٧٨)

صَحَارِي تَغُولُ جِنَائِهَا وَأَحْرَابُ طَوْدٍ رَفِيعِ الْجِبَالِ (المتقارب)

1171 -

1172 -

1173 -

1174 -

1175 -

1176 -

1177 -

1178 -

ويرسم بشر بن أبي خازم لوحة للصحراء، وقد جمعت في ثناياها الجنان ومطاياها الطباء، في وقت الظهيرة، إذ ترسل الشمس لهبها وشواطئها، على الرمال الصفراء، فتكاد تنقلب حباتها إلى جمرات، هذه الأرض لا يؤنس بها، إلا لعزيف الجن، ويا له من ونس موحش، فيقول^(١١٧٩):

وَحَرَقَ تَعْرِفُ الْجِيَانُ فِيهِ فَيَأْفِيهِ تَطِيرُ بِهَا السَّهَامُ^(١١٨٠) (الوافر)

دَعَرْتُ ظِبَاءَهُ مُنْعَوَّرَاتٍ إِذَا ادَّرَعَتْ لَوَامِعَهَا الْإِكَامُ

ويوغل الأعشى في تصوير رهبة البادية، التي تنبعث في أرجائها صيحات الجن المختلفة، فيقول^(١١٨١) (المتقارب)

وَيَهْمَاءَ تَعْرِفُ جِنَّائِهَا مَنَاهِلَهَا أَجْنَاتٌ سُدْمُ^(١١٨٢)

ويصف زهير بلدة نائية عن العمران، وقد توطنت الجن فيها، فأصبحت تمتلئ بأصواتهم، وأخذت الثعالب، تصرخ مذعورة منها، بقوله^(١١٨٣) (المُسْرَح)

وَبَلَدَةٍ لَا تُرَامُ خَائِفَةٌ زَوْرَاءَ مُعْبَرَةٍ جَوَانِبُهَا

تَسْمَعُ لِلجِنِّ عَازِفِينَ بِهَا تَضْبِحُ مِنْ رَهْبَةٍ تَعَالِيهَا

وممن أشار إلى وجود الجن في القفار، المثقّب العبدي، وذلك بقوله^(١١٨٤) (السريع)

فِي لَاحِبٍ تَعْرِفُ جِنَّائُهُ مُنْفَهَقِ الْفَقْرَةِ كَالْبُرْجُدِ^(١١٨٥)

ويشير أيضاً، إلى أنه اجتاز بناقته مومة تعزف جئها، بقوله^(١١٨٦) (السريع)

1179 - : . -

1180 - : .

1181 - : .

1182 - : : .

1183 - : / . -

1184 - : .

1185 - : : .

1186 - : / .

في بلدة تُعرفُ جَنَّاها فيها خَنَاطيلٌ مِنَ الرُّودِ (١١٨٧)

ويقول الحطيئة (١١٨٨): (الطويل)

وَأَنَّى اهْتَدَتْ، والدَّوُّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَمَا كَانَ سَارِي الدَّوِّ بِاللَّيْلِ يَهْتَدِي (١١٨٩)

فهو يشير إلى أرض الدَّوِّ التي لا رَجُلٌ فيها، ولا شيء إلا الجنان، ولا يمكن للإنسان المارَّ فيها أن يهتدي؛ لأنها تدوي بمن صار فيها؛ أي تذهب به.

فانعكست هذه المعتقدات على تصرفاتهم، فكان البدوي يخاف أن يدوس أرضها، دون معرفة منه، وإذن منها، فإذا جاء موضعاً عرف أنه موطن لها، بدأ بالسلام على سيِّد ذلك المكان، طالباً الإذن بالمرور، أو النزول في جواره، حتى إذا سمع صوتاً، أو رأى إشارة، يفسرها قبولاً وترحيباً، ويطمئن ويرتاح، أما في الحالات الأخرى، فإنه يستشعر خوفاً لا يوصف، ويتهيأ له سماع صوت تطير نفسه منه، ويخال الجن غضبي عليه؛ لأنه اقتحم ديارها، وربّما لجأ إلى طقوس وشعائر؛ ليذهب ما في نفسه من الروع (١١٩٠)، ومن الطقوس التي سجلها الشعراء، ما كان يمارسها الرجل، إذا ضل في الصحراء، من ذلك ما قاله أحد الأعراب: (١١٩١)

قَلْبْتُ ثِيَابِي وَالظَّنُونُ تُجُولُ بِي وَتَرْمِي بَرَجْلِي نَحْوَ كُلِّ سَبِيلِ (الطويل)

فَلأَيَّ بَلأِي مَا عَرَفْتُ حَلِيلَتِي وَأَبْصَرْتُ قَصْداً لَمْ يُصَبْ بِدَلِيلِ (١١٩٢)

وقول أبي العمَّس الطائي: (١١٩٣) (الوافر)

فَلَوْ أَبْصَرْتَنِي بَلْوَى بَطَانِ أَصَقُّ بِالْبَنَانِ عَلَى الْبِنَانِ

- 1187

- 1188

- 1189

- 1190

- 1191

- 1192

- 1193

فَأَقْلِبُ تَارَةً خَوْفًا رَدَائِي وَأَصْرُخُ تَارَةً بِأَبِي فُلَان!

لَقَلَّتْ أَبُو الْعَمَلِسِ قَدْ دَهَاهُ مِنْ الْجِنِّانِ خَالَعَةُ الْعَنَان!

يتضح من ذلك أثر الجن في نفوس العرب، وأن معارضات الجن للأعراب تكثر في القفار والبيد، فتحاك الخرافات المخيفة، والأساطير التي تحذر الناس من الاقتراب منها...

وقد يكثر الجن في بعض المناطق الصحراوية، من ذلك ما ورد ذكره في الشعر الجاهلي عن أرض إصمت، وهي أرض يبدو من لفظها أنها برية؛ بدليل قول العرب بوحش اصمت، ولقيته بوحش أصمت، أي بمكان مقفر^(١١٩٤)، وربما كانت تسمية هذه الصحراء بهذا الفعل؛ للغلبة وكثرة ما يقول الرجل لصاحبه، إذا سلكها، اصمت لئلا تُسمع، فتهلك؛ إما لشدّة الخوف؛ وإما لإثارة الجن، يقول أحد الشعراء ذاكراً تلك الصحراء: (١١٩٥)

(البسيط) أَشَلَى سُلُوقِيَةَ بَأْتَتْ وَبَاتَ لَهَا بُوْحَشٌ أَصْمَتْ فِي أَصْلَابِهَا أَوْدُ

ويبدو البدي موضعاً تنسب إليه كثرة الجنان، إذ يقال: جنُّ البدي، كما يقال: جن ذي شمار، وغول القفرة، وغول الربضات... وكلها أماكن تسكنها الجان وتسمى باسمها^(١١٩٦)

ويرثي أعشى باهلة أخاه المنتشر، ويصفه بالجرأة من خلال اقتحامه، وسيره في البيد التي لم تطأها قدم، فلا أثر فيها لغير الجن، فيقول: (١١٩٧)

يَمْشِي بَبِيدَاءَ لَا يَمْشِي بِهَا أَحَدٌ وَلَا يَحْسُ، خَلَا الْخَافِي بِهَا أَثَرُ^(١١٩٨)

يؤكد قول الشاعر تواجد الجن في الأماكن الخالية الموحشة المقفرة، ويبدو أنه يعبر عن ذلك، من خلال تعبيره عن قضاياه وأحاسيسه، ومواقفه من الحياة والناس، فهو يعكس رؤيته للواقع، ويصور ناقته، وسرعتها التي ينفذ من خلالها إلى تجسيد قدرته، ونشاطه، وجرأته على اجتياز

1194 -

1195 -

1196 -

1197 -

1198 -

تلك المناطق المهلكة والمفزعة، وقد ذكر لبيد بن الردي^(١١٩٩)، كما ذكر النابغة الذبياني جن البقار بقوله: (١٢٠٠)

(الكامل)

سَهَكِينَ مِنْ صَدَاِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ
تحت السَّنورِ جِنَّةُ الْبِقَارِ (١٢٠١)

(الوافر)

كما ذكر ذلك عمرو بن معد يكرب، بقوله (١٢٠٢):

وَأَرْضٌ قَدْ قَطَعْتُ، بِهَا الْهَوَاهِي
من الْجِنِّانِ سَرَبُخُهَا مَلِيعٌ (١٢٠٣)

تَرَى جَيْفَ الْمَطِيِّ بِحَافَتَيْهِ
كَأَنَّ عِظَامَهَا الرَّخْمُ الْوُقُوعُ

فتبدو هذه القفرة، لخلوها من البشر مأهولة بالجن، فلا يسمع بها إلا عزيها. ويتمائل هذا مع قول كعب بن زهير، الذي يجعل الصحاري مسرحاً للجن والذئاب؛ وما ذلك إلا ليفتخر بشجاعته وناقته، التي استطاعت أن تخترقها، فيقول: (١٢٠٤)

(الطويل)

وَحَرَّقَ يَخَافُ الرِّكْبُ أَنْ يُدْلَجُوا بِهِ
يَعُضُّونَ مِنْ أَهْوَالِهِ بِالْأَنَامِلِ

مَخُوفٍ بِهِ الْجِنِّانُ تُعْوِي ذُنَابُهُ
قَطَعْتُ بِقَتْلَاءِ الدَّرَاعِينَ بَازِلِ (١٢٠٥)

ويبالغ نابغة بني شيبان، في تصوير الأثر الذي تركته رؤية الجن، في الأماكن المقفرة في نفسه، ويقول: (١٢٠٦)

(البيسط)

وَبَلَدَةٍ مُقْفِرَةٍ أَصَوَاءٌ لِاحِبِّهَا
يَكَادُ يَشْمِطُ مِنْ أَهْوَالِهَا الرَّجُلُ (١٢٠٧)

1199 -

1200 -

1201 -

1202 -

1203 -

1204 -

1205 -

1206 -

1207 -

سَمِعْتُ مِنْهَا عَزِيفَ الْجِنِّ سَاكِنِهَا وَقَدْ عَرَّانِي مِنْ لَوْنِ الدُّجَى طَقْلٌ^(١٢٠٨)

فقد اصفر وجهه، وكلح لونه، عندما سمع عزيف الجن، ودويها وقت الغروب. وتتضح العلاقة بين الجن والفيافي، من خلال قصة عبيد بن الأبرص والشجاع، إذ يقول: ^(١٢٠٩) (البسيط)

يَا صَاحِبَ الْبَكْرِ قَدْ أَنْقَذْتَ مِنْ بَلَدٍ يَحَارُ فِي حَافَتَيْهَا الْمُدْلِجُ الْهَادِي

فقد جعل الصحراء سبباً للضلال، والبعد عن الهداية؛ لما فيها من الجن. ولا ننسى خبر جماعة أمية بن أبي الصلت، وما فعلته بهم المرأة الجنية، التي كانت تقيم في الأودية والقفار ^(١٢١٠).

وفي هذا المجال لا بد من الحديث عن أرض وبار التي جعلوها مثلاً في الضلال، يتحدثون عنها، كما يتحدثون عن الدهناء، والدوّ، والصمّاء، ورمل بيرين ^(١٢١١)، ويؤكد الأعشى ذلك، معتبراً أرض وبار مثلاً في بُعد الاهتداء والضلال، فيقول: ^(١٢١٢) (المنسرح)

أَلَمْ تَرَوْا إِرْمًا وَعَادًا، أَوْدَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

وَقَبْلَهُمْ غَالَتْ الْمَنَايَا طَسْمًا وَلَمْ يُنْجِهَا الْحَدَارُ.

وَمَرَّ حَدٌّ عَلَى وَبَارٍ فَهَلَكْتَ جَهْرَةً وَبَارُ.

وَيُنَشِّدُ شَاعِرٌ آخَرَ فِي ذَلِكَ: ^(١٢١٣) (الطويل)

وَدَاعَ دَعَا وَاللَّيْلُ مُرْخٌ سُدُولُهُ رَجَاءَ الْقَرَى يَا مُسْلِمَ بَنِ حِمَارِ

دَعَا جُعْلًا لَا يَهْتَدِي لِمَقِيلَةٍ مِنْ اللُّؤْمِ حَتَّى يُهْتَدِيَ لَوْبَارِ.

1208

1209

1210

1211

1212

1213

وقالوا "وبار أرض، كانت فحال عادٍ تسكنها بين اليمن ورمال بيرين، فلما هلكت عاد، أورث الله ديارهم الجن، فلا يتقاربها أحدٌ من الناس، وأنشد "مثل ما كان بدءُ أهل وبار" (١٢١٤)، وقيل "إنها بلدة يسكنها النسناس" (١٢١٥)، وتؤكد الروايات القديمة ذلك بقولها "إنّ وبار أقفرت، ولم يَعد فيها إلا الإبل الوحشية التي ضربت فيها فحول الجن، كالعمانية والعسجدية" (١٢١٦)، وقد جاء في الأمثال ما يؤكد كون وبار أرض الجن، إذ يقال (أهدى من دُعيميص الرمل) والدعيميص دويبة صغيرة، سمي بها عبدٌ أسود كان خريئاً، يزعم أنه لم يدخل أرض وبار غيره، فقام في الموسم، وقال:

فَمَنْ يُعْطِنِي تِسْعاً وَتِسْعِينَ بَكْرَةً هَجَاناً وَأدماً أَهْدِيهِ لُوْبَارِ (الطويل)

فقام رجل من مهرة، وأعطاه ما سأل، فلما توسطوا الرمل، طمست الجن عين دعيميص، فتحير، وهلك هو ومن معه، في تلك الرمال" (١٢١٧).

ومن الأدلة على تواجد الجن في المناطق المنخفضة، ما قاله النابغة الجعدي يصف حماراً وحشياً أثار بقره: (١٢١٨)

فَهَايَجَهَا حُمُشُ الْقَوَائِمِ سَابِحٌ رَعَى بِجَوَاءِ الْجِنِّ بِالصَّيْفِ أَشْهُرًا (١٢١٩)

ومن الأماكن الصحراوية التي ذكر فيها الجن منطقته يقال لها "رمل عالج"، وقيل إنها متصلة بوبار، وهي رملة بالبادية (١٢٢٠) وقد انعكس ذلك في تصرفاتهم؛ إذ ورد أن أحد الأعراب مر بهذا الموضع، وخاف جنّه، فأخذ يتوسل إليهم ألا يُرهِفوه، ويستجير بجنّ عالج، ويقول: (١٢٢١)

يَا جِنَّ أَجْزَاءِ اللَّوَى مِنْ عَالِجٍ عَادَ بِكُمْ سَارِي الظَّلَامِ الدَّالِجِ (الرجز)

لَا تُرْهِفُوهُ بَعْوِيَّ هَائِجٍ

1214 - () .

1215 - / - :

1216 - / / :

1217 - / / / :

1218 - :

1219 - :

1220 - / :

1221 - / :

نلاحظ اقتران ورود الجن بعزيفها، وهذا أمر طبيعي، فلا يمكن فصل الجن عن أصواتها، فأينما تحل لا بد أن تصدر أصواتا، وكذلك اقترانها بذكر ناقة الشاعر وجواده، وما ذاك إلا لأنه يعبر عن شجاعته وجرأته، وقدرته التي تميزه عن غيره، باستطاعته اجتياز هذه الفياقي، وأكثر مواطن الجن في نظر الجاهليين، هي الموحشة المظلمة ولقفار، وكلها أماكن رهيبية، تلقي الرعب في قلوب الناس.

المبحث الثاني

الجن والشجر

أثارت الأشجار العظيمة خيالات الإنسان القديم، ودخلت في وهمه، فأعجب بها، وأعزها وقدسها؛ إما خوفاً من ضخامتها، أو نتيجة لنفعها، وما يصاحب حياتها من غموض، لم يتوصل إلى سره، وتركت عزلة الأشجار العظيمة، وسكونها، وحقيقتها أثاراً عميقة في طبيعة البشر الحساسة، فأمنوا بوجود قوى روحية كامنة فيها؛ معتقدين بأنارها الخطيرة في حياتهم، فاتخذوا مواضعها حرماً آمناً، يتبركون بها، ويتقربون إليها بالندور، والقرابين مخافة الأذى^(١٢٢٢)، لا اعتقادهم أن أرواح الموتى من الأسلاف تحل بها، وقد كانت العادة الشائعة في الصين، أن تزين الأشجار التي تنمو فوق المقابر؛ لأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأرواح الموتى، ومن ثم ساد الاعتقاد "أن قطع الأشجار المسكونة سيؤدي إلى غضب الأرواح، بخروجها من مساكنها"^(١٢٢٣).

ومما يدل على أن الأشجار مأوى الجن والأرواح الشريرة، ما حدث مع مرداس والد عباس وحرب بن أمية، "إذ اتفقا على أن يصلحا غيضة مشجرة، فأضرما النار فيها، فلما استطارت، وعلا لهبها، سُمع من الغيضة أنين، وضجيج كبير، ثم ظهرت منها حياتٌ بيضٌ تطير، وقيل هربت تلك الكائنات الروحية، على شكل أفاع بيضاء"^(١٢٢٤)، ولم يلبث حرب ومرداس أن ماتا، وينسب إلى الجن، أنها قتلتها، وقالت فيهما شعراً^(١٢٢٥)، ومما يعزز كون الأشجار مأوى للجن

1222 -

1223 -

1224 -

1225 -

والشياطين، ويؤكد اعتقاد العرب أن الجن والقوى الغيبية تحل بالأشجار، وأن بإمكانها أن تلحق الضرر والأذى بهم، أنهم كانوا إذا ركب أحدهم مفازة، وخاف على نفسه من طوارق الليل، عمد إلى واد ذي شجر، فأناخ راحلته في قرارته، وعقلها، وخط عليها خطأ، ثم قال: (١٢٢٦)

هَيَا صَاحِبَ الشَّجَرَاءِ هَلْ أَنْتَ مَانِعِي فإِئِي ضَيِّفٌ نَازِلٌ بِفَنَائِكَا (١٢٢٧) (الطويل)
وَإِنَّكَ لِلجَّانِ فِي الأَرْضِ سَيِّدٌ وَمَثَلُكَ أَوَى فِي الظَّلامِ الصَّعَالِكَا

فالشاعر يستعطف سيّد الجن الذي يقيم في داخل الأشجار.

ومن الأشجار التي قدسها العرب، واعتقدوا أنها مسكونة من الجن، والملائكة تنزلها، حيث تسمع فيها راقصة أو مغنية، تلك التي تسمى (المناهل) وقد حرّموا قطع أغصانها، وكانوا يحجون إليها، ويتقربون إليها بالضحايا، ويعتقدون بقدرتها على شفائهم من الأمراض (١٢٢٨).

وقد سجل الشعراء الجاهليون هذه المعتقدات في أشعارهم، فهذا عنتر بن شداد، يؤكد

إقامة تلك الكائنات في غابات الشجر، بقوله (١٢٢٩): (الكامل)

والجِنُّ تُفَرِّقُ بَيْنَ غَابَاتِ الفَلا بِهِمَا هِمٌّ وَ دَمَائِمٌ لَمْ تُعْفَلُ

وليس أدلّ على ذلك من شجرة (العُشْر) التي حظيت بنظرة خاصة، وهي التي ظنت العرب "أنها مسكن الشياطين" (١٢٣٠)، إذ اعتقدوا أنّ الأرواح الشريرة، تستقر في بعض أنواع الشجر، "كالعشيرة التي تستوطنها" (١٢٣١)، ونسجت حولها الأساطير، وبلورت المعتقدات، فقد "جعلها العربي رقيباً أو حارساً على زوجته" (١٢٣٢)، وذكر أن رجلاً من العرب أراد سفراً، فأخذ يوصي امرأته، ويقول: إياك أن تفعلي، وإياك، فإني عاقف لك رتمة بشجرة، فإن أحدثت حدتاً انحلت، وقد

1226 -

1227 -

1228 -

1229 -

1230 -

1231 -

1232 -

سجل الشاعر ذلك بقوله: (١٢٣٣)

(البسيط)

خَانَتْهُ لَمَّا رَأَتْ شَيْبًا بِمَفْرَقِهِ وَغَرَّهُ حَلْفُهَا وَالْعَقْدُ لِلرَّتَمِ

وهذا يعكس اعتقاد العرب بقدرة هذه الشجرة، من خلال الشياطين التي تسكنها، على المحافظة على زوجته أثناء غيابه، ويستدلّ على تلك العلاقة، من خلال قول أحد الشعراء: (١٢٣٤) (الرجز)

فَانصَلَّتْ لِي مِثْلَ سِعْلَةِ الْعُشْرِ تَرُوحُ بِالْوَيْلِ وَتَعْدُو بِالْغَيْرِ

فالشاعر ينسب السعلاة إلى ذلك النوع من الشجر. ونلمح علاقة لغوية ومعنوية بين شجرة العشر والرابطة الزوجية؛ لأن العشير هو الزوج، كما في قول ساعد بن جبّابة: (١٢٣٥) (الطويل)

رَأَتْهُ عَلَى يَأْسٍ وَقَدْ شَابَ رَأْسُهَا وَحِينَ تَصْدَى لِلْهَوَانِ عَشِيرُهَا

ونجد في تسمية النوق العشار، ما يشير إلى تلك العلاقة، وبيان أثر هذه الأشجار في الخصب والحياة (١٢٣٦)، كما آمن العرب بأن حيوية الشجر والحجر، تطورت إلى صورة الجن والأرواح التي تسكنها، فأصبحت الأشجار والأحجار من بقايا تبركات تلك الأرواح (١٢٣٧)، ويؤكد تلك العلاقة أن بعض العرب تسمى باسم شجرة العشر، فبنو العشراء قوم من العرب، وذو العشيرة موضع بالصمان، ينسب إلى عشرة نابذة فيه (١٢٣٨)، وهذا يدل على إيمان بعض المؤلفين بطوطمية كل من الشجر، والحيوان والجن.

وقد أورد الجاحظ قصة على لسان ابن الأعرابي، تؤكد علاقة هذه الشجرة بالجن، فحواها "أنّ أعرابية واعدت أعرابياً أن يأتيها، فكمن في عشرة كانت بقربهم، فنظر الزوج، فرأى

1233 - / / - /

1234 - /

1235 - /

1236 - -

1237 -

1238 - () .

شبحاً في العُشرة، وقال (لامرأته) "يا هنتاه"، إنَّ إنساناً ليظالعا من العُشرة، قالت: مه يا شيخ، ذاك جان العُشرة، إليك عني، وعن ولدي، قال الشيخ: وعني - يرحمك الله- قالت: "وعن أبيهم، إن هو غطى رأسه ورقد" (١٢٣٩). وكانوا يعتقدون أن شجرة الحماطة، هي الشجرة التي تأوي إليها الشياطين والحيات، إذ جاء في المثل العربي "ما هو إلا شيطان الحماطة" (١٢٤٠)، ويؤكد تلك العلاقة قول الشاعر: (١٢٤١)

عَجْرُدٌ تَحْلِفُ حِينَ أَحْلَفُ كَمِثْلِ شَيْطَانِ الْحَمَاطِ أَعْرِفُ

ويقول طرفة بن العبد موضحاً تلك العلاقة: (١٢٤٢) (الطويل)

ثَلَاعِبٌ مَنَى حَضْرَمِيَّ كَأَنَّهُ تَعَمَّجُ شَيْطَانُ بَدِي خُرُوعَ قَفْرِ

ومن الأشجار التي لها علاقة بتلك الكائنات، شجرة السمرة التي "أطلقوا عليها أم غيلان" (١٢٤٣)، "تلك الشجرة التي تعد شجرة العزى، والتي خرجت منها شيطانة بصورة منفرة" (١٢٤٤)

ويؤكد علاقة الجن بالأشجار، ما ذكره عن (وبار)، "أنها أخصب بلاد الله، وأكثرها شجراً، وأطيبها ثمراً، وأكثرها حباً وعنباً، وأكثرها نخلاً وموزاً، فإذا دنا منها إنسان متعمداً، أو غالطاً حثوا في وجهه التراب، فإن أبي الرجوع، خبلوه، وربما قتلوه" (١٢٤٥).

نخلص من ذلك إلى أن الإنسان الجاهلي كان متفاعلاً مع الطبيعة تفاعلاً قسرياً، يرى الظواهر الطبيعية، والمخلوقات المختلفة، فيتأملها من خلال حركاتها وتكويناتها، محاولاً الوصول إلى تفسير، وإجابات يقتنع بها، مما دفعه إلى استخدام عقله في نسج الأساطير، فأملى

-	/	-	1239
	/		1240
	()		1241
	:		1242
	.		1243
	.		1244
	- /	/	1245

عليه ذلك أن يزعم أن كل حركة تصدر مما حوله، لا بد أن يكون وراءها أيادٍ خفية، فنسبها إلى الجن والأرواح، وأن الشجرة من الأشياء المقدسة.

كَأَنَّ هَزِيرَ الرِّيحِ بَيْنَ فُرُوجِهِ عَوَازِفُ جِنِّ زُرْنٍ حَيًّا بَعِيْنَهُمَا

ويؤكد علاقة الجن بالجبال، ما وَرَدَ عن جبلي "سيلان وكوكبان"، "حيث كانت الجن في الأول تقوم بحماية البيئة، أمّا الثاني ففيه قصران محكما الصنع، قواعدهما من الصخر المنحوت، من أروع ما يكون، من بناء الجن، أي أن الجبلين مسكونان بالجن"^(١٢٥٢)، وقد أشار كعب بن زهير إلى تلك العلاقة، بقوله: (١٢٥٣)

(البسيط)

حَتَّى سَقَى اللَّيْلُ سَقِي الْجِنِّ فَانْغَمَسَتْ فِي جَوْزِهِ إِذَا دَجَا الْأَكَامُ وَالْقُورُ^(١٢٥٤)

غَطَّى النَّشَازَ مَعَ الْأَكَامِ فَاشْتَبَّهَا كِلَاهُمَا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مَعْمُورُ

فكل ما في الأبيات، يؤكد إقامة الجن في الجبال والمرتفعات، وهذا ما دفع الإنسان الجاهلي إلى النظر إلى الجبال نظرة خوف ورهبة، ولا سيّما أنها تعدّ واسطة، تربط العالم العلوي، بما فيه الجن والآلهة والشياطين بالعالم السفلي، كما رأوا فيها مكان استراق السمع، وإلقائه على مسامع الكهنة؛ لقربها من العرش السماوي. (١٢٥٥)

ومن أشهر الجبال التي عُدَّت مقرّاً لشياطين الشعراء، جبل عبقر ذلك الجبل الذي اختلف الرواة في تحديد موقعه، فقالوا: موضعٌ بالبادية كثير الجن، ويقال في المثل "كأنهم جنّة عبقر" (١٢٥٦)

وزعم بعض العرب أنه بلد الجن، ونسبوا إليه كلّ شيء عجيب^(١٢٥٧)، وقيل إنه اسم جبل بالجزيرة، كان يصنع به الوشي، ويُنسب إليه كلّ شيء جديد^(١٢٥٨)، وقد جعله ياقوت موضعين،

- 1252

- 1253

- 1254

- 1255

- 1256

- 1257

"أحدهما بنواحي اليمامة، والأخر كان يسكنه الجن، ولم يعين موضعه"^(١٢٥٩)، وهذا الاضطراب في محاولة معرفة أصول كلمة عبقر، مردود إلى تلك القوة التي أحيطت بها الكلمة، حتى دخلت الإطار الكوني^(١٢٦٠)، وهذا ما نلمحه في أشعار الجاهليين، فهذا زهير بن أبي سلمى يذكر جن عبقر مشبهاً بهم في مجال فخره بعشيرته وشجاعتهم، يقول: ^(١٢٦١)

إذا فزَعُوا طَارُوا إِلَى مُسْتَعْيِبِهِمْ طَوَالَ الرَّمَاحِ لِأَضِعَافٍ وَلَا عَزْلُ (الطويل)

بَخِيلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا

ويكرر حاتم الطائي الصورة إياها؛ فيشبهه الفتيان الأقوياء على الخيل بجن عبقر، ويقول: ^(١٢٦٢)

عَلَيْهِنَّ فِتْيَانٌ كَجِبَّةِ عَبْقَرٍ يَهْزُونَ بِالْأَيْدِي الْوَشِيحَ الْمُقُومًا (الطويل)

ويماتلهم لبيد بن ربيعة، بقوله: ^(١٢٦٣) (الطويل)

وَمَنْ قَادَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ وَبَنِيهِمْ كُهُولٌ وَشَبَابٌ كَجِبَّةِ عَبْقَرٍ

وتلتقي دلالة الكلمة في هذه المواضع، مع ما قاله أبو البقاء "كلُّ جليل نفيس فاخر من الرجال، والنساء وغيرهم عند العرب عبقري"^(١٢٦٤)، وذكرت الكلمة وصفاً للنفاسة في القرآن الكريم؛ إذ يقول ربُّ العزّة في وصف نعيم أهل الجنّة "مَتَكِينٍ عَلَى مَرْفَعٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حَسَانٍ"^(١٢٦٥)، وهكذا توافقت بداهة البشر، على علاقة كلِّ بالغ من الأقوال، والأعمال، بتلك الخلائق المستترة، التي لا تحدّها نقائص اللحم والدم، فكانت الصناعات الفائقة تنسب إلى عبقر إذ

- 1258 . /

- 1259 . /

- 1260

- 1261 . / :

- 1262 . /

- 1263 . :

- 1264

- 1265

نسب امرؤ القيس إليها صناعة السيوف^(١٢٦٦)، وتمائل قوله مع ما ورد عن طرفة بن العبد إذ يقول: (١٢٦٧)

عَالَيْنَ رَقْمًا فَاحِرًا لَوْنُهُ، مِنْ عَبْقَرِيٍّ، كَنَجِيعِ الدَّبِيحِ (الخفيف)

ومع قول عبيد بن الأبرص: (١٢٦٨)

لِلْعَبْقَرِيِّ عَلَيْهَا إِذْ غَدَا صَبِيحٌ، كَأَنَّهَا مِنْ نَجِيعِ الْجَوْفِ مَدْمَوْمَةٌ^(١٢٦٩) (البسيط).

ولم يقتصر الأمر على نسبة هذه الأمور إلى الجن؛ فالنابغة الجعدي ينبهر بجمال الطبيعة الذي يقوده إلى وصف جمال الروض، وتشبيهه ببساط مُخْمَلِيٍّ ملون من صنع الجن، فيقول: (١٢٧٠)

بِمَرْجٍ كَسَا الْفُرْيَانَ ظَاهِرًا لِنِطِهَا حِسَادًا مِنْ الْفُرَاصِ أَحْوَى وَأَصْفَرًا^(١٢٧١)

(الطويل)

إِذَا هَبَطَا غَيْثًا كَأَنَّ جِمَادَهُ مُجَلَّلَةٌ مِنْهَا زُرَابِيٌّ عَبْقَرًا

فتكرار الصورة وتمائلها، يُثَبِّتُ أَنَّ الْجِنَّ الَّذِينَ يَنْتَمُونَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ مَتَمَيِّزُونَ.

ولم يختلف معنى كلمة عبقرِيٍّ، عند غير العرب، فهي عند الأوروبيين منسوبة إلى الجنِّ، ومعناها صاحبُ الجنَّةِ أو الشبيه بالجنَّةِ في القدرة، والتفوق كائنًا ما كان العمل الذي يتفوق فيه^(١٢٧٢)، كما عبّر الإنجليز عن العبقرية بكلمة "Genius" ومعناها جن^(١٢٧٣)، مما يؤكد أنَّ العلاقة بين العبقرية والجن في اللغة الإنجليزية، كالعلاقة بين عبقر والعبقرية في اللغة العربية.

1266 -

1267 -

1268 -

1269 -

1270 -

1271 -

1272 -

ونجد في طقوس الاستسقاء ما يشير إلى العلاقة بين الجنّ والجبال "إذ كان الاعتقاد الشائع أنّ القوى الغيبية، هي المسيطرة على مجريات الحياة، بما في ذلك المطر، وفي سبيل الحصول عليه، يجب إرضاء تلك القوى، عن طريق التوسّل والتضرّع والتذلل، والتعاويد والسحر، وتقديم القرابين، والصلوات لها"^(١٢٧٤)، "فقد كانوا يصعدون بقرابينهم في جبل وعرّ، ويشعلون فيها النار"^(١٢٧٥)، فلماذا الجبال بالذات؟ وما علاقتها؟ لولا اعتقادهم أنّ فيها القوى الخفية القادرة على جلب الخير لهم وإحراق الأذى بهم، والتي تتحكم في سقوط المطر، فقد ذكرت المصادر أن العرب كانوا "إذا أصابهم قحط، صعدوا إلى أبي قبيس للاستسقاء"^(١٢٧٦)، ذلك الجبل الذي "يرَوْن فيه قوة سحرية، قادرة على إزالة أوجاع الرأس"^(١٢٧٧)، وقد جاء في تفسير تسمية أبي قبيس بهذا الاسم، ما يشير إلى أن الجبال، مأوى للجنّ والأرواح. وذلك يعود "إلى اختفاء رجل أسمه (قبيس بن سراج) وانقطاع ذكره، هناك، وقيل إنه- استقرّ في الجبل، وأنّ روحه تحولت إلى أشباح وأطياف تجول هناك"^(١٢٧٨)، وقد نظرو إلى الجبال على أنها ترمز إلى الأم الكبرى عشتار التي تمنح القلوب الحياة، فحاول الإنسان الهروب إليها؛ كي ترد الموت عنه، ويتجسد ذلك في حكاية لقمان ونسوره التي اتخذت الجبال مقراً لها؛ فهذا أمية بن أبي الصلت يتمنى لو كان يرعى الوعول في الجبال؛ لينال الخلود، بقوله: ^(١٢٧٩)

(الخفيف) لِيَتْنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي قِنَانِ الْجِبَالِ أُرْعَى

الوُعُولَا

فاجْعَلْ المَوْتَ نَصَبَ عَيْنِيكَ واحْذِرْ غُولةَ الدَّهْرِ إِنَّ الدَّهْرَ غُولا

فهو يؤمن بأن في الجبال قوة خفية تمنح الحياة، إلا أن ذلك لا يستطيع رد الموت عنه.

- 1273

- 1274

- 1275

- 1276

- 1277

- 1278

- 1279

ومن الجبال التي لها علاقة بالاستسقاء، جبل في المزدلفة يُسمى فُزْحاً، وهو اسم شيطان، وقيل ملك موكلٌ بالسُّحْب، وقد نهى الإسلام عن إضافة قوس إلى فُزْح، كما أوردَ ياقوت، قول ابن عباس: "لا تقولوا قوس قزح، فإن قزح، اسم شيطان، ولكن قولوا قوس الله" (١٢٨٠)، وكان لهذا المكان علاقة بالاستسقاء؛ لأن هناك ارتباطاً وعلاقة في الاسم بين فُزْح وقوس قزح والسُّحْب الناجم عنها المطر. كما أنّ "فُزاح" اسم صنم، قد يكون له صلة بهذا الموضوع (١٢٨١).

وتعكس قصص وأخبار الشعراء، واستلهم الشعر من قوى خفية، نظرة الجاهليين إلى الجبال، على أنها مأوى للجن والشياطين. إذ ذكروا أنّ الشاعر كان إذا خائته قريحته، وصَعِب عليه الشعر، يركب ناقته، ويطوف خالياً منفرداً وحده في شعاب الجبال، وبطون الأودية، والأماكن الخربة الخالية فيعطيه، الكلام قياده (١٢٨٢).

ولا عجب في ذلك، فقد لجأ كثير من الأنبياء والكهنة والعرافين إلى الجبال، واعتكفوا فيها، وما ذاك، إلا لأنها تمثل مصدر الوحي والإلهام (١٢٨٣)، وقد أطلق بعض الشعراء لفظة (كور) التي "تعني العالم الأسفل عند السومريين على الجبال" (١٢٨٤)، مما يؤكد علاقتها بتلك الأرواح، ويبدو ذلك في قول عامر بن الطفيل: (١٢٨٥)

(الطويل)

وَبِالْكُورِ إِذْ ثَابَتْ حَلَانِبُ جَعْفَرٍ إِلَيْكُمْ وَجَاءَتْ خَنْعَمٌ لِلتَّحَاشُدِ (١٢٨٦)

فهو يُقيمُ بها؛ لما لها من مكانة في نفسه؛ وما ذاك إلا لما تشتمل عليه من أرواح.

1280

1281

1282

1283

1284

1285

1286

المبحث الرابع

الجن والآبار والأودية

رغم تكامل الصورة الإلهية في مخيلة الجاهلي، إلا أن المحسوسات الطبيعية، كالأشجار والآبار والكهوف والحجارة، بقيت مقدسة، وما ذاك، إلا لأنها تعتبر وسائط يتقرب بها العابد إلى المعبود^(١٢٨٧)، ولأن هناك قوى خفية تحلّ فيها، وتسيطر عليها، فأخذوا يمارسون إزاءها طقوساً من التذللّ والخضوع والاستعطاف، والسحر والشعوذة، من أجل السيطرة عليها، ومن ثم إخضاعها للإرادة الإنسانية؛ لأنهم نظروا إلى الظواهر الكونية، وكأنها تجارب إنسانية، يمكن تغييرها والسيطرة عليها، خاصة وأن أرواح الأجداد، قد حلت في مظاهرها الطبيعية، واستقرت فيها، ومن ثم يمكن أن تستجيب للدعاء، والتوسل والسحر^(١٢٨٨).

وهكذا تصور القدماء "أن لبعض الآبار ربّاً يحميها، مما قادهم إلى تقديس مواطن الماء القديمة، فأضفوا عليها من القوى الخفية، ما لم يصفوه على غيرها من الأماكن، واعتقدوا أن فيها أسراراً غامضة"^(١٢٨٩)، وقد يكون هذا هو السبب الذي دفع الجاهليين "إلى نصب بعض أنصابهم، على أماكن المياه، كنصب (هبل) على بئر في جوف الكعبة و (إسافٍ ونائلة) على موضع زمزم"^(١٢٩٠).

وقد مارس الجاهليون عدة طقوس، تؤكد هذه المعتقدات، أشهرها "أنهم كانوا إذا غمّ أمر الغائب، جاءوا إلى بئر قديمة، بعيدة الغور، ونادوا يا فلان، أو أبا فلان ثلاث مرات، فإن كان ميتاً، لم يسمعوا - في اعتقادهم - صوتاً"^(١٢٩١)، وهذا ما نلمحه في قول أحد الشعراء: ^(١٢٩٢)

دَعَوْتُ أبا المَعْوَارِ فِي قَعْرِ سَاجٍ بَعَادِي البِيَارِ فَمَا أَجَابَا (الطويل)

- 1287

- 1288

- 1289

- 1290

- 1291

- 1292

أُظُنُّ أبا المِعْوَارِ فِي قَعْرِ مُظْلَمٍ تَجْرُ عَلَيْهِ الدَّارِيَاتُ السَّوَاقِيَا

وقول آخر (١٢٩٣): (الوافر)

وَكَمْ نَادَيْتُهُ فِي قَعْرِ سَاحِجٍ بَعَادٍ فِي البُنَّارِ فَمَا أَجَابَا

مما يؤكد قدرة الشاعر الجاهلي على عكس اللاوعي الجمعي.

ونجد في قصص وحكايات الجاهليين ما يؤكد وجود علاقة بين الماء والجن، ومن ذلك ما حدث مع مالك بن حريم الدلاني وجماعته والشجاع، حين خرج للصيد، فأرشدهم إلى عين ماء غزيرة، سقوا منها إبلهم، وتزودوا، ولم يروا أثراً للعين، بعد قضاء حاجتهم (١٢٩٤).

ومن تلك الحوادث ما حدث مع عبد المطلب، إذ أتاه آتٍ يُحَدِّثُهُ فِي صِيغَةٍ، أَشْبَهَ مَا تَكُونُ بِكَلَامِ الكَهَانَ، يَأْمُرُهُ بِحَفْرِ زَمَزَمَ، وَيَسْمِيهَا بَعْدَ أَسمَاءَ، وَيُرْشِدُهُ إِلَى مَوْضِعِهَا، وَالآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا، فيقول: (١٢٩٥)

يَا أَيُّهَا المُدْلِجُ احْفَرِ زَمَزَمَ إِنَّكَ إِنْ حَفَرْتَهَا لَمْ تَنَدَمْ (الرجز)

فتمائل الصورة في أذهان الجاهليين، وتكرارهم لعبارة "نعوذ بسيد الوادي"، تشير إلى أنهم، كانوا يخافون من الوديان خاصة؛ لما قد تلحق فيهم من المهالك، فقد نسبوا ذلك إلى فعل الجن، وقيل "إن رجلاً استعاذ منهم، ومعه ولد، فأكله الأسد، فقال معبراً عن ذلك في شعره" (١٢٩٦)

وبناء على هذا حرم العرب القدماء السير والعمل في أماكن شاسعة؛ اعتقاداً منهم أن هذه الأماكن هي موطن الأسلاف من الجن "أهمها وادي برهوت، وبيبرين وصهين، وهي أماكن تواجد قبائل عاد وطسم وجديس وجرهم والعماليق" (١٢٩٧)، ومن الأودية التي ورد ذكرها وادي

1293 -

/

1294 -

/

1295 -

/

1296 -

/

/

1297 -

:

"تُبل" وهو من الأماكن التي يكثر فيها الجن، بدليل ما حدث مع عبيد بن الحمارس والقنفذ^(١٢٩٨)،
ويتضح ذلك من خلال قول الشنفرى : (١٢٩٩)

وَوَادٍ بَعِيدٍ الْعُمُقِ ضَنْكِ جُمَاعُهُ بَوَاطِنُهُ لِلجِنِّ وَالْأَسَدِ مَأْلَفُ (الطويل)

ونلاحظ ذلك في قول جذع بن سنان: (١٣٠٠)

نَزَلْتُ بِشَعْبِ وَادِي الجِنِّ لَمَّا رَأَيْتُ اللَّيْلَ مُنْتَشِرَ الجَنَاحِ (الوافر).

فهو يتحدث عن جرأته وشجاعته التي دفعته إلى اقتحام وادي الجن، المكان الذي يوحى
بالرهبة، وقد ورد "أن واد النمل واد تسكنه الجن، وأن النمل من مطايا الجن، ولكن لا أثر
له"^(١٣٠١)، ويقول الجزائري "إن النملة التي كلمت سيدنا سليمان، كانت من قبيلة، يقال لها بنو
الشیطان، وكانت عرجاء بقدر حجم الذئب"^(١٣٠٢).

وتعكس قصة إخبار الجن بموت ابن جُدعان هذه المعتقدات، إذ ورد في بعض القصص
"أن أباهالة" كان قد خرج في غير لقريش، يريد الشام، فنزل وادياً يقال له (غز) وانتبه آخر
الليل، فإذا شيخ قائم على صخرة، ينشد شعراً في رثاء ابن جُدعان، وكان ذلك الشيخ جاثماً من
الجن، وجرت محاوره شعرية بينهما"^(١٣٠٣).

وإذا عدنا إلى أساطير الأمم القديمة، وجدنا أن الحية باعتبارها شيطانياً، وجدت حيث وجد الماء،
فهي حارسة الينابيع، وعيون الماء^(١٣٠٤)، كما "كان مسكنها في جنة المأوى، على شاطئ نهر
الكوتر"^(١٣٠٥).

1298	-	/	.
1299	-	:	.
1300	-	/ :	.
1301	-	:	.
1302	-	.	.
1303	-	/	.
1304	-	:	.
1305	-	:	.

ونخلص من ذلك إلى أن الجن كائنات كانت تعيش في خيال الإنسان، تهدده أينما ذهب، وينتهي له أنها تعاكسه وتلاحقه، وأنها تفضل الأماكن المهجورة، وترتبط بالرهبة والخوف في الذهن العربي، و أن مساكنها تشبه مساكن السباع التي كانت العرب تخافها، فكل شيء مخيف أو صوت غريب كان متعلقاً بالجن في بادية العرب".

الفصل السادس

أبعاد صورة الجن ودلالاتها في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: البعد الميثولوجي

المبحث الثاني: البعد الاجتماعي

المبحث الثالث: البعد النفسي

تمهيد

تعتبر الصورة الشعرية عنصراً أساسياً في بناء الشعر، إذ لا يمكن أن يكون هناك شعر بمعزل عنها " فالصورة ليست شيئاً جديداً، والشعر العربي قائم على الصورة منذ أن وجد" (١٣٠٦)، ولا نستطيع تصور العمل الفني مجرداً من هذا العنصر، أو قائماً على غير هذا الأساس.

ويؤكد الجاحظ تلك العلاقة بقوله: " إنما الشعر صناعة، وضربٌ من النسيج، وجنسٌ من التصوير" (١٣٠٧).

نلاحظ أن الصورة أساس الشعر، بل هي الشعر نفسه، ورغم مكانتها وأهميتها إلا أنها " تُعدُّ من أكثر المصطلحات غموضاً في الشعر العربي، وذلك بسبب الخلط بين الأدب العربي الموروث، والنقد الأدبي الذي يدين في الغالب إلى الفكر والأدب الغربيين" (١٣٠٨)، فقد تعددت دلالات الصورة الشعرية، ومصطلحاتها وأنواعها، وكان لكل باحث أو دارس تقسيمه الخاص به، حسب انتمائه الفكري، أو حتى ليحسَّ القارئ، وهو يجول بين هذه الدراسات والمباحث، أن أمر التسميات قد أفلت من قبضة الضوابط والمقاييس، فهناك الصورة الحسيّة، والصورة الذهنية والجزئية والكلية (١٣٠٩).

وقد تميز في تاريخ تطور مصطلح الصورة الفنية مفهومان: "قديم يقف عند حدود الصورة البلاغية في التشبيه والمجاز، وحديث يَضمُّ إلى الصورة البلاغية، نوعين آخرين، هما: الصورة الذهنية، والصورة باعتبارها رمزاً" (١٣١٠)، فلم تُعدَّ الصورة البلاغية هي وحدها المقصودة بالمصطلح.

إلا أن الصورة الفنية في رأي خليل عودة "تجمع بين هذين المفهومين، فهو لا يرى

1306 - - - : (.)

1307 - /

1308 - - - :

1309 - - - :

1310 - - - :

فاصلاً، يفصل التشبيه والمجاز عن الصورة الذهنية، أو ذات المشاعر، ولا يقيس الصورة قياساً حرفياً، كما فعل القدماء؛ لأن ذلك يقضي على طاقاتها الإبداعية، ويضُرُّ بها"^(١٣١١).

ويرى علي البطل في حديثه عن الصورة الفنية، أنَّ المفهوم الحديث لمصطلح الصورة، تأثر بالدراسات السيكلوجية التي فتح فرويد آفاقها، بمباحثة عن العقل الباطني، وذلك المنبع الذي جعله السرياليون مصدر فيض صورهم الشعرية، ويعتبر تحديد الصورة الشعرية رمزاً مصدره اللاشعور، انعطافاً مهماً في فهمها، أضيف إليه فيما بعد فكرة يونج عن النماذج العليا، فتوجه اهتمامُ الدارسين نحو التشكيل اللغوي للصورة، ومنابعها الموعلة في أعماق الميراث الحضاري للذهن الإنساني^(١٣١٢).

فالقديما وقفوا عند قضايا شكلية، وعلاقات حرفية، تخصُّ الصورة دون الالتفات إلى جوهرها، وما تعكسه من تجارب وخبرات، تخص ذات مبدعها، فقد عيب على القدماء "أنَّ حرصهم على التشابه الخارجي في بعض صفات الصورة، لم يكن يواكبه إحساس بنفس الدرجة من الحرص على دلالتها النفسية، مع إنها الأهم في مضمون الصورة بوجه عام"^(١٣١٣).

"وتعتبر اللغة إحدى الوسائل التي يملكها الشاعر، إذ يحاول الشاعر أن يقترب باللغة من روحها البدائية، وكلما قُرُبت اللغة من وضعها البدائي، كانت تصويرية"^(١٣١٤)، فالأدب يقدم المعرفة، والتجربة الإنسانية، بوسيلة خاصة "هي اللغة بعد أن ينقلها الفنان من بعدها الإشاري التقريبي، إلى بعد أعمق؛ لتعبر بالصورة والرمز"^(١٣١٥)، "والكلمة الشعرية، قطاع في بناء القصيدة الشعرية، لأن عملية الإبداع الشعري، تتمثل أقوى ما تتمثل في إبداع اللغة"^(١٣١٦).

1311 -

1312 -

1313 -

1314 -

1315 -

1316 -

(.)

والدارس للشعر الجاهلي، يلاحظ غلبة الصورة على وسائل التعبير اللغوي، والفني فيه، فرغم عدم فهم القدماء للصورة، إلا أنهم استخدموها في أشعارهم، فما ينبغي علينا إلا أن ندرس أشعارهم دراسة نقدية جديدة، وفق أسس ومعايير جديدة؛ لنبعث الحياة في ثناياها، ونكشف ما فيها من طاقات إبداعية.

والحديث عن الصورة في الشعر الجاهلي "هو دراسة موضوعية وفنية، غايتها الكشف عن أصول هذه الصور، وفهمها فهماً صحيحاً، وبيان وسائل الشعراء الفنية في ملاحظة العلاقات المختلفة، التي تربط بين أطرافها المتناقضة، وخلق هذه العلاقات أحياناً، وتحويرها بما يجعل فيها على الرغم من النمطية، والتكرار صوراً فنية متجددة، ومتنوعة الرموز والإشارات"^(١٣١٧).

وقد ربط (نصرت عبد الرحمن) بين معتقد الجاهلي وشعره، إذ يرى أن معرفة معتقد الشاعر، هي السبيل لكشف شعره؛ "لأن الشعر رمز يلتقي فيه الباطن بالخارج، فيلون الباطن الخارج بألوانه، والشاعر الجاهلي، وثني ينظر إلى الأشياء نظرة تساق معقده، فيعكسها في صورته"^(١٣١٨)، وقد رسم صورته "من خلال تأثره بالموروث القديم، ذلك الموروث الذي يعج بالقصص والأساطير، فوظف هذا الموروث في قصائده؛ ولا بد لفهم هذا الشعر من معرفة الأساس الذي يرتكز عليه الشاعر الجاهلي، والخلفية التي ينطلق منها.

وسنحاول في الصفحات القادمة التعرف على عناصر الصورة الفنية وأهميتها، فيما ورد في الأشعار التي تتعلق بالجن، وتبين علاقة ذلك بقضايا الشاعر وأحاسيسه، ومواقفه من الحياة والناس من حوله، ومدى اهتمام الشاعر الجاهلي بالتعبير الرمزي.

- 1317

- 1318

المبحث الأول

البعد الميثولوجي

التراث الجاهلي عالم خصب وثري، وهو جزء من علاقة الجاهليين بعالم الغيب، نستطيع أن نجد فيه من الرموز إلى قوى الطبيعة، ونوازع النفس الإنسانية، ما نجده في بعض أساطير الأمم الأخرى، والشعر العربي وثيق الصلة بالأسطورة^(١٣١٩)، والشاعر رجل يبدع الأساطير، لأنه ملهم أو ممسوس؛ أي أنه ليس في حالته الذهنية الطبيعية، وإنما يتلقى أصواتاً، كانت تبدو للأولين منزلة من السماء^(١٣٢٠)، والشعر الجاهلي سجلٌ دقيق حافل بتاريخ العرب السياسي، والديني والاجتماعي، فهو يقوم مقام الآثار عند قدماء المصريين واليونانيين وغيرهم من الأمم القديمة، في أعطاننا صوراً مفصلة، لألوان الحياة العربية الجاهلية^(١٣٢١).

وإذا حاولنا استقراء صورة الجن في الشعر الجاهلي، فإننا بلا شك، نجد أن صورته المتعددة جاءت مستمدة من بيئة الشاعر، مرتبطة بحياتهم في حالتي السلم والحرب، تكشف عن كثير من القضايا الدينية والأسطورية الموغلة في القدم، والتي تفسرها الطقوس الشعائرية في العقلية القديمة^(١٣٢٢) وقد كان الإنسان البدائي يتصرف لحلّ قضايا الوجودية، بدوافعه الروحية أكثر من وعيه العقلي المجرد، "والعقلية الجاهلية ذات الطابع البدائي، في مواجهتها لظواهر الكون، ومشكلات الحياة، كانت تحقق النظرة الأسطورية التي ترى الأرواح حالة في كل مكان، ومتلبسة في كل جماد"^(١٣٢٣)، إذ كان إحساس الإنسان بالمجهول حوله، يعطيه وعياً غير واضح، ويجعله يجسّم أخطار هذا المجهول، عن طريق خلق فكرة الوحوش الخرافية، والآلهة الشريرة، والشياطين والجان؛ فإن ذلك يقوده إلى ترجمة شعوره بالمجهول المهدد، إلى مثل هذه الكائنات الخرافية؛ لتأخذ به عبر الشعر إلى ميثولوجيا السلوك الفردوسي نفسه، حتى يتمّ التطابق الحتمي

- 1319

- 1320

- 1321

- 1322

- 1323

بين مستوى الحسّ البطولي على أرضية الواقع، ومستوى الميثولوجيات ذات النزعة التراجيدية^(١٣٢٤).

وقد تعددت الصور التي استقاها الشاعر الجاهلي من ذلك العالم الخفيّ والمجهول، فجاءت تعكس رؤية الإنسان الجاهلي بشكل عام إلى تلك الكائنات، وما اختزنه في اللاشعور الجمعي من موروث فكري قديم؛ لأنه إذا أراد أن يصف طبيعة المرأة، وتقلبها في تصرفاتها ومشاعرها، يعمد إلى الغول؛ لما عرّفه عنه من التلون والتقلب^(١٣٢٥).

كما عمد معظم الشعراء الجاهليين إلى تشبيه المرأة بالغول؛ ليقرب صورة المرأة، وما عرّف عنها من الدّهاء والمكر، وربّما من النفاق، لأن الخيتعور الذي شبّهت به المرأة هو الغول^(١٣٢٦)، وامرأة خيتعور لا يدوم حبّها، وقيل إنّه "السراب الذي لا يلبث أن يضمحل"^(١٣٢٧)، وكلاهما يعكس صورة الأم الكبرى التي ظهرت بصورة شيطانة، تمتلك وجهين متناقضين، أحدهما يشير إلى الحب والجمال، والأخر يشير إلى الموت والدمار^(١٣٢٨)، وربّما كان هذا هو الدافع الذي دفع الشاعر إلى الجمع بين المرأة والحب والغول في بيت واحد^(١٣٢٩)، وكأنّه يستعيد أيضاً صورة العزى التي بدت بعدة أشكال، تكاد تكون متناقضة، وصورة "الليليث" السومرية التي تجسّدت بصور مختلفة، وهي الجنيّة أو الغولة أو الساحرة العجوز، كما أنها ربة الحكمة ومصدر الإلهام؛ فكلّ هذه الصور تلتقي مع طبيعة المرأة والغول.

أمّا بالنسبة للدور الذي تلعبه المرأة، وتبدو فيه كالغول، وتظهر فيه الرموز الدينية والأسطورية، فقد تردت تلك العلاقة إلى العهد الفردوسي الأول، الذي بدت فيه حواء، وهي رمز الشيطانة "ليليث"، كما مثلت "نموذجاً إنسانياً مصغراً لـ عشتار، سيدة الحياة، الأم المتغيرة، آلهة الشر والموت التي تلد توأمين وهما في صراع دائم لا ينتهي الابن الأبيض والأسود، الأول سيد

1324	-	:	.
1325	-	:	/
1326	-	:	/
1327	-	:	/
1328	-	:	-
1329	-	:	/

الحياة، والثاني سيد الموت^(١٣٣٠)، فقد ولدت هابيل وقابيل، فكان أحدهما إلهاً للشتر، والآخر إلهاً للخير.

وهكذا فعل الشاعر الجاهلي، إذ ربط المرأة بالحبّ الذي يُعدُّ سببَ الحياة والخصب، وبالشيطان الذي يعدُّ عدوَّ الحياة، وإله الموت والدمار، مستمداً صورته من موروثه ومعتقداته، متذكراً ما لحق بآدم وذريته من متاعب والأم بسببها، إذ كانت حواء "ليليث" التي اتخذها إبليس وسيلة لتحقيق مآربه، فوسوس إليها، ثم استطاعت إغراء آدم "عليه السلام"، فمعظم الروايات والأساطير تلتقي حول تحميل المرأة مسؤولية السقوط المتمثلة بعصيان الأمر الإلهي، حين خدعتها الحيّة أو إبليس متذكراً بها، فهي السبب في كل ما حصل له، وهذا ما أشار إليه الشاعر الجاهلي عدي بن زيد، إذ بين أن حواء كانت سبب الشقاء، وسبب الحياة، والخصوبة التي تجسدت بعد هبوطها^(١٣٣١).

وتتكرر هذه الأسطورة، وتلعب حواء الدور نفسه، تحت اسم "الزهرة" التي وصفت بالجمال، وبالحسن والبهجة، ونسب إليها اللهو والطرب والسرور، إلا أنها تسحر الرجال، بما تملكه من جمال، وتسبب الفرقة بين المحبين في الوقت نفسه، فهي عشتار الثانية، وهي حواء الأولى، إذ ظهرت بصورة مغايرة من حيث الزمان والمكان، والسبب في الإغراء، أغرت الملكين.. ثم عوقبت على فعلتها، كما عوقبت حواء بمتاعب الولادة والحمل... ويتجسد ذلك أيضاً في محاولة عشتار إغراء جلجامش، فكانت النتيجة واحدة؛ وهي صعود عشتار إلى السماء، وارتقاؤها عرش الملوكية ممثلة في الزهرة^(١٣٣٢)، فالزمان يعيد نفسه، وجلجامش هو آدم "عليه السلام"، وعشتار هي حواء والزهرة بصورة معاكسة، لأنها التي غيّرت مجرى حياة البشرية جمعاء.

وها هو الشاعر الجاهلي (جران العود) يعكس تلك النظرة، ويصور حذر الإنسان من إغراء المرأة وسحرها، ممّا يدلّ على وعيه الثقافي والفكري، لما يختزنه في لا شعوره..

- 1330

- 1331

- 1332

إذ صَوَّرَ ذلك جامعاً بين الغول والسعلاة، مشبِّهاً بهما زوجته،^(١٣٣٣) وعمد إلى ذلك معتمداً على التشبيه الوهمي والمعنوي، ليعكس الأثر المادي والمعنوي الذي يتركه في نفسه وجسده، حتى يضطر أن يتركهما مفضلاً الحياة مع الجن على الحياة معهما^(١٣٣٤)، مستعيداً بذلك القصة إياها.

فهو يبني صورته على أصول عقديّة فكرية قديمة، مما يؤكد اعتماد الشعراء على قوة مَخَيَلَةٍ مستمدة من موروث فكري قديم، لأن الحياة الجاهلية، تعبر عن المعتقدات الأسطورية والخرافية، وعالم الصحراء كان يعجّ بهذه الكائنات، وتلك القوى الخفية التي دخلت في أوهامهم، وشكلت أخیلتهم، حتى كانت جزءاً من حياتهم اليومية، فالغول في الفكر الجاهلي، هو سبب الهلاك والدمار والفناء، وهو رمز التلوّن، وجران العود يعكس الوجه الأسود للمرأة، ويبيّن ما لحق به من المرض والأذى بقوله "حَلَقِي مُخَدَّشٌ ما بين التراقي مُجْرَحٌ"^(١٣٣٥)، ويعكس ما استقرّ في أذهان الجاهليين، من أن صورة الغول صورة مثيرة للربح والفرح، تعرّض المسافر في طريقه فتصدّه عنها، وتؤدي به إلى الهلاك، وقد يؤكد خطورتها بجمعه بين الغول والسعلاة التي تعدّ من نساء الجن، وهي أخبث أنواع الجن، ويرتد ذلك إلى بُعد اسطوري آخر، إذ تبدو "صورة "ارتميس" هيقات سيّدة الموت والظلام، وهي "القاهرة" و"بريتانيا" التي ترسل عفاريّتها إلى الأرض؛ لتعدّب الرجال"^(١٣٣٦)، كما تبدو فيها صورة العزّي التي تُلحق المرض، وتُسبب الخبل والجنون، والتي استنجد بها سادنها لكي؛ تقتل خالد بن الوليد، وهي ليليث عدوة الحياة والأطفال، وهي الأم العربية التي تحوّلت إلى ذلك الكوكب الأحمر الذي لعنه رسول الله "عليه السلام"، وتشاءم به، ولا تبتعد صورتها عن عشتار التي تأمر بخلق الثور السماوي؛ لتهلك جلجامش والبشر، فكلّ هذه الصور، تعكس نظرة الإنسان الجاهلي، بشكل عام إلى الغول والسعلاة وإلى المرأة، إذ كُنَّ تشبيه الشعراء للمرأة بهذه الكائنات، فهي حواء التي دفعت بآدم إلى مهاوي

- 1333

- 1334

- 1335

- 1336

الرديلة، ولكنّ الشاعر جرّان العود دفعته إلى الهروب، برحلة عكسية إلى الجبال حيث تقيم الجن فيقول: (١٣٣٧)

(الطويل)

حَمَلَن جِرَانَ الْعُودِ حَتَّى وَضَعَنَّهُ
بِعَلْيَاءَ فِي أَرْجَائِهَا الْجِنُّ تُعْزِفُ

فالشاعر يجمع بين عنصرَي الحركة والصوت، ليقرب المعنى ويؤكد، وتعكس نظرته أصولاً أسطورية، تمثلت في رحلة جلامش إلى أعالي الشمس، من أجل الحصول على نبتة الحياة التي تمنح الخلود لمن يأكلها، فكان الشاعر يهْرُبُ إلى هناك طالباً الحياة المستقرة الهانئة البعيدة عن أذى زوجتيه، وكأنه يفصل بين الغول والجن من حيث التأثير، ويؤكد قداسة الجبال التي تُعدّ موطن الآلهة، وواسطة بين السماء والأرض.

أما الجانب الثاني والوجه الجميل، فينعكس في تشبيه حسّان بن ثابت النساء الحسنات بالجنّيات، واصفاً جمالهن وحسنهن، والأثر المعنوي في نفسه (١٣٣٨). فقد جعل حسّان المرأة في صورة الجنّية، صورة تعكس اعتقاد العرب بتلبّس الجن للإنسان، وملازمتها له، ويجعلها الزهرة نفسها، إذ تزوره ليلاً، ثم تتركه صباحاً، ويعكس علاقتها بالناحية الجنسية، وبالخصب، بقوله في المنام، ويؤكد ذلك بقوله "أرقتني" الدال على الفلق، وعدم الاطمئنان.

وهو بهذا يعكس الدور الذي تلعبه "عشتار" الأولى التي كانت تمارس السحر، وتحاول السيطرة على الرجال، بأسلحتها وشباكها المعنوية، التي لم يكن يقوى عليها الرجال، رغم ما في حوزتهم من الأقواس والسهم والرماح (١٣٣٩)، وإلى السيرينيات اللواتي كُنَّ يَصِدّن الرجال بشبّاكهنّ الليلية، بجمال وعذوبة أصواتهن، وصورة الإلهة "أفروديت" التي احتفظت لنفسها بمعظم الخصائص الليلية للأم الكبرى، وبوجهها الأسود أيضاً، فهي تزرع الحبّ في قلوب البشر، بنفس الأداة والسهم التي تؤدي بها إلى التهلكة، فهي الأم الكونية عشتار، (١٣٤٠) فالشاعر يتحدث في مجال الغزل، ويصورّ المرأة بالجنّية من خلال سحرها له، وتأثيرها في نفسه، ويعكس ما

- 1337

- 1338

- 1339

- 1340

وَرَدَ في المعتقدات الفارسية التي "كانت تتصوّر الإناث من الجن بشكل حوريات حسناوات، ساحرات يأخذن بلبّ الرجال"^(١٣٤١)، فهن جنٌ خيرة وطَيّبة، وهذا يمثل الوجه الأبيض للأم العشتارية؛ بما يوحي إليه من الحب والجنس، والخصب والحياة.

وتبدو قداسة الجن، وعلاقتها بالأم الكبرى في تصوير الأعشى الذي جعلها تلعب في محراب المرأة كالحُبش، إذ بنى صورته بمهارة فنية؛ إذ تجاوز الصورة الجامدة إلى صورة حيّة، يتضافر في بنائها كل من النظر، والسمع والحركة، جاعلاً أصوات الحروف تأخذ دورها في التشكيل الفني، حتى جاءت غنية بالعناصر البصرية والسمعية، بدليل الحديث العذب، والحوار الذي دار بينهما، بقوله: والجن تعزف، ويلعبن كالحُبش....^(١٣٤٢)، ويشبه الجن في شدّة سوادها بالحُبش، ويجعلها تلعب، وتُصدّر صوتاً يعبر عن الفرح، ويوحي بالخصب والحياة، فكأنه يشير إلى ما تحمله الأم الكبرى "عشتار" من معانٍ، إذ ظهرت عشتار "سيدة الموت والدمار وإلهة العالم: بوجهها الأسود، وصورتها البشعة"^(١٣٤٣)، ويزداد الأسود قتامة في النفوس حتى يتحول إلى شيطان^(١٣٤٤)، وقد ارتبط هذا اللون بكثير من الآلهة^(١٣٤٥)، الأمر الذي يفسر لنا قداسته ووقاره، وقد أكد الأعشى قداسة الجن، وعلاقته بالآلهة في قصيدة أخرى، إذ صورها بالمارد القوي الحارس لتلك المرأة، لا يفتأ يطوف حولها، بقوله: "من نالها نال خُلداً لا انقطاع له"^(١٣٤٦).. إذ أن كل ما جاء في القصيدة من أفعال، يؤكد حرص الغواص على نيل تلك المرأة التي يرى أنها سبب الخلود، ومعارضة الجنيّ له، وحرصه على تلك المرأة أيضاً؛ وما ذلك إلا ليؤكد عدم قدرة الإنسان على نيل الخلود، وطموحه المستمر، وسعيه الدائم للوصول إليه، فالجن كأنه الحيّة التي سلبت نبتة الخلود من جلجامش، وإبليس الذي وسوس لحواء للأكل من الشجرة؛ فحرمها من الخلود.

1341	-	:	/
1342	-	:	.
1343	-	-	.
1344	-	.	.
1345	-	.	.
1346	-	:	.

ومن الصور التي تحمل أبعاداً أسطورية وميثولوجية، ما قاله أمية بن أبي الصلت يُشخِّصُ فيه الدهرَ، وينعته بصفات غير مستحبة، إذ جعله غولاً، معتبراً الموت عملاً من أعمال الشيطان^(١٣٤٧)، كما استحضر ما كان للغول من خصوصية في أذهانهم، وعلاقة بالموت، فجاء التشبيه انعكاساً للتصور القديم، وجعله رمزاً للفناء والزوال الذي شكّل هاجساً مرعباً للإنسان الجاهلي، وأدرك أن نيل الخلود قضية بعيدة المنال، فراح يعكس أفكاره ومخاوفه، على ما حوله من مظاهر الطبيعة، باحثاً عن الخلود في كل مكان. وتكرر الصورة نفسها عند أحبّة ابن الجلاح، الذي يصور الزمن وحشاً أو غولاً، يلتهم كل منابع الخير، فلا يكاد المرء يعيش في صفاء، حتى يبتلع كل الصفاء والخير، ويتركه فريسة للصراع النفسي، بقوله: (١٣٤٨)

صَحَوْتُ عَنْ الصِّيَا، وَالدَّهْرُ غُولٌ وَنَفْسُ الْمَرْءِ، أَوْئُهُ، قَتُولٌ (الوافر)

ويتكرر المعنى ذاته عند امرئ القيس، بقوله: "غولٌ ختورٌ يلتهم الرجال"^(١٣٤٩)، وتنعكس النظرة الميثولوجية في تشبيه كثير من الشعراء المنية والحوادث بالغول، من ذلك قول ربيع ابن ضبع الفزاري: (١٣٥٠)

سَيُذْرِكُنِي مَا أَدْرَكَ الْمَرْءَ تُبَّعَا وَيَعْتَالَنِي مَا اغْتَالَ أَنْسَرَ لُقْمَانَ (الطويل)

وهكذا يصور الشعراء حوادث الدهر بالغول التي لا يقف أحداً أمامه، مهما حاول الفرار منه، كما يقول المرقش الأكبر: (١٣٥١)

فَعَالُهُ رَيْبُ الْحوَادِثِ حَتَّى تَى زَلٌّ عَنْ أَرْيَادِهِ فَحُطِّمَ (السريع)

وهكذا فإنّ الدهر كالمراة يمثل الحياة والاستمرار، مقابل الموت و الفناء، يحمل صورتين متناقضتين تماماً كالمراة "عشتار" التي تسيطر على الأقدار والمصائر والنهايات، وهي في

- 1347

- 1348

- 1349

- 1350

- 1351

- 1352

الوقت ذاته ناسجة الحياة^(١٣٥٣)، ويؤكد ذلك ما تحمله من أسماء، فهي الأم الكبرى التي تتمثل بصورة اللات والعزى ومناة؛ إذ تُظهر المعاني اللغوية لهذه المفردات صلتها الوثيقة بالطابع الأنثوي؛ نتيجة ارتباطها بحروف التأنيث الأصلية في العربية، وتمثل أوجه ألوهيتها في الفكر الجاهلي؛ فهي اللات الآلهة، والعزى العزيزة، ومناة ربة الموت والقدر، ولا تخفى علاقة مناة بالمنية، وهو الموت والقدر، إذ رجح بعض الباحثين أن مناة البابلية هي التي كانت تعني آلهة الموت والقدر^(١٣٥٤)، كما أعطيت عشتار في جميع الحضارات اسم النساجة والغزاة؛ فهي التي تحيك نسيج الحياة، وتغزل خيط القدر، ولا يزال "المغزل مرتبطاً بالموت وبالغول"^(١٣٥٥)، فقد جعل الجاهليون مناة إلهاً للموت، وأخذوا يخاطبون ما فيها من أرواح، متمثلة بالشیطانة، أو بالأم الكبرى الممثلة لها؛ كي تبعد شبح الموت، أو تخفف من وطأته، فكانوا يخاطبونها "مامناتو"، فيقولون: ^(١٣٥٦)

يا مناة يا إلهة القدر والموت يا أيها الروح، وملك الموت

ويبدو أن هذا الكائن الخرافي "الغول"، سيطر على ذهن الشاعر الذي يُصور اللاشعور الجمعي، ويعكس أفكار مجتمعه؛ فيجسد الدهر والمنية، في صورة مُخيفة مُفرعة، تتصل بالأساطير، والحكايات التي تدور حولها، أو القصص التي ترمز إليها، إذ استخدموا الأساطير استخداماً رمزياً؛ لأن العالم الشعري عالم رمزي في الأساس.

وبناء على هذا نستطيع القول: إن موقف الرجل من المرأة، لا يعكس كراهية حقيقية للمرأة، بقدر ما يعكس ما في لا وعي الشاعر الجاهلي، من اقتران صورة المرأة بصورة الزمن، وإذا كان الزمن قاسياً؛ لأنه يُشبخُ الشبان ويفتك بالناس، فإن قسوة الزمن تجعل ردة فعل الرجل تنقلب قسوة

- 1353

- 1354

- 1355

- 1356

مقابلة تلقي ظلاً على المرأة؛ فكان جلامش يعلم أنّ عشتار كالدهر الذي يتحطم في داخله الأبطال، فلذلك حاولت عشتار إغراءه بحبها، ووعدته قائلة: (١٣٥٧)

إِذَا مَا دَخَلْتَ بَيْتِنَا فَسْتَقْبَلْ قَدَمِيكَ الْعَتْبَةَ وَالذِّكَّةَ

وَسَيُنْحِنِي خُضُوعاً لَكَ الْمُلُوكُ وَالْحُكَّامُ وَالْأَمْرَاءُ

وَسَتَلِدُ عَنزَاتِكَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، وَتَلِدُ نِعَاجَكَ التَّوَائِمَ

فالأم "عشتار" كانت إلهة الحب والحرب معاً، وكذلك النساء، فهن اللواتي يغرین الرجال بالحرب، فهن مصنع للحياة؛ يُنجبن الرجال، وهُنَّ سبب موتهم؛ فيجسدن الدهر بجميع أحواله (١٣٥٨).

ويبرز الفكر الأسطوري الميثولوجي بصورة مماثلة، وذلك في تشبيه الحرب بالغول، فهذا أبو قيس بن الأسلت (١٣٥٩)، يقول: (١٣٦٠)

أَنْكَرْتِهِ حِينَ تَوَسَّمْتَهُ وَالْحَرْبُ عُولٌ ذَاتُ أَوْجَاعٍ (السريع) (١٣٦١)

مَنْ يَذُقُ الْحَرْبَ يَجِدُ طَعْمَهَا مُرّاً وَتَحْيُسُهُ بِجَعَجَاعٍ (١٣٦٢)

فالشاعر يعمد إلى التشبيه الوهمي، وقد يعود ذلك إلى طبيعة العمل الفني التي تقتضي مثل هذه التشبيهات؛ لجعل الأمور المعنوية أموراً حسية والعكس، فوظيفة الشاعر تكسير الحواجز بين المادة والعقل، وبين العالم الخارجي والداخلي؛ فهو يصور ما تلحقه الحرب

1357 -

1358 -

1359 - /

1360 - /

1361 - :

1362 - :

بالإنسان من الآم ومصائب بالغول، ويعمد إلى كلمة "أوجاع" و"ججاج"؛ ليكون لها قوة التأثير^(١٣٦٣)، كما اعتمد على حاستي الذوق والبصر، لأنهما مرتبطتان معاً.

ويبدو تشبيه الحرب بالغول والشيطان في إطلاق الشعراء لفظة عوان على الحرب، وهي صفة بغیضة تحرّفت من اسم إلهة الحرب الكنعانية (عَنَات)؛ لأنهم جعلوا خصوبتها مشؤومة منفرة، تحمل غِلْمَان بَشِيعِينَ، كأحمر عاد، بطل أسطورة قدار ثمود^(١٣٦٤)، كما يقول زهير: (١٣٦٥)

إِذَا لَقِحَتْ حَرْبٌ عَوَانٌ مُضِرَّةٌ ضُرُوسٌ تُهْرُ النَّاسَ أَنْيَابَهَا عُصْلٌ^(١٣٦٦)

فقد جعل زهير الحرب امرأة شيطانة قوية، لها أنياب تواجه بها الناس، وتلحق الهزائم بهم، ويتماثل مع هذا تصوير امرئ القيس لها، إذ صورها امرأة، تمرُّ بمراحل مختلفة؛ تحمل كل مرحلة منها شعوراً خاصاً، فيقول: (١٣٦٧)

الْحَرْبُ أَوْلُ مَا تَكُونُ قَبِيَّةً نَسَعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ
حَتَّى إِذَا اسْتَعْرَتُ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزاً غَيْرَ ذَاتِ خَلِيلٍ
شَمَطَاءً، جَزَّتْ رَأْسَهَا وَتَنَكَّرَتْ ° مَكْرُوهَةً لِسَنَمٍ وَالتَّقْيِيلِ

ويبدو أنّ الصورة مستمدة من تقلبات العزى ربّة الحرب؛ ولذلك اختلطت صورتها بصورة عشتار التي ظهرت تحت اسم (دورجا) إلهة للحرب، على هيئة امرأة ذات وجه هادئ، تحمل أسلحة فتاكة، وقد تُصَدِّتَ تحت اسم " كالي- ما " لجيش العفاريت وأبادته، ثم ما لبثت أن قامت بزرع بذور الحياة من جديد؛ فهي مصدر الخوف والرعب، وهي الإلهة الحامية من زمان

- 1363

- 1364

- 1365

- 1366

- 1367

الشدائد والمصائب، وكوارث الزلازل والأوبئة، وهي القوية ذات البأس، سيدة الدمار^(١٣٦٨)، فالحرب تبدو قوية شابّة، تتباهى بجمالها ثم تُصْبِحُ عجوزاً شمطاءً، تَمْتَلِيْ بالكراهية والسُّم، فهي سبب الموت، وهي رمز البقاء والوجود، فكأن المقصود بالموت، هو الموت من أجل الحياة، أو الحياة بعد الموت، لأن الموت عندهم مرحلة انتقالية، وليس نهاية.

وينعكس البعد الأسطوري من خلال العلاقة بين الشيطان والأفعى، ويبدو ذلك في وصف طرفة بن العبد للمرأة، حين جعلها تتلوى، كما يتلوى الشيطان في أرض مقفرة "تعمُّج شيطان بذي خروج قفر"^(١٣٦٩)، ويتكرر المعنى نفسه عند حميد بن ثور الهلالي إذ يشير إلى علاقة الشيطان بشجرة الحماطة والمرأة، بقوله (كشيطان الحماط محكما)^(١٣٧٠).

ولا شك أن هذا الشعر يعكس فكراً أسطورياً متعلقاً بأذهان الجاهليين، لأنه يجمع بين الشيطان والحية، والمرأة والشجرة، مستعيداً بذلك قضية خروج آدم وحواء من الجنة؛ إذ أقرَّ بعض الشعراء الجاهليين متأثرين بما ورد في التوراة، أن المسؤول الوحيد عن تلك الحادثة هو الحية، وأنها هي صاحبة الغواية، وما لبثت تلك الحية أن أصبحت رمزاً للشيطان "فالمشابهة بين الحية والشيطان، تأتي من توحيدهم بين الضرر الحسي والخطيئة الأخلاقية، ومن تشابه نفث السم ونفث الشر، على سبيل المجاز"^(١٣٧١)، ويرون أن الحية استهدفت آدم بطريقة غير مباشرة عبر زوجته التي أصغت لها، وتبدو الحية بصورة عدائية؛ تهدف إلى إلحاق الضرر والأذى بآدم؛ رمز الحياة والخلود، ويسجل الشاعر الجاهلي ذلك، مما يدل على وعيه للموروث الثقافي والفكري، وانشغاله بقضايا الخلق، وتتجلى تلك العلاقة في شيطان الحماطة التي تذكرنا بشجرة التين، وشجرة الجنة التي كانت نقطة تحول في حياة آدم وحواء، وانتقالهما من العالم السماوي إلى الأرضي بتدخل الحية، وتبدو فيها شجرة السمرة التي مثلت العزى، فكانت شيطانة، وإلهة مسؤولة عن المطر والخصب، ولا أدلُّ على ذلك من "شجرة النخلة تلك الشجرة المقدسة التي تعد شجرة الحياة، ورمز النصر عند البابليين والأشوريين"^(١٣٧٢)، أو تعكس صورة شجرة العشر التي كانت مأوى للشياطين، والتي تشير إلى الرابطة الزوجية، والممارسة الجنسية والخصوبة

- 1368

- 1369

- 1370

- 1371

- 1372

والتكاثر، وما ينجم عنها من حياة وإنجاب^(١٣٧٣)، وهذا يقربها من النوق العشار، ومن الأم الكبرى؛ فهي رغم أنها السبب في الهلاك والدمار الذي حصل لأدم وحواء، إلا أنها تمثل الحياة والخصوبة، كما أن الربط بين كل هذه المتناقضات هو ربط أسطوري، تعود أصوله إلى جذور قديمة، لأن المرأة كانت مقدسة، وارتبطت الأماكن المرتفعة بالعبادة والتقديس، إذ كانت الآلهة الكنعانية تقيم في قمم الجبال^(١٣٧٤).

وتعيدنا هذه العناصر مجتمعة إلى الشيطانة ليليث والحية، اللتين اتخذتا شجرة الإلهة "إنانا" الحلبو مقراً لهما، وما فعله جلامش الذي استطاع قتل الحية، ففرت الشيطانة إلى البراري^(١٣٧٥)، وتبدو شجرة الإلهة هي شجرة المعرفة التي كانت محور الصراع بين الخير والشر، وسبب المعصية، وقد استطاع عنصر الشر "الحية وإبليس" أن ينتصرا على عنصر الخير، على عكس ما حصل مع جلامش.

وتعد الناقة من الكائنات الحية التي ارتبطت بالجن ارتباطاً له بعد أسطوري، إذ جمع ابن هريم بين الإبل الحوشية والنعامة والطير^(١٣٧٦)، وصور ناقته بالنعامة التي تسير في الهواء، ونسبها إلى الجن، ويبدو أن الجامع بين الناقة والنعامة هو صفة الأنوثة، والناقة تسير بالشاعر إلى حياة ومستقبل أفضل في مناهات الصحراء، فهي الملجأ الوحيد الذي يحمي الشاعر، ويبعده عن كل ما يخاف أن يغوله، حتى يصل إلى الحياة الدائمة التي يطمح إليها، وقد بدا ذلك في وصف زهير لناقته^(١٣٧٧)، إذ جعلها رمز الإرادة الإنسانية التي تقتحم الأهوال، من أجل تحقيق الآمال، فوجد في ناقته القوية ما يعينه على مواصلة حياته، بالارتحال عليها من مكان إلى آخر بحثاً عن الماء والكلأ^(١٣٧٨)، فكأنه في رحلته جلامش الذي يبغي الخلود، فقد شاركت الناقة الشاعر الجاهلي بطولة الارتحال الإخصابي، في القسم البنائي الملتمزم من القصيدة؛ لغاية استجلاب الخصوبة الأمومية الغائبة، والمظاهر الحياتية الذاهبة، فقد أحس الشاعر الكاهن

- 1373

- 1374

- 1375

- 1376

- 1377

- 1378

بالضعف أمام هذه الطبيعة، وما يتهدده فيها من أخطار، فكان بحثه الدائم عن القوة التي تدفع عنه غائلة هذه الأخطار.

كما استحضر زهير صورة الناقة عند حديثه عن الحرب، لا سيّما ناقة ثمود التي كان عقرها إيذاناً بالدّمار والهلاك، وتلك التي كانت مفتاح الرحمة والمغفرة، ووسيلة الحماية والوصول إلى الحياة الأبدية^(١٣٧٩).

يبدو أنّ الشاعر يؤكد إمكانية التقاء شخصية الشيطان والآلهة في الأساطير، وما ذهب إلىه كثير من الأمم السابقة، من أن شخصية الإله تجسدت في الشيطان، وهذه هي نظرة الإنسان الجاهلي إلى آلهته، إذ قدسها حيناً ثم ما لبث أن احتقرها وكسرها^(١٣٨٠).

ويتجلى ذلك في صورة الناقة التي ربطوها بكائنات وهمية، فكان ذلك إيذاناً بكونها تجسد صورة الربة المعشوقة عشتار ربة الخصوبة؛ إذ أن خير النياق الـ "عشار"، وقد صورت السماء ناقة، كما" صورها الفراعنة على هيئة أنثى، يتحلب المطر من ثدييها، وصورها على هيئة بقرة كبيرة الضرع"^(١٣٨١) كل ذلك يعود إلى صورة الأم الكبرى (عشتار) التي ظهرت على هيئة بقرة كاملة برأسها وقرنيها، والآلهة (نوت) المصرية، والأم(نيت) التي كانت تدعى بالبقرة السماوية^(١٣٨٢)، ويؤكد ذلك علاقة كل منها بالإبداع الفني وبآلهة الشعر.^(١٣٨٣)

ويبدو في وصف علقمة لفرسه بعد أسطوري آخر^(١٣٨٤)، إذ يشبهه بالشيطان وبالحية، في القدرة على المراوغة للعدو وللفريسة؛ فقد أقام صورته على التشبيه المعتمد على الحركة المنبعثة من لفظتي (راح، وبياري)، وقد يكون في تلك الصورة ما يعيدنا إلى أصول ميثولوجية قديمة:"

1379

1380

1381

1382

1383

1384

تلك التي ربطت الفرس بصفة (ذات بعدن) التي تتصف بها شمس الشتاء بالذات، والتي قرنها بالمطر^(١٣٨٥)، وصوروا الكواكب المسؤولة عن المطر على هيئة الفرس، وسموها أسماء لها علاقة بالمطر كالدلو، وسعد الماطر، فاتخذت رمزاً للغيث والخير، وأملاً في المستقبل، حتى أصبحت مظهراً من مظاهر الإرادة الإلهية لتحقيق الحياة الإنسانية على الأرض^(١٣٨٦)، فهي تمثل العزى بوجهيها؛ فهي المسؤولة عن المطر الذي يسبب الحياة والخصب، ويكون سبب الفناء والدمار، لأن الشاعر أراد أن يفتخر بقوة فرسه، وقدرته على المباغته، فلم يجد شيئاً يقرب تلك الصورة أكثر من الشيطان، "فقد شكلت الفرس الرمز، وسيلة مهمة من وسائل القتل والدمار، وحماية جنان ربة الأقدار بتمظهراتها العالمية، وأسرارها الكونية، ولا غرابة في ذلك؛ لأنها تجسيد حيواني رمزي للربة المحاربة، ولأنها تمتاز بالسرعة القتالية التي توصلها للانقضاض على الأعداء في جميع الاتجاهات؛ لتلبية الحاجة الروحية الملحة لدى العباد المقاتلين على أرض المعركة، الطامحين إلى تطهير الأرض الأم من الخطايا البشرية^(١٣٨٧)."

ومما يعزز صلة الفرس بالإلهة (ديانا) أو (عنات) أو (ليليث) والعزى ما جاء في تشبيهه الخيول بالسعالي، فقد رسم عمرو بن الأيهم التغلبي لخيول قبيلته صورة وهمية، تثير حاسة البصر، ويعتمد فيها على الحوار مع المخاطب، ويضفي عليها طابع القداسة، فقد جعلهن بصورة نساء في طقس شعائري، تجري وقائعه في معبد الأمومة الجاهلية؛ بهدف استجلاب الخصوبة العشتارية، ويتضح ذلك من كلمة (شُرَبَا)^(١٣٨٨)، فكأنهن يؤدين طقس الزهرة المتمثل بشراب الخمرة، الشراب المقدس، وقد أضفى عليهن صفة الأم الكبرى عشتار، إذ يرتدين النقاب،

- 1385

- 1386

- 1387

- 1388

وينظرون من خلاله، فقد ورد عنها "أنها لم تكن تلقي النقباب إلا لعَبَّادها" (١٣٨٩)، وهذا يضيف عليها القداسة الدينية والعظمة. وتتكرر الصورة نفسها عند الأُشتر النخعي، فيقول: (١٣٩٠)

إِنْ لَمْ أَشُنَّ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً لَمْ تَخْلُ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفُوسِ (الكامل)

خيلاً كأمثال السَّعالي شُزْبًا تَعْدُو ببيض في الكَرِيهَةِ شُوس

فهو يعكس اضطلاع الفرس الأسطورية، بأداء وظائف عشتار الحربية في الأرض العربية؛ لذلك قرنها معظم الشعراء بالحرب، وتبدو وظيفة الخيل التدميرية، وهي تحمل الفرسان في المعركة؛ ليشبعوا الأعداء طعناً وتقتيلاً، فالشاعر يقرن الخيل بصورة الحرب، ويجعلها كالسَّعالي التي تبدو بصورة الإنسان الغضبان، المتكبر المغرور بكرمه، ثم ما يلبث أن يقرنها بمصدر خصب، وهو صورة الأم الكونية المحاربة، صاحبة اليد السوداء التي تبطش بسائر الأعداء، وتشن الغارت، التي تسبب الحياة الجديدة التي تنطلق من الموت.

وقد تحولت خيول المهلهل بن ربيعة إلى سعالٍ يحملن الفرسان من أبناء قبيلته، ورسم لها صورة تثير الفزع والخوف في نفوس خصومهم (١٣٩١)، إذ تؤكد تلك الصورة أسطورية الفرس، وعلاقتها بالحيوانات العلوية التي صورت بها الكواكب، فيشبه امرؤ القيس بن عمرو الكندي الجاهلي فعلها التدميري، المتمثل في سرعة عدوها، وانقضاضها على الأعداء بالطيور الكاسرة، حين تصيب فريستها (١٣٩٢)؛ وهو بذلك يحيلنا إلى رمزية الطير الكاسرة للأم الكونية الكبرى، في الأساطير السامية القديمة، إذ دلت الكشوفات، على أن النسرم هو إلا رمز تمثيلي للأم الكونية الكبرى، باعتبارها سيدة الموت والأقدار، ويؤكد أسطورية الخيل، وعلاقتها بالحرب وبالقوى الخفية ما جاء في معتقداتهم المتعلقة بالحرب، فقد كانوا إذا اشتدت الحرب بحيث تصبح الخيل في

- 1389

- 1390

- 1391

- 1392

قوة جنونية عمياء، لا تفرق بين إنسان وآخر، يخرجون النساء، فيبلن في ساحة المعركة؛ كي يخفف ذلك من وطاتها، فقد أشار إلى ذلك الشاعر بقوله: (١٣٩٣) (الكامل)

هَيْهَاتَ رُدُّ الْخَيْلِ بِالْأَبْوَالِ إِذَا عَدَّتْ فِي صُورِ السَّعَالِي

فرغم أن الشاعر يستبعد قدرتها على التخفيف من وطأة الحرب، فإنه يذكرنا (بعنات) والمشاهد الدموية التي خاضتها وبدت منتشية بها، ويعكس معتقداً، يدل على أن المرأة هي الزهرة، المرأة المثال التي تمتلك قوة سحرية، تستطيع بها التأثير على تلك الخيول المماثلة لها في البطش.

ومن الصور التي تتكرر بكثرة في الشعر الجاهلي، وتعكس بعداً أسطورياً قديماً، تصوير الرجال، وخاصة إذا امتلكوا قدرات وقوى فائقة بالجن، من ذلك ما قاله زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان وإخوته: (١٣٩٤)

جِنَّ إِذَا فَزَعُوا، إِنْ سَ إِذَا أَمَّنُوا مُمَرَّدُونَ بِهَا لَيْلٌ إِذَا جَهَّدُوا (١٣٩٥) (البسيط)

ويقول الشاعر نفسه في مدح سنان بن أبي حارثة المري: (١٣٩٦)

بِخَيْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا (الطويل)

ومنها قول تميم بن نويرة: (١٣٩٧)

فَأَسْمَعُ فُتَيَانًا كَجِنَّةِ عَبْقَرٍ لَهُمْ رِيْقٌ عِنْدَ الطَّعَانِ يَصْدَقُ (الطويل)

وقد أكثر الشعراء من ذلك، فعنتره ابن شداد يقول على أثر حرب وقعت بين العرب والعجم، مصوراً شجاعة أبناء قبيلته التي كانت وطناً له ودولة، مفتخراً بما ألحقه بهم من الهزائم: (١٣٩٨)

1393	-	:	/
1394	-	:	.
1395	-	:	.
1396	-	:	.
1397	-	:	- -

أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ لَمَّا أَتَوْنَا تَمُوجُ مَوَاكِبُ إِنْسَاءٍ وَجِنًّا (الوافر)

ويشير النابغة الذبياني إلى ذلك بقوله: (١٣٩٩)

وَضُمِرِ كَالْقِدَاحِ مُسَوِّمَاتٍ عَلَيْهَا مَعَشَرٌ أَشْبَاهُ جِنَّ (الوافر)

ويأتي ضمن هذا المعنى ما قاله لبيد: (١٤٠٠)

وَخَصِمَ كِنَادِي الْجِنِّ أَسْقَطَتْ شَأْوَهُمْ بِمُسْتَحْصِدِ ذِي مِرَّةٍ صُرُوعٍ^(١٤٠١) (الطويل)

نلاحظ أن الشعراء كانوا إذا أرادوا أن يبالغوا في وصف شيء، شبهوه بتلك الكائنات. كما استعار النابغة قصة جن سليمان، وبنائه مدينة تدمر بالحجارة في حديثه عن الملك سليمان؛ ليدل على قوة الجن، فهو النابغة ينتقل من الواقع إلى الملحمة، فيشارك الجن بأعمال النبي سليمان؛ متوسلاً بها للمبالغة اللصيقة، بإسلوب ثمحي عنده الحدود بين الواقع والمستحيل، فيغدو شعره المدحي شعراً ملحياً يشترك فيه الوهم والحقيقة، وليعيدنا إلى نظرة الأقدمين الذين وحدوا بين قابيل والشيطان (شمودي) الذي ينسب إليه تشييد مدينة (بعلبك) أول مدينة في العالم^(١٤٠٢)؛ إذ أن قابيل بن آدم بعد ما اعتراه الارتعاش أمر ببنائها.

ويؤكد علاقة الأبطال بالجن، ويعكس الهدف من هذا التشبيه، ويبين ما يمتلكونه من

الشجاعة، قول نابغة بني شيبان: (١٤٠٣)

إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ شَرٌّ بَاطِلُهُ يُقِيمُ عَضًا زَمَانًا ثُمَّ يَنْكَشِفُ^(١٤٠٤) (البسيط)

ونلمحه في قول الشنفرى، الذي يرد فيه سبب الجنون إلى الانبهار بالجمال والحسن، وهو: (١٤٠٥)

1398	:	-
1399	:	-
1400	:	-
1401	:	-
1402	:	-
1403	:	-
1404	:	-
1405	:	-

فدقت وجلت واسكرت وأكملت ولو جُنَّ إنسانٌ من الحسن جئت (الطويل)

إذ جعل الشاعر الشباب مرحلة من الجنون، يبلغ فيه الباطل أوجه، ثم يذبل؛ لأنها كما يقولون جنون النشاط وهذا قريبٌ من الإلهام^(١٤٠٦)؛ فالجن والجنون والشجاعة أسرة واحدة، وكذلك الكرم؛ لأن الكريم من يتجاوز حجب المجتمع الإنساني لكي يتصل بالطبيعة، ويأخذ إلهامه من السحاب، فهو إنسان موهوب كما يوهب الشعراء^(١٤٠٧)، وهذا ما أورده المطلبي عن شكسبير "إنما المجنون والعاشق، والشاعر من نسج خيالٍ واحد"^(١٤٠٨)، وقد جعل النابغة الذبياني ممدوحه كسليمان بن داود الذي يأمر الجنَّ فتطيعه، ويقود جنداً بسيفٍ أسطوريٍّ، ويفيض كرمًا كفيض الفرات إذ تزعزعه رياح الصيف^(١٤٠٩). وقد ذكر أن المجنون القشيري اسمه كُهبل بن مالك سميَّ بالمجنون؛ لأنه فرَّق ماله في موسم الحج، غضبت عليه قريش، وكان يقول لستُ بالمجنون، ولكني سمحٌ"^(١٤١٠)

وهكذا نخلص مما سبق إلى أن الغول كائن جدلي مُعقّد، لأنه الموت والعبقرية والزمن، أي أنه علامة (x)، تطلق على المجهول السريِّ العميق، وعلى كل ما يقلق ويحير، ويغري ويخيف، علامة على الغيب الذي يضرب بجذوره في أعماق الخيال الجاهلي، ويتجلى بين الحين والأخر في الخطاب الشعري، وهي بهذا الحشد التأثيري لأفعالها، ذات قوة تدميرية، تفوق قوة الليزر في عصرنا الحاضر.

وكذلك الجنّ، إذ وقر في أذهانهم أنها تُجسد ثنائية الخير والشر، وتظهر بمظهر الآله، كما خلطوا بينها وبين الشياطين، من حيث دور كل منها، وهي تمثل الحياة والموت، والخصب والجذب، وكل ما صوره الشعراء بها، احتلّ القيمة نفسها، مما يؤكد نظرة الإنسان الأول إلى الحياة والموت، وبحثه عن الخلود؛ ليهرب من الموت، واعتقاده أن الموت سبب الحياة.

- 1406

- 1407

- 1408

- 1409

- 1410

المبحث الثاني

البعد الاجتماعي

نتبين من خلال استعراضنا عالم الجن والغيلان، والسَّعالي في الشعر الجاهلي، أن الشعر الجاهلي كان سجلاً للحياة العربية في ذلك العصر، فجاء حافلاً بالعديد من المؤشرات الاجتماعية، ومن خلال استقراءنا للجن في الشعر الجاهلي، لاحظنا أنّ الشاعر الجاهلي، كان يعكس رؤيته للحياة والمجتمع على ذلك العالم الخيالي، وأول ما يطالعنا من ذلك، ما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية، فقد صور الشعر الجاهلي عالم الجنّ، عالماً له ملامحه ونمط حياته الخاصة به؛ يسوده النظام الأسري والاجتماعي، له أنسابٌ وصلات قرابة، وروابط أسرية، ويظهر ذلك في قول جذع بن سنان الغسّاني، واصفاً الضيوف الذين حلّوا عليه "أتاني قاشرٌ وبنو أبيه ..."^(١٤١)، فالشاعر يبين رابطة الدم والنسب التي تربط بينهم، ويعكس الوحدة والتعاون؛ بدليل أن لهم قائداً يأمرون بأمره، فهم جماعة منظمة حتى على مستوى الأسرة، ومن المؤشرات الاجتماعية التي تبدو فيها الإشارة إلى النظام القبلي، والعشائري في مجتمعات الجن، أنّ القبيلة كانت تمثل في الشعر الجاهلي وحدة اجتماعية، وسياسية واقتصادية مستقلة، يخضع الفرد لتنظيماتها الاجتماعية أكثر من خضوعه لأسرته.^(١٤٢)

وفي هذا يقول حسان بن ثابت: " ولي صاحب من بني الشيصبان "^(١٤٣)، ونلمح تلك العصبية القبلية في قول هبيد شيطان عبيد بن إلابرص، الذي يقول: " أنا ابن الصلادم "^(١٤٤)، إذ تتجلى فيه روح التعالي والتفاخر، فكأن كلاً منهما يقول أنا من بني هاشم.

ويشير الشعراء إلى أن العلاقة بين أبناء القبيلة لم تكن عشوائية؛ وإنما كانت منظمة، منوطة بشخصية عليا، تكفلت بكل مهماتها^(١٤٥)، ويعكس هذا ما أورده الجاحظ " أن الناس لا

1411 - /

1412 - : : - -

1413 - : () - - /

1414 -

1415 - /

يصلحهم إلا رئيس، واحد يجمع شملهم، ويكفيهم، ويحميهم من عدوهم، ويمنع قلوبهم عن ضعيفهم"^(١٤١٦)، ويتضح ذلك من خلال الطقوس التي كانوا يمارسونها؛ فقد كانوا يستعيذون بسيد الوادي، أو بعظيم الوادي، فيتولى حمايتهم، ويتعهد لهم بها من أبناء قومه.

وقد أشار الشعراء إلى الوحدة والتضامن اللتين كانتا بين أبناء القبيلة، واللتين كان لا بد من وجودهما في المجتمعات الصحراوية؛ لأن الإنسان لم يكن يستطيع أن يعيش إلا إذا ضمن مساعدة أقرانه، وبني جلدته؛ للوقوف في وجه عوامل الطبيعة، وخصومة البشر، فقد أشار معظم الشعراء إلى خروج الجن بشكل جماعات، وهذا ما وجدناه في قول جذع بن سنان الغساني، "أتوا ناري" وبقوله "قاهر وبنو أبيه"^(١٤١٧) وشمير بن الحارث الضبي يكرر نفس العبارة مستخدماً ضمير الجماعة^(١٤١٨)، الأمر الذي يعكس طبيعة الحياة الجاهلية، وما يعترض المسافر فيها من مخاوف اللصوص، والحيوانات الوحشية، وعادة اجتماعية أخرى، وهي أن الرجل لم يكن يرحل وحده، فكانوا يقولون، "أقل الرفقة في الصحراء ثلاثة"^(١٤١٩)، وذلك ما نلاحظه في مقدمات القصائد الجاهلية، إذ تبدأ بخطاب المثني مثل خليلي، قفا؛ وما ذاك إلا لتوفير شيء من الأمن والطمأنينة.

وربما نلمح في قول الخنساء في رثاء أخيها صخر، ما يشير إلى تأثر الجن، ومحاولتها مشاركة الإنسان الجاهلي مشاعره وأحاسيسه، فهي تقول: ^(١٤٢٠)

والإنس تبكي ولها والجنُّ تُسعدُ مَنْ سَمَرَ (مجزوء الكامل)

ويشير حسان بن ثابت إلى سماع الجن للإنسان، وإعجابها بشجاعته في ساحة المعركة، بقوله: ^(١٤٢١)

بضِرَابٍ تُأدِّنُ الجِنُّ لَهُ وَطَعَانٍ مِثْلَ أَفْوَاهِ الفُقُرِّ ^(١٤٢٢) (الرمل)

1416 - : - - " "

1417 - : / .

1418 - / .

1419 - : - -

1420 - .

1421 - :

ويؤكد المهلهل بن ربيعة أن الجن تشكل عالماً مقابلاً لعالم البشر، تتأثر بأفعالهم، وذلك بقوله مصوراً فساد الأمر بعد كليب: (١٤٢٣)

فالإِنْسُ قَدْ دُلْتُ لَنَا وَتَنَاصَرَتُ وَالْجِنُّ مِنْ وَقَعِ الْحَدِيدِ الْمُلبَسِ (الكامل)

ويبالغ في تصوير الهزائم التي ألحقها بقبيلة بكر، بقوله: (١٤٢٤)

لَوْ كُنْتُ قَتَلْتُ جِنَّ الْخَابِلِينَ كَمَا قَتَلْتُ بَكْرًا لِأَضْحَى الْجِنُّ قَدْ نَفِدَا (البسيط)

فالجن في رأيه تشكل عالماً متمنعاً كثير العدد.

ويشير بعض الشعراء إلى دور السيد وموقعه في القبيلة، إذ تقع عليه مسؤولية الحماية، وإجارة المستجير، وإغاثة الملهوف، فقد توجه أحد الأعراب إلى عامر الوادي؛ كي يرد عليه غنمه التي استولى عليها أحد أفراد الجن، فأشار عليه، فردّها مسرعاً^(١٤٢٥)، وهذا يجسد نظرة الجاهليين إلى السيد، فالسيادة أمرٌ عظيم؛ وهذا ما دفعهم إلى القول، بأن الملك غير منتسب إلى الإنس، وإنما هو ملك نزل من السماء، وصفاته عظيمة، لا يقدر عليها أحد، فهذا علقمة يخاطب الحارث الغساني، قائلاً: (١٤٢٦)

ولستَ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلَأِكٍ تَنْزَلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ (الطويل)

لذلك عدوا تمكن الموت من سادة القبائل، نذير شؤم على الناس وأرزاقهم. ومن هذا الباب أيضاً النظام الطبقي "وجود السادة والعبيد" الذي أشار إليه (شمير بن الحارث الضبي) بقوله: وقلت:

-	:	:	1422
-	:	:	1423
-	:	:	1424
- /	:	:	1425
-	-	:	1426

مَثُونٌ أَنْتُمْ؟ قالوا: سُرَّاهُ الْجِنُّ" (١٤٢٧)، وتبدو هذه النظرة عند شاعر إسلامي، يرى أن شيطانه من أمراء الجن، فيقول: "فإن شيطاني أمير الجن" (١٤٢٨).

وربما نلمح في وصف عنتره للغول: " ووجه أسود" (١٤٢٩)، ما يردنا إلى أن إحساسه بالدونية حقيقة لا مرء فيها، فكأن حديثه عن بطولاته ومفاخره، لون من ألوان توليد الذات، والتعالي على صور العبد في داخله؛ فكأنها حيلة من الحيل الدفاعية التي يلجأ إليها؛ لإزاحة القلق والتخلص منه، بعدم مواجهة المشكلة الأصلية، فقد ثار على واقعه، وتمرد على تقاليد الجاهليين، حتى استطاع تغييره، وانتزع حريته انتزاعاً، مُرغماً الجميع على الاعتراف به، واحترامه وتقديره (١٤٣٠).

وينعكس التضامن القبلي في قضية الأخذ بالثأر، حين خرجت قبائل الجن بأفرادها كافة؛ طلباً لثأر أحد أبنائها من "بني سهم"، فحدثت مقتلة عظيمة بينهما، استمرت حتى تدخلت قريش؛ بطلب منهم، وأصلحت بينهما، ووقع كل منهما على عقد (١٤٣١)، وتتجلى في ذلك السياسة الداخلية للقبيلة التي ترى أن أفرادها جميعاً متضامنون فيما يجنيه أحدهم، كما يقول المثل "في الجريرة تشترك العشيرة" (١٤٣٢) فهو عقد اجتماعي قائم بين الفرد وقبيلته على أساس عاطفي محض، فهي النخوة التي تجيب دون أن تُسأل (١٤٣٣)، ويشير أمية بن أبي الصلت إلى محاولة الإنس الثأر لحرب بن أمية الذي قتلته الجن، معلناً أنهم لو قتلوا ألف من الجن، لا يعادلونه، بقوله: " فلو قتلوا بحرب ألف ألف" (١٤٣٤)، وهذا يعكس العادة الجاهلية التي تدعي أنه يخرج من رأس القتيل

1427	-	/
1428	-	/
1429	-	:
1430	-	:
1431	-	/
1432	-	/ :
1433	-	/ :
1434	-	:

الذي لم يؤخذ بثأره طائر يزقو عند قبره، طالباً السقية من دم قاتله^(١٤٣٥)، ويعكس عادة جاهلية وأخرى وهي الثأر للقتيل من قاتله، والتي كانت سبباً في حروب ونزاعات استمرت مدة طويلة.

ومن الإشارات الاجتماعية التي تبدو في الشعر الجاهلي ظاهرة التحالف، فقد رأى بعض الشعراء في هذه السياسة متنفساً يتجاوز به تحدي المتناقضات؛ لما لها من تأثير في توطيد العلاقات الإيجابية بين القبائل، وتأكيد مبدأ الأخوة، وصلة الرحم^(١٤٣٦).

فلم يجد هؤلاء الشعراء الملجأ الدافئ، والحصن الأمين بين جماعة الإنس، فذهب كلٌّ منهم باحثاً عنه في عالم آخر، ويؤكد علاقته بذلك العالم باندماجه به، وهذا ما فعله جرّان العود، وتأبط شراً وغيرهم ممن فضّلوا الإنتماء إلى الجن على الإنس^(١٤٣٧)؛ فقد رسم الشنفرى لنفسه صورة خارقة، تلحقه بعالم غير مرئي- عالم الجن- في ليلة أفزع فيها القوم؛ مما دفعهم إلى التساؤل، أترأه جنياً عظيماً؟! أيكون إنساناً؟! ما هكذا يفعل الإنس، صورة مدهشة تقترن فيها الحركة المادية بالحركة النفسية، فتجسدان الذهول والحيرة والاضطراب، إذ يقول: ^(١٤٣٨)

فإنَّ يَكُ مِنْ جِنٍّ لأَبْرَحَ طَارِقاً وإنَّ يَكُ إنْساً مَاكَهَا إنْسٌ تَفْعَلُ ^(١٤٣٩) (الطويل)

لم يجد الشاعر مكافئاً له إلا من الجن، أليست هذه قضية تخلي الإنسان عن مجتمعه؛ ودفعه إلى تأسيس انتماء جديد، انتماء إلى عالم الجن؟! ويقترب من ذلك توسل الإنس بالجن، وطلبها الحماية منها، إذ يصور الشاعر نفسه بصورة اللاجئ السياسي المهزوم، الضعيف الذي فقد الناصر والمعين؛ فلجأ إلى دولة قوية لتحميه، ويبدو ذلك بقول أحدهم: ^(١٤٤٠)

هيا صَاحِبَ الشَّجَرَاءِ هَلْ أَنْتَ مانعي فإني ضَيْفٌ نازلٌ بِفَنَائِكَ (الطويل)

-
- 1435 - / .
1436 - .
1437 - : / - / .
1438 - : .
1439 - : : .
1440 - / () .

يعترف الشاعر بضعفه، ويعلي من قيمة الجن، ويخاطبه بصورة السيد القوي ويمدحه؛ وما ذاك إلا من قبيل الاعتراف بقدرته، والتذلل إليه، كي يلبي دعوته، ويوفر له الحماية، ويشير بذلك إلى حياة الصعاليك الذين فقدوا الإحساس بالأمان، وأحسوا بالعربة والوحشة في مجتمعاتهم، فلجأوا إلى الكائنات الغيبية، من ذلك تأبط شراً الذي يقول: " فأصبحت والغول لي جارة " (١٤٤١)، تلك العبارة التي تقودنا إلى الحديث عن علاقة حسن الجوار، وضرورة الحفاظ على حقوق الجار التي أوضحها الجني لعبيد بن الحمارس، عندما نزل في جواره، واعتدى على حقوقه، فقد اتهمه بإساءة الجوار، وركوب مطيته ظلماً، وتوعده بأن يأخذ بحقه منه، مشيراً إلى أن ذلك ليس اعتداءً منه عليه، هو دفاعٌ عن حقوقه، وحفاظٌ عليها، فالجوار قيمة عربية أصيلة، ارتفع صوت الإنسان العربي معلناً التمسك بها، مستعداً للتضحية بالنفس في سبيل الحفاظ عليها (١٤٤٢)، وقد قدّس المجتمع الجاهلي هذا القانون تقديساً، فكان العربي يفخر بأن يكون ملاذاً لكل خائف (١٤٤٣).

والجوار لا يحمل دوماً معنى التعاطف ولا يوحى بالألفة، فقد كانت جارة تأبط شراً من نوع آخر؛ فلم تستطع أن تملأ فراغاً في نفسيته، وإنما كشفت عن عالم جديد يجمع بين وحشية الإنسان وإنسانية الوحش، وقد أعطى هذه الحيوانات كثيراً من السمات الإنسانية (١٤٤٤)، وهو بهذا يعكس المجتمع بإيجابياته وسلبياته؛ إذ لم يكن كل أفراد يعرفون حق الجار، أو حق اللجوء السياسي والاستجارة، فلم يجد ما كان يبحث عنه، ومهما يكن، فإن هروبه يشير إلى صورة الظلم الواقع على فئة الصعاليك في المجتمع، وأراد أن يثبت شجاعته، وقوته لقومه الذين ظلموه، وربما لزوجته، ويدحض ادعاءاتها من خلال قصته مع الغول، وربما لبني أمه (بني فهم)، كما ورد في قصة أخرى، سجّل فيها ملحمة تاريخية خيالية بسيطة، تدل على جرأته وحنكته وذكائه، إذ أخذ يبحث عن إنسان يحمله رسالة العزّ إلى (بني فهم) قوم أمه، مضمونها انتصاره على الغول بكلّ

- 1441

- 1442

- 1443

- 1444

ما تحمله من خوف، ويقول فيها: (ألا من مبلغ فتیان فهم)^(١٤٤٥)، ونلمح في هذا ما يشير إلى عملية الخلع، والتشريد التي كانت القبيلة تمارسها بحق من يحاول التمرد عليها؛ فيضطر الخليع إلى أحد أمرين، إما أن يفر إلى الصحراء؛ ليلاقي مصيره، وإما أن يلجأ إلى من يحميه ويعيش في جواره^(١٤٤٦).

وتبدو في أبياته مغامراته وأمثاله من الشعراء مع الأعداء من جهة، ومع آل قومه من جهة أخرى، ومع المرأة التي أخذ يفتخر أمامها بنفسه؛ ليثبت لها جرأته، بقوله: " أنا الذي نكح الغيلان"^(١٤٤٧)، ويعلن شجاعته للمرأة التي أشارت على صاحبها عدم قبوله زوجاً عندما طلبها، لذا فر طالباً النسب والقرب من الغول، مستعداً لدفع المهر الذي تطلبه، مفاوضاً إياها، مؤكداً حق المرأة في رفض المتقدم لها، وساعياً لاسترضائها، ومشاركتها في الرأي بقوله: " وطالبتها بضعها فالتوت"^(١٤٤٨)، إلا أنها أصرت على الرفض، فما كان منه إلا أن عاقبها بالقتل، والقصة وإن كانت من باب الخرافات والأكاذيب فأنها تشير إلى اعتقاد الجاهليين بإمكانية الزواج من الجن، كما حصل مع عمرو بن يربوع والسعلاة، والقصة ليست جديدة؛ وإنما تُعيد قصة حواء التي كانت سبباً في هبوط آدم من الجنة، وفي كل ما لحق به من التحول والتغير، كما أشار إلى ذلك عدي بن زيد^(١٤٤٩)، ويبدو وجه الشبه في أن المرأة كانت صاحبة السيادة، والمتفوقة على الرجل تمسك بزمام المبادرة، تأكل من الثمرة المحرمة ولا تستشير آدم قبل ذلك، بل تعطيه منها ولا يرفض، حتى كانت النتيجة، واستعاد آدم مكانته^(١٤٥٠)، وهذا ما حصل مع جران العود الذي دفعته أوضاعه الاجتماعية، بما فيها المرأة إلى البحث عن عالم آخر؛ ليثبت وجوده، ويكون لنفسه السيادة، فنظرة المجتمع الجاهلي إلى المرأة لم تأت من فراغ، وإنما كونها المسؤولة عن الخطيئة

1445 - / :
1446 - / :
1447 - :
1448 - :
1449 - :
1450 - - :
:

الأولى والثانية، مما يدفعنا إلى التفكير في فلسفة القوة والضعف في الوجود كله؛ إذ لم تكن في المظهر فقط، وإنما قد تكون في الخداع الذكي، والخبث الواعي^(١٤٥١)، وهكذا لم يكن للرجل مكانة إلا بعد الخطيئة.

ومع ذلك نجد صورة أخرى للمرأة، وهي الحريصة على زوجها سليماً معافى، من خلال ما ورد على لسان أبي قيس بن الأسلت معتذراً عن الحرب التي وُكِّلَ بها، مصوراً إيّاها بالغول التي توجع الرجال، وتغيّر ألوانهم^(١٤٥٢)، الأمر الذي يقودنا إلى القول: إن المرأة التي اقترنت صورتها بالغول والسعلاة، والتي تسبب المشاكل، ويعزى إليها التفكك الأسري تارة، وبالجنية الساحرة القادرة على التأثير في الرجال، والتي تكون سبباً في الإبداع الشعري تارة أخرى، هي سبب التكوين الأسري، وأساسه تارة ثالثة، ويرجح "أن تكون رمزاً جماعياً لوجدان جماعي ديني للشمس"^(١٤٥٣) وتصويراً للواقع، لذلك اضطربت النظرة إليها كما يضطرب الواقع.

ولم تقتصر الأنظمة الأسرية والقبلية على أبناء الجن أنفسهم، وإنما حرص الشاعر الجاهلي على إقامة علاقات ودية مع أفراد من الجن يكتنفها الإخلاص والوفاء الأبدي؛ فقد لعبت دور الأخ والصديق الكريم الشجاع، فكل هذه النظم والقيم جاهلية محضة، حاول الشاعر عكسها على عالم الخيال، وأشار الأعشى إلى ذلك عندما استنجد بصديقه الجني؛ ليرد على أعدائه الذين هجوه، بقوله: " دعوت خليلي مسلحاً^(١٤٥٤)، يقول: " حبانى أخى الجنى^(١٤٥٥)، فهو يستخدم كلمات مجسّدة للعلاقة بينها، (الأخوة والصدقة) التي قد تفوق صلة النسب والقرابة. وتبدو روح الإيثار الجاهلي بقوله: " نفسي فداؤه.. " ويظهر التقدير والاعتراف بالفضل والمعروف، وعدم نكران الجميل، بقول الشاعر واعترافه بأنه لم يكن شاعراً لولا شيطانه " وما كنت شاحرداً"^(١٤٥٦)، وهذا ما يؤكد الوحدة القومية؛ فكلاهما يتحدث بلغة واحدة. ويعكس الأعشى نظرة

- 1451

- 1452

- 1453

- 1454

- 1455

- 1456

الجاهليين إلى الشعر، وخاصة الهجاء الذي لم يكن يقل عن أثر السحر، وما ذاك إلا لعلاقة كل منهما بالجن؛ إذ كان تأثيره أشد من تأثير السيف والرمح. ويبدو أن الجن كالإنس لم تكن على مستوى واحد من الإخلاص والوفاء في علاقتها مع البشر، فقد صورّ سويد بن أبي كاهل اليشكري شيطان خصمه بأنه فرار هرب، ولم يدافع عن صاحبه، فيقول: " فرّ مني هارباً شيطانه.." (١٤٥٧) ويعكس ذلك طبيعة الحياة الجاهلية التي كانت قائمة على الصراعات والنزاعات الكلامية والفعلية.

وينظرون إلى الشعر على أنه شر في باطنه؛ يوقع الخصومة بين الناس؛ لأن الأعرشى يقول: " فلما رأيت الناس للشعر أقبلوا " (١٤٥٨)، لذلك نظر الجاهليون إلى الشعراء نظرة تقديس ورهبة؛ كما نظروا إلى الكاهن؛ لأنه يمتلك القدرة على التعامل مع تلك المخلوقات الخفية التي قد تكون نافعة أو ضارة، فكانهم يمتلكون زمام الأمور.

ويشير عمرو بن كلثوم إلى أن الجن طبقات كبنى البشر، فيسمي الشعراء (كلاب الجن) (١٤٥٩)؛ لأنهم تابعون لهم، مسيروا بأمرهم، في حين يرى شاعر آخر أن شيطانه (أمير الجن) (١٤٦٠)، ويفتخر بذلك.

وهكذا عكس الشعراء الجاهليون نظرة المجتمع إلى الجن، وأضفوا عليها ملامح المجتمعات البشرية، من حيث التكوين. أما من حيث القيم والعادات فإننا نجد من خلال دراستنا لأشعارهم أن الشاعر الجاهلي أراد أن يعززها، من خلال تعامله مع الجن، وخاصة (إقراء الضيف) الذي يتمثل بإيقاد (نار القرى) أو (نار الضيافة)، التي تبدو في قول "جذع بن سنان" (أتوا ناري) (١٤٦١)، وفي قول شمير بن الحارث الضبي (١٤٦٢)، فكان كلاً منهما يفتخر بإيقاد النار؛ لإرشاد المحتاجين والسائلين، ولم يجد الشعراء وسيلة لإبراز شمائلهم أفضل من إشعال تلك

- 1457

1458

- 1459

- 1460

- 1461

- 1462

النيران، التي يستدلّ منها على كرم الإنسان، إلا أنّ القارئ يُفاجأ عندما يعلم أن ضيوف الشاعر، كانوا من نوع آخر (من الجن)، ومع ذلك لم يألُ جهداً في تقديم ما يحتاجون إليه من الترحيب والإكرام؛ فيستقبلهم فَرِحاً، مقدّماً لهم التحية الممزوجة بالبشاشة، ويدخل الأمل والراحة في نفوسهم، كما اعتاد، ويتولى خدمتهم بنفسه وذلك بقوله: (١٤٦٣)

أَتُونِي سَافِرِينَ، فَقُلْتُ: أَهْلًا رَأَيْتُ وَجُوهَهُمْ وَسَمًا صَبَاحًا (الوافر)

نَحَرْتُ لَهُمْ، وَقُلْتُ: أَلَا هَلُمُوا كَلُوا مِمَّا طَهَيْتُ لَكُمْ سَمَاحًا

ويعكس الشاعر نفسه عادة العتيرة التي كانت تقدم كذبيحة للأصنام، ثم تقسم للمعوزين، من أجل كسب الرضا والبركة، وحسن الثناء، وكذلك الجزور^(١٤٦٤)، التي يعكس من خلالها قمة الكرم العربي، الذي بدا في القرآن الكريم، كما فعل سيدنا إبراهيم لضيوفه "فراغ إلى أهله فجاء بعجل سَمِين"^(١٤٦٥)، ويبالغ الشاعر في إكرام ضيوفه، بأن يقدم لهم الخمرة الممزوجة بالعسل؛ وذلك لإظهار كرم المضيف، ولإعلاء قدر الضيوف، كل ذلك يعزز عادة اجتماعية، وهي أن تقديم الخمرة كان معلماً من معالم الكرم، لا يستقيم القرى من غيره، ويبين ما للخمرة من قداسة، إذ شاعت عادة ممارسة تقديم القرابين من النبيذ إلى الآلهة يومياً: "ويصور إقبال الجن عليها بشغف ونهم، في حين يرفضون تناول الطعام، ويبدو ذلك، في قوله: "فنازَ عني الزجاجة بعد وهن"^(١٤٦٦)، فكان الإنسان الجاهلي كان يهدف من ذلك إلى تحقيق الخلود، مع أنه موقن أن الموت واقع لا مهرب منه، فقد أخذ يسعى لتحقيق هدفه، عن طريق ممارسة بعض القيم الأخلاقية الموروثة في العرف الجماعي، فهي سبيل إلى خلود الذكر، ما دام خلود الجسد مستحيلًا"^(١٤٦٧).

1463 -

1464

1465 -

1466 -

1467 -

ومن الإشارات الاجتماعية التي أشار إليها الشاعر جذع بن سنان الغساني "ضرب القداح"^(١٤٦٨)؛ فقد كان الجاهلي إذا أراد فعل أمر، ضرب بالقداح، فإن خرج القدح المكتوب عليه افعل، فعل الأمر، وإن خرج القدح المكتوب عليه لا تفعل، تراجع ولم يفعل^(١٤٦٩)، إلا أن شاعرنا يوحي إلى أن اعتقاد العرب بتلك الوسائل التي مارسوها لمعرفة المجهول، كان على درجات متفاوتة من التصديق، وعلى مستويات متباينة من الاعتقاد، وأن الاعتقاد بقدرة الجن على كشف المجهول كان الأكثر صدقاً من القداح، والتطير، والعيافة. وبدا ضيفه في صورة إنسان حكيم مجرب، حريصاً على مصلحته، أخذ يبدي له نصائحه، وهذا يدل على الثقة المتبادلة بين الطرفين.

إضافة إلى ما سبق، فإننا نلمح في أبياته قيمة أخرى من القيم الجاهلية، لا شك أنها الجرأة والشجاعة التي تمثلت بالمخاطرة والمجازفة، وعدم الاستهانة بالموت، وتعكس طبيعة الحياة الجاهلية القائمة على العدوان، والصراع الدائم؛ والتي لا يصلح لها إلا الرجل الشجاع الذي لا يبالي بالنتائج؛ فالشاعر يتخذ من نزوله في أماكن تواجد الجن مجالاً للفخر بنفسه، فقد نزل ضامناً الموت، مستعداً له، بقوله^(١٤٧٠):

(الوافر)

أَتَيْتُهُمْ وَلِلْأَقْدَارِ حَتْمٌ تُلَاقِي الْمَرءَ صُبْحاً أَوْ رَوْحاً

أَيُّهُمْ غَرِيْباً مُسْتَفِيضاً رَأَوْا قَتْلِي إِذَا فَعَلُوا مُبَاحاً

وتبدو الفوضى أو شبه الفوضى التي شاعت بين بعض القبائل، والتي تجلت بعدم وجود قانون اجتماعي، يُنظّم علاقات البشر، فكأن الحياة قائمة على (شريعة الغاب) التي يفتك فيها القوي بكل من هو أضعف منه، دون رحمة أو رعاية لعهد أو ميثاق^(١٤٧١)، فلم يكن هناك قانون يردعهم عن قتله، إلا أن الضمير الأخلاقي النفسي، هو الذي منعهم، وربما استقبل الشاعر

- 1468 /

- 1469 /

- 1470 /

- 1471 :

الحسن لهم، هو الذي غيّر من طباعهم، وتعكس الأبيات نظرة الإنسان إلى الغول، أنه سبب الهلاك والموت.

وهكذا نستطيع القول إنّ قصيدة جذع بن سنان الغساني، تمثل معالم الحياة الجاهلية، وما ينظمها من علاقات اجتماعية، بكل معنى الكلمة، وتنبين منها، أن الشاعر إنما يعبر عن اللاشعور الجمعي، فما تجاربه إلا تجارب عامة عاشها شعبه، مستمدة من الممارسات اليومية، بما تتضمنه من نزاعات ومغامرات ومخاطر، وقد عكس الشاعر العلاقات الاجتماعية التي كانت تتم بين البشر، من تبادل الزيارات وغيرها على عالم الجن المتخيّل.

ويرى صالح بن حمادي أن التوسلات والقرابين والنذور التي كان يقدمها الجاهليون لتلك الكائنات، ما هي إلا إجراءات وتدابير اجتماعية، كانت تقدم في الأصل لتنظيم علاقات البشر بعضهم ببعض، في العصور القديمة، فهي كالضرائب العينية التي تشبه الجزية والخراج، كان صنف من البشر يؤديها كفريضة لصنف آخر، بموجب بعض القوانين الطبيعية، كقانون القوة، وحق الأبناء على الأبناء، أو اجتماعية، كواجب الفرد نحو المجتمع، وحق الحاكم على المحكوم أو هي كالعطايا التي يقدمها البشر الآدمي إلى الآخر؛ كي يقضي مصالحه أو يحيطه بالعناية والعطف^(١٤٧٢)، ويتمثل ذلك في الجوائز التي كانوا يضعونها أمام جُحر الحية، ويزيدون فيها إذا لم تستجب لهم^(١٤٧٣)، وقد يكون في ذلك ما يشير إلى الدية التي كان وما زال يقدمها أهل القاتل للمقتول؛ دفعا للشر والأذى، وفي هذا ما يصور جهل الإنسان الجاهلي، وإيمانه بالخرافات في وقت غاب فيه التفكير العقلي والعلمي، وأصبحت الأوهام والخرافات هي التي تسيطر على الإنسان. ونجد في لجوء الشاعر إلى الرقى، وما يُقدّمه من الكلمات، والتمائم، والخرزات التي تعلق؛ لانتقاء أذى تلك الأرواح ما يشير إلى أنها جوازات السفر والمرور التي كان الفرد يستظهرها؛ ليعرف الآخرين بنفسه وبقومه، فيحدد الآخرون على أساسها موقفهم منه^(١٤٧٤)، فإن

1472 -

1473 -

1474 -

كان من قوم بينهم معاهدة أو صلة مرّ بأمان، وذلك كما فعل أحد أفراد الجن مع بني سهم، عندما قال: " أنا رجل من بني سهم، بيننا وبينكم ميثاق" (٤٧٥^١)، وإن كان غير ذلك قتلوه أو أعادوه. نعتقد أن هذه الأفكار وليدة العجز الذي يشعر به إنسان الأساطير أمام الصعوبات التي تعترضه، وتشير إلى مجال يتعدى حدود التصور المنطقي الواقعي إلى المجالات المجهولة.

وتبدو بعض الإشارات الاجتماعية، في محاولة بعض الشعراء تسجيل الظلم الاجتماعي الواقع عليهم، أو على قبائلهم، من خلال الأساطير التي تتعلق بالجن، إذ نجدهم يدعون إلى العدالة، وإحقاق الحقوق، فهذا الأعرشي يُعبر عن غربته عن قوم، لا يعرفون الود بينهم، ولا يرون النسب والقرباة إلا أمراً متكلفاً لا قيمة له، ولا أهمية، ويكشف عن ظلمهم له دون مبرر، من خلال أسطورة ضرب الثور لتشرب البقر مع شربه، فلا ذنب له؛ وإنما يعاقب على جريمة ارتكبها غيره، وذلك بقوله " لكالثور والجئي... (٤٧٦^١)، وإن كان الهدف واضحاً، إلا أن الشعراء استغلوا هذه الحادثة للتعبير عن مثل هذه المواقف.

ويسجل النابغة تعجبه من تصرف النعمان وتقريبه لبني قريع، وإصغائه إليهم مع أنهم الأجدر بالعقاب، ومعاقبته له، مع أنه لم يذنب، ولم يخُن أمانته (٤٧٧^١)، بقوله " لكلفتني ذنب...." (٤٧٨^١)، مستغلاً المثل القائل "كذي العرّ يكوى غيره وهو راتع" (٤٧٩^١)، وهذا أيضاً يعكس الظلم الاجتماعي الذي كان شائعاً، والافتقار إلى العدالة التي يطالب بها كلا الشاعرين. ويبدو نكران الجميل؛ ومقابلة الإحسان بالإساءة، في أبيات أمية بن أبي الصلت التي يقول فيها "كذي الأفعى ترببها" (٤٨٠^١) متذكراً قصة آدم عليه السلام وإحسانه إليها، وما فعلته به وبال بشرية جمعاء بالتعاون مع الشيطان. وربما نلمح في أبيات امرئ القيس، في قضية تعليق كعب الأرنب، ما

1475 -

1476 -

1477 -

1478 -

1479 -

1480 -

يشير إلى روح المفاخرة، والتعالي بالقوة والصحة، إذ يَسْخَرُ من الرجل الضعيف، ويطلب من هند ألا تتزوجه^(١٤٨١).

ونخلص من ذلك إلى أن عالم الجن جزء من عالم خيالي، استطاع العرب أن يجسّموا الرؤى، ويشخصوا الطبيعة، ويصوروا نوازع النفس الإنسانية من خلاله، ويؤكد ما ذهبنا إليه من أنه إسقاط لعالم الإنسان الجاهلي عليه بكل ما يشتمل عليه، من أنظمة وعادات وتقاليد، ولم يَشِدَّ عن طبيعة الحياة الجاهلية أو يختلف عنها.

المبحث الثالث

البعد النفسي

انبعثت الرمزية الأسطورية وأبعادها النفسية، من طموح الإنسان وآماله، ومخاوفه التي بنى عليها فلسفته المضادة للعقل؛ فقد بدا من خلال استعراض ما وردَ عن عالم الجن، أنه - كما ذكرنا- عالم خيالي، تصنعه الوحدة والتفرد؛ في الخلاء، والوهم والخوف من المجهول، في عالم كان ولا يزال مناوئاً للإنسان، ولا سيّما المنقرد. فهو عنوان الخطر في وقت كان الإنسان الجاهلي يحلم فيه بنهر الحياة صافياً، ويغلبه واقع أقوى منه؛ فالصراع بين الواقع والحلم هو الشرط الأول للحياة، ومن العسير أو المستحيل أن تكون ثمة حياة بلا صراع^(١٤٨٢)، ذلك الصراع الذي انطلقت شرارته الأولى بين إبليس والإنسان.

وقد شكل عالم الجن عنصر القلق، والاضطراب النفسي للإنسان الجاهلي، وهذا ما وجدناه في تصوير جرّان العود لزوجتيه، وبيان ما ألحقته به من الأذى، وسببناه له من القلق، وعدم الاطمئنان، إذ أنهما الهمّ الملازم له، الذي اضطره إلى التفكير في الرحيل إلى الجبال، للحياة مع الجن التي ربّما وجد عندها الاطمئنان والراحة، إذ يشبه زوجتيه بالغول والسّعلاة، بقوله: ^(١٤٨٣)

هما الغولُ والسّعلاةُ حلقي منهما مُحدّثٌ ما بيّنَ التّراقي مُجرّحُ (الطويل)

ولم يكتفِ بالأثر النفسي، وإنما تجاوزه إلى الجسدي؛ فقد تحدّث حلقه من سوء معاملتهما له. وبيّن في موقع آخر اضطرابه إلى الهروب منهما إلى الجبال، حيث فرق بين الغول والجن، فهو إذ يعكس قلقه وحذره من الغول والسّعلاة، يشير إلى راحته واطمئنانه إلى الجن التي تقيم في الجبال^(١٤٨٤)، فكانها مخلوقات طيبة، تريد الخير للإنسان، بعكس الغول، وربما قصد بذلك اللجوء

- 1482

- 1483

- 1484

إلى الآلهة ممثلة في الجن؛ لكي يشكو إليها ما به. ولم يبتعد عن هذا الأثر ما ذكره الشاعر نفسه؛
يعكس من خلاله أثر المرأة في نفسه، حيث جمع بينها وبين الغول مرة أخرى، بقوله: (١٤٨٥)

مَنْ كَانَ أَصْبَحَ مَسْرُوراً بِزَوْجَتِهِ مَنِ الْأَنَامِ فَإِنِّي غَيْرُ مَسْرُورٍ (البيسيط)
كَأَنَّ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الْهَدَاءِ رَاصِدَةً غُولاً تُصَوِّرُ لِي فِي كُلِّ التَّصَاوِيرِ
كَأَنِّي حِينَ أَلْفَى وَجْهَهَا نَكَرًا أَهْوَى إِلَى اللَّيْلِ يَوْمِي ذَلِكَ فِي بَيْرِ

فالشاعر يعكس الأثر النفسي الذي تسببه له، من خلال تشبيهه لها بالغول التي تُلاحقه، وتلحق به
الأذى، ولا نجد شاعراً يُجسّد ذلك المعنى، أكثر من عاصم بن خروعة النهشلي الذي قال في
وصف زوجته: (١٤٨٦) (الطويل)

هِيَ الْغُولُ وَالشَّيْطَانُ لَا غَوْلَ غَيْرُهَا وَمَنْ يَصْحَبِ الشَّيْطَانَ وَالْغَوْلَ يَكْمُدُ
تَعَوَّدَ مِنْهَا الْجَنُّ حِينَ يَرَوْنَهَا وَيُطْرَقُ مِنْهَا كُلُّ أَفْعَى وَأَسْوَدِ

فلا يخفي ما توحى إليه الأبيات من اشمئزازه، وشدة نفوره منها. وتبدو السعالي بشكل مثير
للرعب والفرع، من خلال تشبيه الشعراء المرأة الذميمة القبيحة بهن، ويتضح ذلك في قول
الأعشى "ونساء كأنهن السعالي" (١٤٨٧)، وتبدو السعالي بصورة مماثلة، في تصوير لبيد بن ربيعة
للسائلات والمحتاجات بصورة السعالي الجياع، وذلك في قوله: (١٤٨٨)

لِيَبْكِ عَلَى النُّعْمَانِ شَرْبٌ وَقَيْنَةٌ وَمُخْتَبِطَاتٌ كَالسَّعَالِيِّ أَرَامِلُ (الطويل)

أراد الشاعر أن يبين كرم النعمان، وما لحق بالنساء من تغيير بعده، حتى أصبحن في
حالة من السوء تشبه السعالي، لذلك طلب منهن أن يبكين على النعمان.

/ - 1485

/ - 1486

/ : - 1487

: - 1488

ومن شدة تشاؤم الجاهلي بالمرأة الإنسانية، فقد أخرجها إلى عالم المخلوقات المشؤومة الشريرة وجعلها كالسَّعلاة حيناً، وكالغول حيناً آخر؛ من ذلك ما فعله الأعشى، حين حشد موقفاً للأسرى من الأعداء، وبين هؤلاء الأسرى نساءً مثل السَّعالي في الهيئة والشكل،^(١٤٨٩) وما هذا إلا ليبين ما لحق بهن من جراء الأسر، وهو بهذا يشبه جرَّان العود الذي تشاءم من زوجته، وشبَّههما بالغول والسَّعلاة، فالشاعر الجاهلي بهذا التصوير يعكس ما في مخزونه الفكري من قبح السَّعلاة على تلك النساء، وليس أدلُّ على تشاؤم الشاعر من هذه الكائنات من تلك الصورة المرعبة المنقورة البشعة التي رسمها عنتره بن شداد،^(١٤٩٠) إذ جمع عنتره في صورته العديد من عناصر الرعب في ذلك الكائن، أولها وأهمها الخفاء والتجلي الذي يحير الإنسان ويربكه كثيراً؛ ثم زُرقة العيون التي تشبه زرقة عيون الأعداء؛ وفي ذلك ما يدلُّ على المكر والعداوة؛ لأن العرب وصفت الجان الخبيث بالزُرقة؛ فالشاعر يقول معبراً عن ذلك، ذاكراً زُرقة الجان:^(١٤٩١)

لَقَدْ زَرَقْتُ عَيْنَاكَ يَا ابْنَ مُكْغَبِرٍ كَذَا كُلُّ جَنِيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ أَزْرَقُ (الطويل)

ولا يخفى أن الأزرق لون مكروه، يؤدي إلى التوتر والشك والخوف، ولا يذكر إلا في مجال الموت، مما يدلُّ على نفور الإنسان من هذه الكائنات، وربطها بالقتل والفناء، ويشير إلى عداوة هذه الكائنات للإنسان؛ لأن هذا اللون هو لون العدو والحيوانات المفترسة التي توقع الشر وتلحقه بالإنسان^(١٤٩٢)، ويحمل اللون الأزرق رمز الشؤم بدليل أن العرب تشاءمت من البسوس، وهي زرقاء العينين^(١٤٩٣)، مما يؤكد تشاؤم الإنسان بهذه الكائنات.

وتبدو حالة الشاعر النفسية القلقة المضطربة، حين يجمع إلى زُرقة العيون سواد الوجه، وَجِدَّة الأظافر، وهما صفتان مكروهتان، ولا يخفى ما للأسود أيضاً من ارتباط بالموت والدمار،

1489 -

1490 -

1491 -

1492 -

1493 -

وقد جمع عنثرة بين عنصرَي اللون والحركة، إذ أسهمت الحركة المتمثلة بالتناوب بين الخفاء والتجلي في بثّ جوٍّ من الرُّعب والترقب المليء بالريبة والشك، ونلاحظ أن الشاعر يحاول التخلص من الوهم والخوف اللذين سيطرا عليه بعكس الموقف؛ كي يثبت الشجاعة في نفسه، فما يلبث أن يُحدث تبادلاً في الأدوار، ويجعل الجن تضحّ عند سماع صوته؛ وربما عكس تشاؤمه من سواد لونه وبشاعة منظره على هذه الكائنات التي تحمل ثنائية متناقضة مثله، وهي بشاعة المنظر، والقدرة الخارقة.

فالموقف النفسي كان وراء المشاهد التصويرية، والأوصاف الحسيّة والمعنوية والجسدية، فكانت كل كلمة تترجم وضعاً نفسياً خاصاً، يفصح عن إحساس معين، فقد استخدم حروف التّفخيم في كلمتي "ضحيج، وتُضحّ" (١٤٩٥)؛ ليدلّ على عمق الخطب الذي ألمّ بالجنّ، من جرّاء ما أوقعه الشاعر فيها، وما ذاك إلا لتدعيم صورته، وتوضيحها وإبرازها.

ونلمح الصورة إيّاهما بما تحمله من بشاعة المنظر، وما تشير إليه من العداوة والشرّ في قول تَأْبَطْ شَرّاً (١٤٩٦)، عند حديثه عن لقائه الغول إذ وصفها (بالقبح)؛ وهي كلمة كافية لأن تترجم نفسية الشاعر، فعامة الناس إذا رأوا منظرًا قبيحاً قالوا شيطان أو غول، والآية القرآنية كافية لتدعيم هذه الفكرة "طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ" (١٤٩٧)، فيبدو عدم ارتياح الشاعر لها، وعدم اطمئنانه لرؤيتها.

ويُضيف الشاعر إلى ذلك المنظر القبيح صفة الغدر والخداع والمكر، مُدْكَراً إيانا بالحياة وحواء؛ فهي تحاول إغراءه؛ كي يضرّبها مرّة أخرى، بقوله، "فقلت: عُدْ....."

- 1494

- 1495

- 1496

- 1497

إلا أن الشاعر يبرز حنكته، ويكتشف حيلتها رافضاً ذلك؛ لمعرفة ماذا تريد، ويُصرُّ على الانتصار عليها، مُعلنًا عن ذلك، مفتخرًا بنفسه، فكأنه حقق انتصاراً على المجهول والتحديات التي واجهته، مما يؤكد أن الغول كانت بالنسبة للشاعر الجاهلي بمنزلة العنصر العدائي المقابل للإنسان والحياة، فهي الموت والمنية، وهي الداهية والمصيبة، ويكشف عن ديمومة الصراع بين الإنسان وعوادي الطبيعة، وثنائية الضرب والسقوط، كما تجسد ثنائية الليل والنهار، حيث يمتد صراع الإنسان فيهما، ونجد في الليل وحشة ورهبة، قليلٌ من الرجال من تغلب عليها، وهذا ما أشار إليه امرؤ القيس الذي جعلها "غولاً ختوراً يلتهم الرجال"^(١٤٩٨). ليعكس حقه وكرهيته للدهر من خلال كلمة "يلتهم" التي توحى بالبطش والفتك، وتوحى بالقلق والاضطراب النفسي الذي يكتفه الشاعر لتلك الكائنات، مما يؤكد غلبة التعبير الرمزي على التعبير المباشر عند الشعراء الجاهليين، إذ لم يكن الشاعر يقصد بناء الصورة لذاتها؛ وإنما إلى التعبير من خلالها عن قضايا وأحاسيسه، ومواقفه من الحياة والناس من حوله.

وتبقى مشاعر القلق تسيطر على الشاعر الجاهلي تجاه تلك الكائنات، وخاصة لما تمتاز به من تلون وتقلب، فهي لا تثبت على حال؛ وما تلبث أن تتحول من طيبة إلى شريرة، وهذا ما قاد الشعراء إلى تصوير الحرب بما تلحقه بالإنسان من ويلات بالغول، وذلك لتقلب نتائجها. وذلك بقول الراجز: ^(١٤٩٩)

والحربُ غولٌ أو كُشِبُه الغُول نُدُقُ بالرَّايَاتِ والطُّبولِ (الرجز)

فالحرب من غير شك مضمومة مكروهة، توحى بالرهبة والريبة، تحمل ثنائية الخير والشر، كما تحمل المرأة الحسنة التي تراود الرجال عن نفسها؛ فهي تغدر بالفرسان، وما تلبث أن تفتك بهم، كالنار التي لا تبقى شيئاً. وهذا ما كشفه كعب بن زهير بتصوير المرأة بالغول في تقلبها وتلونها^(١٥٠٠)، ولم يجد الشعراء أفضل من قرن الحرب والمرأة بالغول؛ بهدف التعبير عما تحمله

1498 -
1499 - /
1500 -

نفوسهم من مشاعر الاشمئزاز والنفور من هذه الأمور.

ويجمع أبو قيس بن الأسلت بين الصورة البصرية والذوقية، بقوله واصفاً الحرب "غولٌ ذاتُ أوجاع، وطعمها مرٌّ"^(١٥٠١)، وما ذاك إلا ليؤكد حقه عليها، وكراهيته لها، فقد وقر في أذهان الجاهليين الخوف والقلق، وعدم الراحة لذكر هذه الكائنات حتى أصبحت الحوادث غولاً، والأيام غولاً، والحرب غولاً؛ والسيوف حادّة كأنياب الغول^(١٥٠٢)، فكان الشاعر في قصيدته ينهل من الأنماط العليا الكامنة في مجال اللاشعور، فيبدو ذلك الحيوان الأسطوري رمزاً للشرّ في صورة رسم أبعادها امرؤ القيس، مخرجاً الغول من عالم المخلوقات اللامرئية إلى مخلوقات مرئية، مُشَبِّهاً سيفه بأنياب الغول، وما ذاك التشبيه الوهمي إلا كناية عما يوحيه ذلك الكائن من مشاعر الخوف و الرعب في قلوب الأعداء.

ومما جاء في هذه المعاني قول أعشى بني قيس الذي يعتبر المنية غولاً: ^(١٥٠٣)

فَمَا مَيِّتَةٌ إِنْ مِثُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بَعَارِ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسَ غَوْلُهَا (الطويل)

وقول عدي بن زيد في رسالة أرسلها من سجن النعمان إلى ابنه عمرو بن عدي: ^(١٥٠٤)

أَلَمْ يَحْزُنْكَ أَنْ أَبَاكَ عَانَ وَأَنْتَ مَغِيبٌ غَالَتْكَ غَوْلُ ^(١٥٠٥) (الوافر)

ويقول جران العود ما يؤكد تلك العلاقة: ^(١٥٠٦)

فَقُلْتُ مَا لِحَمُولِ الْحَيِّ قَدْ خَفِيتُ أَكَلَّ طَرْفِي أَمْ غَالَتْهُمُ الْغَوْلُ؟ (البيسط)

ونستدلّ من خلال تماثل الصور على ما وقر في نفوس الجاهليين من صور توحى بالنفور، والخوف والاشمئزاز من تلك الكائنات. ويشبه أبو دؤاد الإيادي الدهر بالمجنون، ويعتبر الإنسان طعاماً لآكل يدور كالمجنون، ويقول: ^(١٥٠٧)

/	1501
:	1502
:	1503
:	1504
:	1505
:	1506
:	1507

إِنَّمَا النَّاسُ فَاعِلَمَنَ طَعَامٍ خَبَلٌ خَابِلٌ لِرَيْبِ الْمَنُونِ (الخفيف)

عَطَفَ الدَّهْرُ بِالْفَنَاءِ وَيَأْمُو تَ عَلَيْهِمُ يَدُورُ كَالْمَنْجُونِ^(١٥٠٨)

ويُرد المعنى نفسه عند أحيحة بن الجلاح قي قوله:^(١٥٠٩)

صَحَوْتُ عَنِ الصَّبَا، وَالدَّهْرُ غُولٌ، وَنَفْسُ الْمَرْءِ آوَنَةٌ، قَتُولٌ (الوافر)

كما يعكس الشعر الجاهلي نظرة الجاهليين بشكل عام إلى الشيطان، وخوفهم منه حين يربطونه بالحياة، إذ يسمون الحياة الداهية شيطانا^(١٥١٠)، ويصورون المرأة بالشيطان الشرير البعيد عن الحق، فقد جمع طرفة بن العبد بين هذه العناصر مضيفاً إليها الشجرة، في صورة تعكس ما في داخله من الرعب والفرع تجاه هذه العناصر، و تشير إلى ما تحمله من الخبث والمكر، توحى بالألم والندم الذي سببته لآدم وحواء، بقوله "تعمج شيطان بذى خروج قفر"^(١٥١١) فكأنه يعكس القصة ذاتها.

وتتضح مشاعر الخوف والرغبة من هذه الكائنات، من خلال قول أمية بن أبي الصلت مُحَمَّلًا الْجِنَّ مَسْؤُولِيَةَ تَرَكَ الْأَفْعَى تَنْشُرُ الْأَذَى وَالشَّرَّ، وَالْفَسَادَ، مُحَدَّرًا مِّنَ التَّعَامَلِ مَعَهَا؛ لَمَّا تَتَّصِفُ بِهِ مِنَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ، فَهِيَ رَمَزُ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ^(١٥١٢).

ويؤكد خوف الجاهليين من الجن ونفورهم منها، أنهم ربطوا ظهورها بالليل، واعتبروا اللون الأسود لون المجهول من الجن والغيلان. وتبدو مشاعر التوجس والخوف والقلق في قول عنتره، واصفاً الليلة التي التقى فيها بتلك الكائنات، وما فيها من أخطار ومواقف بطولية، سببت له الشيب الذي رده إلى الخوف والرعب، كما في أذهان عامة الناس^(١٥١٣).

1508 -

1509 -

1510 -

1511 -

1512 -

1513 -

ونلمح ذلك فيما قاله نابغة بني شيبان، حين استخدم حاستي السمع والبصر، في قوله "أصواتُ جنٍّ إذا ما أعتَموا عزفوا"^(١٥٤)؛ وما ذاك إلا ليزيد خطورة الموقف، ويجمع بين الليل والصحراء المقفرة إلا من الجن.

وتعكس الصورة عند زهير بن أبي سلمى مشاعر الخوف والحذر، وهو اجسه النفسية من خلال إلقائه إياها على الثعالب التي يجعلها تضجُّ مخافة، كما جعل الفؤاد يرتفع ويرتجف، من شدة الخوف، وما سببه له من القلق والاضطراب. ونلمح في أبياته ما يزيد خطورة الموقف؛ إذ لا يكتفي بالصورة السمعية المباشرة، بل يعتمد لاستخدام الألوان المثيرة للربح والفرح، وبخاصة لون الغبار الذي يُنذر بالشؤم، وذلك بقوله:^(١٥٥)

(المنسرح)

وَبَلَدَةٍ لَا تُرَامُ خَائِفَةٌ زَوْرَاءُ مُعْبِرَةٌ جَوَانِبُهَا

فالغبرة لا تثور إلا عند مقتل زعيم من الجن، وغضب الجن لذلك، وتجمعهم للانتقام، فهو ينذر بالشرِّ والفساد، لرغبة الجن بالانتقام والثأر لها^(١٥٦)؛ وهذا ما دفع الشعراء إلى قرنها بالمعارك، وبالمواقف البطولية، فقد تركت في نفوسهم شعوراً بالخوف والرهبة، وأصبحوا يتشاءمون بها، ويعكس ذلك طبيعة الحياة الجاهلية، ومحاولة ربط السبب بالمسبب، فعندما لاحظوا أن الغبار يثور، دون أن يحدث حركة فوقه، ظنوا أن هذا الغبار لجلبة الجن، ثم مالبت هذا اللون أن أصبح عنوان الشجاعة والبطولة، والثبات في المعارك^(١٥٧)، وقد أكد القرآن الكريم تلك الدلالة، بقوله "وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ"^(١٥٨)، ويبدو هاجس الخوف والرهبة من الجن، حتى في معاملتهم معها، فهذا جذع بن سنان الغساني، يستقبلهم عندما حلُّوا ضيوفاً عليه، بقوله "مَثُونٌ أَنْتُمْ" عبارة توحى بالفرح، تنسجم مع حالته النفسية، محاولاً تجاوزها بتهيئة جو الضيافة،

- 1514

- 1515

- 1516

- 1517

- 1518

بقوله: "فقلت : "عموا صباحاً" (١٥١٩).. " كي يتفادى شرهم، وقد عزا شاعرٌ آخر خوفه منهم إلى اختفائهم عن الأعين؛ ورأى أنهم لو ظهروا، لذهب الخوف من قلبه (١٥٢٠).

وهذا يتناسب مع الطبيعة الإنسانية التي تخاف من المجهول، وتأسُّ بالظاهر من الأنوار، وهذا ما يزيد من خوف الإنسان منهم، ويدفعه إلى محاولة التخلص من الشعور بالقلق، والاضطراب النفسي بالشعائر والطقوس والقرابين، ويعكس الأسدي في قوله للحارث الملك العسائي ما توحيه تلك الكائنات، فهي في نظره أشدُّ تأثيراً من الرماح؛ لأنها تسبب المرض، وتقتل الإنسان، وتفتك بحياته، ويظهر ذلك بقوله "خَشِيتُ رماح الجن" (١٥٢١)، فكلمة الخشية تعكس الحالة النفسية القلقة المتوترة؛ كل ذلك يؤكد أن الجن في نظر الجاهليين رمز الفناء والموت؛ وهذا ما قادهم إلى تقديم القرابين لها؛ للتخفيف من معاناتهم، ممثلة بجمال من الطين حيناً (١٥٢٢)، وبالذبائح حيناً آخر (١٥٢٣)، وما ذاك إلا حالة نفسية تسبب لهم الاطمئنان، وتعكس القلق والوهم اللذين يسيطران عليهم؛ ولا عجب في ذلك، فما زال كثير من الناس يلجأون إلى السحرة والمشعوذين، في مثل هذه الحالات، ويؤمنون بصدقهم.

ويبدو ذلك في قول أبي العَمَلَس الطائي "أَصَقُّ بِالْبَنَانِ عَلَى الْبَنَانِ" "وأَقْلِبُ تَارَةً خَوْفًا رَدَائِي... (١٥٢٤) إلى غير ذلك مما يُعبّر به، عن أن هذه الكائنات تشكل الشبح المُرعب، والمشجب الذي تعلق عليه مخاوفهم.

ونلمح في الطيرة ما يشير إلى مشاعر التوتر والقلق التي كان يعيشها الجاهلي، ومحاولته التخلص منها بأية وسيلة، فما بعثه للطير مثلاً إلا تعبيراً عما يحسُّ به من مخاوف كامنة تجاه الحدث قبل وقوعه، فلجأ إلى إسقاط مشاعره ومخاوفه على ما يشاهده في الطبيعة؛ لذلك جاء الطير نذيرَ شؤمٍ وشرٍّ أو حاملَ فألٍ وخير، فما هذه الشعائر والتصرفات إلا نوع من تهدئة النفس

1519	-	/	.
1520	-	/	.
1521	-	/	.
1522	-	/	.
1523	-	()	.
1524	-	/	..

واطمئنانها، وإزالة ما فيها من هواجس تجاه هذه الكائنات^(١٥٢٥)، وبمنزلة جوازات السفر التي لا يُسمح باجتياز المناطق بدونها، والقرابين التي تقدّم للآلهة من أجل نيل رضاها، ودفع شرّها. وإن كنا نلمح في ذلك ما يدلّ على قداسة الجن وعبادتهم لها، وشعورهم بقدرتها وتفوقها، إذ لا يستعيز الإنسان إلا بمصدر قوي قادراً على توفير الحماية له.

ونجد ما يؤكد قلق الإنسان وتوتره، وسعيه إلى إيجاد وسيلة، يتخلص بها من همومه وهوجسه، في تعويذة الوشم التي استخدمت في الحضارات السامية القديمة للسلامة من الغيلان التي تعدّ وسيلة من وسائل سطوة الدهر على البشر، وانتزاع أرواحهم، واستلاب حياتهم^(١٥٢٦)، ما يؤكد قلق الإنسان وتوتره، وسعيه إلى إيجاد وسيلة يتخلص بها من هذه الهموم والهواجس. ويثبت ذلك استخدام الشعراء الوشم في معرض حديثهم عن الأطلال التي تعدّ في نظرهم (قرينة الأرواح الشريرة)^(١٥٢٧)، أو أنها "تخبىء عروساً من الجن"^(١٥٢٨) فهم يرون في الوشم ما يحقق لهم الحفظ والصون؛ بوصفه تعويذة الشاعر الساحر ضد الموت والفناء، وهذا السحر الذي يبطل سلطان الحيوان أو الطير المسخر ضد الإنسان، ما هو إلا وسيلة لردّ شرّ هذه الكائنات^(١٥٢٩)؛ فكأنهم يلتمسون الحماية منها بتقديم التعاويذ والأدعية إليها، وخاصة أنّ الشعر كان في البداية، كما يظن شوقي ضيف "عبارة عن أناشيد دينية يتجهون بها إلى آلهتهم، يستعينون بها على حياتهم، فيطلبون نصرتهم، ونصرة أبطالهم، أو القضاء على خصومهم"^(١٥٣٠)، ويرى البعض "أن استخدام الشاعر لصيغة المثني كان يهدف إلى تضليل الأرواح الشريرة المقيمة في الطلل؛

1525 - :

1526 - :

1527 - :

1528 - () :

1529 - :

1530 - () :

كي لا تُصيب الفرد بأذى"^(١٥٣١)، مما يؤكد أنّ كثيراً من العادات والطقوس التي أوردتها الشاعر اليوناني القديم هوميروس في الإلياذة أو الأودسا ما تزال موجودة في حياة الأفراد والجماعات.

فكأنّ الشاعر كان يحاول أن يتجاوز تصوير معاناته، إلى توفير جو نفسي يستمد منه الهدوء والراحة النفسية، ويلتمس المعونة ممن يحلون بهذه الأماكن؛ للفرار من الموت والفناء الذي يوحي به الطلل؛ لما فيه من أرواح شريرة.

وربما نلّمح في هذه التصرفات، ما يشير إلى أنهم يرون فيها وسيلة، يحققون من خلالها ما يطمحون إليه من الخصب، فتوحي لهم بالأمل والتفاؤل؛ لأنهم ربطوا بين العزيف الذي يحمل معاني الخصوبة والحياة، والطلل والديار المقفرة، فكأن العزف والشعر المرثل المصاحب له، هو التمثيل الطقسي الذي يقدم عبادةً لرَبّة الخصب والجمال، طلباً للحياة وقوامها الرئيسي (الماء)^(١٥٣٢)، ونجد ذلك في قول أسماء بن خارجة في حديثه عن الصحراء: (١٥٣٣)

(الكامل) وبه الصدى والعزفُ تحسبهُ صدحَ القيان

عزفنَ للشرب وهذا يشير إلى ما تمثله هذه الكائنات؛ إذ تمثل ثنائية متناقضة، فهي الموت والحياة، وهي رمز القوة الخارقة والذكاء، نالت إعجاب الشعراء؛ فراحوا يلتمسون صورهم الأدبية منها، خاصة في مجال الفخر والمدح؛ فالشاعر لبيد بن ربيعة يلجأ إلى التشبيه الوهمي، فينعت بني ماء السماء، مشبها إياهم بالجنّ، بقوله "جئة عبقر"^(١٥٣٤)، والنابغة يصور أبناء قبيلة النعمان "أشباه جن"^(١٥٣٥)، وما ذاك إلا لإعجابهم الشديد بشجاعتها وقدرتها؛ وكي يثيروا الفرع والرعب في قلوب أعدائهم، وهذا يعكس اللاشعور الجمعي، وما وقر في أذهان عامة الناس، فكلُّ من يأتي

1531 -

1532 -

1533 -

1534 -

1535 -

بشيء غريب عجيب يَنمُّ عن ذكاء، يقال له من باب الإعجاب والتشجيع شيطان أو جنّ أو عبقرى، وإذا

حققوا نصراً مؤزراً نسبوه إلى الجن، فهذا عديّ بن زيد، يقول: (١٥٣٦) (الطويل)

وأَخْرَجَنَ يَوْمَ الْحَوْصِ سَيِّدَ حَمِيرٍ بِحَرْبَةٍ جِيَّيٍّ مِنَ الْخُبُشِ مَارِدٍ

ويفتخر النابغة الذبياني مشبهاً نفسه على ظهر ناقته بالجنّي الذي أخذ يخاطب كلاب الصيد ويحذرها من الاقتراب من شياهاه، بقوله: (١٥٣٧) (البسيط)

يقولُ رَاكِبُهَا الْجِيَّيُّ، مُرْتَفَعًا هَذَا لَكُنَّ، وَلَحْمُ الشَّاةِ مَحْجُورٌ

وقد رأوا فيها مصدر السرعة والنشاط، والقوة وخفة الحركة، مما يؤكد إعجابهم بها؛ فهم يردون سرعة الناقة، أو الفرس إلى ما فيها من شياطين تملكها، وهذا ما قاله ضابيء بن الحارث "كأن بها شيطانة... (١٥٣٨)" وذلك ليدل على أنّ الصورة الشعرية في الشعر الجاهلي، تكشف عن روح الإنسان الجاهلي بعامة، ويثبت إعجابهم بتلك الكائنات، وما تمتلكه من قوة خيالية، بحيث أخذوا يحولون خيولهم إلى سعال (١٥٣٩)، فامرؤ القيس يلجأ إلى التشبيه المفرد "كأنها سعال" (١٥٤٠)، ويترك المجال أمام القارئ؛ كي يتخيل صورة السعال، وما تتصف به؛ لأنها كائنات وهمية، ويفكر في الدافع الذي دفع الشعراء إلى اختيار هذه الكائنات بالذات، ويحدد وجه الشبه، وما ذاك إلا ليزيد خطورة الموقف.

1536	-	:	.
1537	-	:	.
1538	-	.	.
1539	-	.	.
1540	-	.	.

وهكذا ارتبط الجن في الشعر الجاهلي بمجموعة من القضايا، ذات الأثر المباشر في حياة الجاهليين، ويبدو أن هذا الارتباط ليس مجرد علاقة بين ظواهر مختلفة، وإنما يحمل دلالات وأبعاداً غير العلاقة الظاهرة المباشرة.

الخاتمة

بعد استعراض مادة البحث، واستقراء ما أكدها من أشعار، لا بد من الوقوف على بعض النتائج التي خلص إليها البحث، وأهمها:

١. آمن الإنسان القديم بوجود قوى خفية تتحكم فيه وبالكون، تصورهما مجموعة من الآلهة متفاوتة المكانة، ضمن أطر الطبيعة الكونية، ترسل أسلحتها المدمرة التي تجاوزت المحسوسات إلى المجردات، فأخذ يفكر ويتأمل، مع غياب القوانين الإلهية والعلمية؛ كي يتوصل إلى حقيقتها، فوجد في الأساطير مخرجاً من الحالة العاطفية الفالقة التي عاشها من جرّاء صراعه معها، وتحديّها له.

٢. كان للأساطير المتعلقة بتلك الكائنات أهمية كبيرة في دراسة تاريخ الفكر الإنساني؛ فهي أول محاولة لوضع مفاهيم فلسفية، ترمي إلى إنقاذ الإنسان من مناهات الجهل بأسرار الطبيعة وظواهرها، فقد منحت الطمأنينة للإنسان القديم، وأنارت جوانب نفسه المظلمة.

٣. لم يكن الإنسان الجاهلي، بمعزل عن هذه المعتقدات والأفكار التي أقرّها الإسلام، وما زلنا نؤمن بها، ونصدق بتأثيرها علينا؛ الأمر الذي يؤكد الصلة بين الأجيال المتعاقبة، ويدعم فكرة اللاوعي الجمعي للإنسان، ويؤكد حلقة التواصل الفكري والثقافي والإنساني بين البشر.

٤. للجن حضورٌ بارزٌ في القصيدة الجاهلية؛ مما يؤكد قدرة الشاعر الجاهلي على التعبير عن همومه، وهموم جماعته، ويثبت أن الشاعر الجاهلي كان جاهلياً حقاً، فكراً وفناً؛ أي استطاع أن يجعل من شعره مرآة، تعكس ما في عصره من أفكار ومعتقدات وقيم.

٥. معظم الأشعار الجاهلية استمدت مادتها من العلاقات الاجتماعية؛ إذ أثبتت تلك الأشعار، أن الفكر العربي كان فكراً متطوراً، ينضوي على خيال مبدع، استطاع أن ينشئ الأساطير والخرافات؛ كي يعلل كثيراً من الظواهر المحيطة به، مما يجعل أي حكم عليه بالبداية وحسية الخيال، حكماً ضالاً بعيداً عن الحق والصواب.

٦. وظف الشاعر الجاهلي هواجسه وخيالاته، من أجل توضيح بعض المواقف، وتقوية بعض الصور، وتدعيمها وإبرازها؛ وإن لم يتحدث عن الجن بشكل مستقل، ولم يخصص لها قصائد قائمة بذاتها.

٧. عبّر الشاعر الجاهلي بصوره وكلماته وموسيقاه، عن صراع الإنسان ضد وحش الحياة، وهو الموت؛ إذ أن الصراع من أجل البقاء سمة الشعر الجاهلي كله.

٨. عبد العرب الجن، وربما جاء ذلك تنويجاً لاعتقادهم بأنّ الجنّ هي القوة الخفية الوحيدة التي تتحكم بحياتهم ومصيرهم، فأوجدوا لها علاقة بكل ما يحيط بهم من مكونات بيئية، واستقرّ في أذهانهم، أن لها علاقة بالموت والحياة، والمرض والشفاء؛ لهذا كلّه تقربوا منها رغبة ورهبة، وقدسوا كلّ ما يتعلق بهم.

٩. نظر الجاهلي إلى الجن نظرة تتعدى كونه حيواناً، نظرة تقوم على أساس من الطوطمية.
١٠. تتحد الدلالة اللغوية للجن مع المفهوم الاصطلاحي؛ إذ كلاهما يدور حول التنستر والإختفاء، وصنّف العرب الجن إلى أنواع، وجعلوه مراتب، فادّعوا أنهم عرفوا الغول ورأوها، وأقاموا علاقات زواج ونسب معها، وعرفوا منها أيضاً الخابل، والغدار، والدلهاب، والشيق... الخ.
١١. ارتبطت قضية الإبداع الشعري عند العرب بالأسطورة، وبخاصة ما يُسمى بشياطين الشعراء، فكانت الجن هي القوة المؤثرة في عملية خلق الشعر؛ إذ لا يتعدى دور الشاعر أن يكون وسيطاً في هذه العملية.
١٢. ارتبط الشعر بالسحر والكهانة، وغدا دور الشاعر أخطرَ من دور الكاهن والساحر، وانتشرت نصوص السحر، والكهانة والتعويذات انتشاراً واسعاً.
١٣. اعتقد العرب بوجود علاقة بين الجن والحيوان؛ فجعلوا للجن مطايا من الحيوانات، ونظروا إلى هذه الحيوانات نظرة تقديس وخوف ورهبة، فأحجموا عن صيدها أو قتلها، واتخذوا من بعض أعضائها تعاويذ وتمائم؛ لدفع الأذى والشر، وآمنوا بقدرة الجن على التشكل بأشكال الحيوانات المختلفة، كالكلب والقط والحيّة... الخ.
١٤. اقترن الجن بالحية في كثير من أخبار العرب وأشعارهم، وتوزعت رمزيتهما من خلال الخير والشر؛ فهي إذ تمثل الشيطان والأرواح الشريرة تارة، تمثل القوة الخارقة والقدرة تارة أخرى.
١٥. يُعدُّ دور الحية في خروج حواء من الجنة هو المحور الذي بنى عليه العرب اعتقادهم بها، وربط العرب بين الجن والإبل، ورأوا بينهما صلة قرابة ونسب، وكذلك بين الجن والفرس، والثور الذي أدخلوه في كثير من طقوس الاستسقاء خاصة.
١٦. قدس العرب بعض الظواهر الطبيعية بما فيها الجبال والأشجار والوديان؛ وما ذلك إلا لاعتقادهم بأنها مأوى الجن والأرواح الشريرة؛ فلجأوا إلى بعضها ملتجئين الحماية أو الخصب والحياة، فعدت الجبال المقرّ الرئيس الذي يصلهم بالآلهة العلوية المقدسة.
١٧. عكس الشاعر الجاهلي أفكاره ومعتقداته، ونظمه الاجتماعية والنفسية على تلك الكائنات، واستمد منها صورته ومعانيه، ولا سيما في مجال الفخر والوصف والمدح، فضربوا بها المثل في القوة والنشاط، والخبث والمكر والسحر.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد.

الآلوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، شرح محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

الأمدي: أبو القاسم، الحسن بن بشر بن يحيى: **المؤتلف والمختلف**، تحقيق عبد الستار أحمد فرح، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد: **المستطرف في كل فن مستظرف**، المكتب العالمي للبحوث، طبعة جديدة ومنقحة، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، (د. ت).

ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود محمد الطناحي وغيره - ط١ - دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

الأحمد، سامي سعيد:

ملحمة جلجامش، دار الجليل، بيروت، د. ت.

المعتقدات الدينية في العراق القديم، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.

أحمد، عبد الفتاح محمد: **المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي**- ط١ - دار المناهل، بيروت ١٩٨٧م.

أحمد، محمد خليفة حسن: **الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم**، (دراسة في ملحمة جلجامش) - ط١ - دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.

أذارد: **قاموس الآلهة والأساطير**، ترجمة، محمد وحيد خياطة- ط١ - دار مكتبة سومر، حلب، ١٩٨٧م.

أدونيس: **مقدمة للشعر العربي**- ط٤ - دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م.

- أرمان، أدولف: **ديانة مصر القديمة**، ترجمة، عبد المنعم أبو بكر، ومحمد أنور شكري-ط ١- القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٥م.
- الأزرقى، أبو الوليد، محمد بن عبد الله بن أحمد: **أخبار مكة**، تحقيق رشدي الصالح ملحس- ط ٣- دار إندلس، بيروت، ١٩٨٣م.
- إسماعيل، عز الدين: **الشعر العربي المعاصر وقضاياها**، دار العودة، بيروت، د.ت.
- الأسمر، راجي: **الشياطين حقيقتها**، التحصن منها-ط ١- جروس برس، طرابلس، لبنان ١٩٩١م.
- الأشقر، عمر سليمان: **عالم الجن والشيطان**-ط ١- مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**-ط ١- منشورات المكتبة الحيدرية ١٤١٦هـ - ١٩٧٤م.
- الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، عن طبعة بولاق الأصلية، بيروت، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.
- الأصمعي، أبو سعيد، عبد الملك بن قريب: **الأصمعيات**- ط ٥- تحقيق، أحمد محمود شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩م.
- الأعشى، ميمون بن قيس: **ديوانه**، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- الأفوه الأودي: **ديوانه**، تحقيق محمد التونجي -ط ١- دار صادر بيروت، ١٩٩٨م.
- الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح الجامع الصغير وزيادته** "الفتح الكبير" -ط ٣- المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- امرؤ القيس:

*- **ديوانه**، تحقيق مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣-٢٠٠٢م.

*- **ديوانه**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم-ط ٤- دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

- **شرح ديوانه**، تأليف حسن السندوبي-ط ٥- مطبعة لإستقامة، القاهرة(د.ت).

- أمية بن أبي الصلت: ديوانه، تحقيق سجيح جميل الجبيلي-ط١- دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
- أمين، أحمد: فجر الإسلام-ط١١- مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).
- أمين، فوزي محمد:
- *- الشعر الجاهلي، دراسات ونصوص-ط١- دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ٢٠٠٤م.
- *- عنتره بن شداد العبسي- ط١- دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.
- أوس بن حجر: ديوانه، تحقيق، محمد يوسف نجم-ط٣- دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ،
١٩٧٩م.
- بابتي، عزيزة فوّال: معجم الشعراء الجاهليين -ط١- دار صادر للطباعة والنشر، جروس
برس، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.
- بارند، جفري: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة، إمام عبد الفتاح، ط٢، مكتبة مدبولي
للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦م.
- الباش، حسن:
- *-المعتقدات الشعبية في التراث العربي (دراسة في الجذور الأسطورية والدينية والمسلكية
والاجتماعية)، دار الجليل، د.ت.
- *-الميثولوجيا الكنعانية والإغتناب التوراتي- ط١- دار الجليل للطباعة والنشر، دمشق
١٩٨٨.
- باقر، طه: ملحمة جلجامش- ط٤- منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٨٠م.
- البحثري: أبو عبادة، الوليد بن عبيد: ديوان الحماسة- ط١ - وضع حواشيه محمود رضوان
ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، بن المغيرة، بن بردزيه: صحيح البخاري،
دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان(د.ت).

بدوي، عبد الرحمن: **دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت.

بروكلمان، كارل: **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة، عبد الحلیم النجار-ط٤- دار المعارف، مصر، ١٩٧٧م.

بشر بن أبي خازم الأسدي: **ديوانه**، تحقيق عزة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٠م.

البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن: **الحماسة البصرية**، تحقيق، عادل سليمان جمال-ط١- مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري**، (دراسة في أصولها وتطورها)-ط٣- دار الإندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر: **خزانة الأدب ولب أبواب لسان العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون-ط٤- مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

البنعلي، يوسف: **عُباد الشيطان**، أخطر الفرق المعاصرة-ط١- ط٢، ١٩٩٧م.

تأبط شرأ: **ديوانه**، إعداد، طلال حرب-ط١- دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

الثعالبي، أبو منصور، محمد بن إسماعيل النيسابوري:

*- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم-ط١- دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.

*- **فقه اللغة وسرّ العربية**، -ط الأخيرة- تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ١٩٧٢م.

الثعالبي، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري: **قصص الأنبياء المسمّى** (عرائس المجالس)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

*- **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون-ط٤- دار الفكر، (د.ت).

- *- **الحيوان**، تحقيق عبد السلام محمد هارون - ط ٣- المجمع العلمي العربي الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٩ م.
- *- **رسائله** - ط ١- (كتاب النساء) جمعها وشرحها حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٣٥٢ هـ - م ١٩٣٢.
- الجبوري، يحيى: **الشعر الجاهلي**، (خصائصه وفنونه) - ط ٨- مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- جران العود: **ديوانه**، رواية أبي سعيد السكري - ط ٣- دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
- الجوزو، مصطفى: **من الأساطير العربية والخرافات** - ط ٢- دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٨ م.
- الجوهري، محمد: **علم الفولكلور**، (دراسة المعتقدات الشعبية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨ م.
- حاتم الطائي: **ديوانه**: تحقيق مفيد محمد قمحية، دار المطبوعات الحديثة. السعودية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- الحارث بن حلزة: **ديوانه**، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- حئي، فيليب: **تاريخ العرب** - ط ٧- دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦ م،
- حسان بن ثابت: **شرح ديوانه** - ط ١- ضبطه وشرحه، عبد الرحمن البرقوقي، راجعه يوسف الشيخ، محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- الحسين، قصي: **انثربولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام**، - ط ١- الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- الحطينة: **ديوانه**، شرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- حفني، عبد الحليم: **شعر الصعاليك**، منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩ م.
- الحلبي، حسن علي وآخرون: **موسوعة الأحاديث الضعيفة والموضوعة** - ط ١- مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٩ م.

ابن حمادي، صالح: **دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية**، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٨م.

الحموي، شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله البغدادي: **معجم البلدان**- ط٢- دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

حميد بن ثور الهلالي: **ديوانه**، تحقيق محمد يوسف نجم- ط١- دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

حميدة، عبد الرزاق: **شياطين الشعراء**، مكتبة الإنجلو المصرية، (د.ت).

الحوت، محمود سليم: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**- ط٣- دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

الحوافي، أحمد محمد:

*- **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**- ط٣- مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة، القاهرة، (د.ت).

*- **المرأة في الشعر الجاهلي**- ط١- دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٠م.

خان، محمد عبد المعيد:

*- **الأساطير العربية قبل الإسلام**- ط١- لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧.

*- **الأساطير والخرافات عند العرب**- ط٣- دار الحدائق للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١.

الخفاجي، محمد عبد المنعم: **الشعر الجاهلي** - ط١- دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.

ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**- ط٣- دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

خليف، يوسف: **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**- ط٢- دار المعارف، مصر، مكتبة الدراسات الأدبية ١٩٥٩م.

خليل، أحمد خليل: **مضمون الأسطورة في الفكر العربي**- ط٢- دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.

الخنساء: ديوانها، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان(د.ت).

خورشيد، فاروق: عالم الأدب الشعبي العجيب- ط١- دار الشروق، ١٩٩١م.

داود، أنس: الأسطورة في الشعر العربي الحديث- ط٣- دار المعارف، ١٩٩٢م.

داود، جرجس داود: أديان العرب قبل الإسلام وجهها الحضاري والاجتماعي- ط١- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون- ط١- دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

دغيم، سميح: موسوعة الأديان السماوية والوضعية والوصفية، (أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام)- ط١- دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥م.

الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: حياة الحيوان الكبرى، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، مكتبة البيان، بيروت، (د.ت).

ول، وايزيل، ديورانت: قصة الحضارة (نشأة الحضار في الشرق الأدنى)، تقديم محي الدين صابر، ترجمة نجيب محمود، بيروت، تونس.

الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب- ط٢- دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

الراوي، مصعب حسون: الشعر العربي قبل الإسلام- ط١- دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٧٩م.

الرباعي، عبد القادر: الصورة الفنية في النقد الشعري- ط١- دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٤م.

ربيعة بن مقروم الضبي: ديوانه، جمع وتحقيق، تماضر عبد القادر فياض حروفش- ط١- دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

رومية، وهب: الرحلة في القصيدة الجاهلية- ط٣- مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.

الزبيدي، محي الدين، محمد مرتضى، الحسين: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).

زكي، أحمد كمال:

*- الأساطير دراسة حضارية مقارنة- ط ٢- دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م.

*- دراسات في النقد الأدبي- ط ١- مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٧م.

زناتي، محمد سلام: الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقيا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د.ت).

زهير بن أبي سلمى:

*- ديوانه، دار صادر، بيروت.

*- شرح ديوانه، صنعة الشنتمري. تحقيق فخر الدين قباوة- ط ١- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

زهير بن جناب الكلبي: ديوانه- ط ١- صنعة محمد شفيق البيطار، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

زيتوني، عبد الغني: الوثنية في الأدب الجاهلي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٧م.

زيدان، جرجي:

*- تاريخ آداب اللغة العربية- ط ٢- مطبعة الهلال، مصر، ١٩٢٤م.

*- تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)

زيدان، عبد القادر عبد الحميد: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء، لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٦٩م.

سعفان، كامل: **معتقدات آسيوية** (العراق، فارس، الهند، الصين، اليابان) ط-١ - دار الندى،
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

سليمان، علي: **الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع**، قراءة في اتجاهات الشعر المعاصر،
منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٠ م.

السواح، فراس:

*- **الأسطورة والمعنى** (دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية) ط-١ - دار علاء الدين،
دمشق ١٩٩٧.

*- **جلجامش**، ملحمة الرافدين - ط-١ - دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦ م.

*- **لغز عشتار** (الألوهة المؤنثة، وأصل الدين والأسطورة) ط-٦ - دار علاء الدين، دمشق
١٩٩٦ م.

*- **مغامرة العقل الأولى** - ط-١ - دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦ م.

سويلم، أنور:

*- **الإبل في الشعر الجاهلي**، (دراسة في ضوء علم الميثولوجيا والنقد الحديث) ط-١ - دار العلوم
للطباعة والنشر ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

*- **دراسات في الشعر الجاهلي**، دار عمار، عمان، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

*- **المطر في الشعر الجاهلي** - ط-١ - دار عمار، عمان، دار الجيل بيروت، ١٩٨٧ م.

*- **مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي**، دار عمار، عمان، ١٤١٠ هـ - ١٩٩١ م.

ابن سيدة الأندلسي: **أبو الحسن علي بن إسماعيل: المخصص**، المكتب التجاري للطباعة
والنشر، بيروت، د. ت.

شايبير، ماكس، رودا هندركس: **معجم الأساطير**، ترجمة حنا عبود، منشورات دار علاء
الدين، دمشق، ١٩٩٩ م.

شاطر، إحسان باير: الأساطير الإيرانية القديمة، ترجمة حنا عبود- ط ١- دار الجيل للطباعة، ١٩٦٥م.

شاكر، شاكر هادي: الحيوان في الأدب العربي- ط ١- مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

الشبلي، بدر الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله.

*- آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان، تحقيق أيمن البحيري- ط ١- مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

*- غرائب وعجائب الجن، كما يصورها القرآن والسنة، تحقيق، إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن، القاهرة، (د.ت).

الشمخ بن ضرار الذبياني: ديوانه، حققه وشرحه صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.

الشنفرى: ديوانه، إعداد، طلال حرب، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، صححه وعلق عليه أحمد فهمي محمد- ط ٢- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

الشورى، مصطفى عبد الشافي: الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ١٩٩٦م.

شيخو، لويس: شعراء النصرانية في الجاهلية، مطبعة الأباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، د.ت.

الصائغ، عبد الإله: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٨٢م.

صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام) المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، القاهرة، ١٣٥٢هـ-١٩٣٣م.

الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى: المفضليات، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون- ط ١- دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م.

الضناوي، سعدي: أثر الصحراء في الشعر الجاهلي-ط١- دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م

ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)- ط٧- دار المعارف، مصر، القاهرة ١٩٦٠م.

الطائي، أبو تمام، حبيب بن أوس: ديوان الحماسة- ط٢- مختصر عن شرح التبريزي، د.ت. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير:

*- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، د.ت.

*- تاريخ الأمم والملوك، دار القلم، بيروت - لبنان، (د.ت).

طرفة بن العبد:

*- ديوانه، دار صادر، بيروت، (د.ت).

*- ديوانه، تحقيق رحاب خضر عكاوي-ط١- دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

الطفيل الغنوي: ديوانه، رواية الأنباري، تحقيق محمد عبد القادر أحمد- ط دار الكتاب الجديدة- ١٩٦٨م.

عامر بن الطفيل: ديوانه، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

عباس، إحسان: فن الشعر-ط٣- دار الثقافة، بيروت، د.ت.

عبد الحكيم، شوقي:

*- مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية- ط١- دار ابن خلدون.

*- موسوعة الفولكلور والأساطير العربية- ط١- دار العودة، ١٩٨٢م.

عبد الحميد، يونس: معجم الفولكلور- ط١- مكتبة لبنان، ١٩٨٣م.

عبد الرحمن، إبراهيم: الشعر الجاهلي، قضاياها الفنية والموضوعية، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٧٩.

عبد الرحمن، عفيف: الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي- ط ١- دار الإندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٨١ م.

عبد الرحمن، نصرت:

*- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي (في ضوء النقد الحديث)، وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٧٦ م.

*- الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٥ م.

عبد الفتاح، فاطمة: الحياة الاجتماعية في الشعر الجاهلي، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م.

عبد الله، محمد حسين: الصورة والبناء الشعري- ط ١- دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، القاهرة، ١٩٨١ م.

عبد الله، محمد صادق حسن: خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة- ط ٢- دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٧ م.

عبود، محمد سليمان: الإنسان والحيوانات من الأسطورة وطقوس تقديس الحيوانات وعبادتها إلى داروين وحماية البيئة، ترجمة محمد سليمان- ط ١- دار المنير، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

عبيد بن الأبرص: ديوانه، دار صادر، بيروت ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها- ط ١- العربية للنشر والتوزيع، تونس ١٩٩٤ م.

عدي بن زيد العبادي: ديوانه، تحقيق محمد جبار المعبيد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، د.ت.

عروة بن الورد: ديوانه- ط ١- شرح سعدي ضناوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م.

عزيز، كارم محمود: أساطير التواراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم-ط١- دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة، دار الكلمة للنشر، دمشق، ١٩٩٩م.

العقاد، محمود عباس: إبليس، القاهرة، ١٩٥٥م.

علقمة بن عبدة:

*-ديوانه، شرح، سعيد نسيب مكارم- ط١- دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

*- شرح ديوانه- ط٢- قدم له حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام- ط٢- دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٦م.

عمر، أحمد مختار: اللغة واللون- ط٢- عالم الكتب القاهرة، ١٩٩٧م.

عمرو بن شأس: شعره، تحقيق يحيى الجبوري، ط٢، دار القلم، الكويت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

عمرو بن كلثوم: ديوانه، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

عنتر بن شداد: ديوانه، شرح، يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١هـ.

العنتيل، فوزي: الفولكلور ما هو؟ مكتبة مدبولي، القاهرة، دار المسيرة، بيروت.

عياش، عبد القادر: الحياة في حياتنا وتراثنا، دير الزور، سوريا، ١٩٦٨م.

الغناضي، حاتم صالح: قصائد نادرة (منتهى الطلب من أشعار العرب)، جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، دت.

الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم- ط٢- دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

فادمر، هنري جورج: تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر ميلادي، تعريف جرجس فتح الله، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (دت).

فروم، إريش: **الحكايات والأساطير والأحلام** مدخل إلى فهم لغة منسية، ترجمة صلاح حاتم- ط١- دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٩٠م.

فرويد، سيغmond: **الطوعم والتابو**، ترجمة بو علي ياسين- ط١- دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٨٣م.

فريزر، جيمس:

*- أدونيس أوتوموز، **ترجمة جبرا إبراهيم جبرا**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩م،

*- الغصن الذهبي (**دراسة في السحر والدين**) ترجمة أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١م.

*- **الفولكلور في العهد القديم**، ترجمة، نبيلة إبراهيم، مراجعة حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

فهمي، محمود: **تاريخ اليونان-ط الواعظ- مصر-ط١- ١٩١٠م.**

فريشادو: **الجنس في العالم القديم**، ترجمة فائق حدوح، دار الكندي للترجمة والنشر، ١٩٨٨.

الفيومي، محمد إبراهيم: **في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٩م.

القالبي، أبو علي إسماعيل بن القاسم: **كتاب الأمالي** - ط٢- مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم:

*- **الشعر والشعراء**- ط٢- دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ١٩٦٤.

*- **المعارف**- ط٤- دار المعارف، كورنيش النيل، ١٩٨١م.

القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب: **جمهرة أشعار العرب**، دار صادر، بيروت، (د.ت).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن** - ط دار الكتب- دار الكتب العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

القرظيني، زكريا بن محمد بن محمود:

*- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق: فاروق سعد-ط٤- دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م.

قطب، سيد: في ضلال القرآن -ط٧- دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا-ط١- شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

القمني، سيد: الأسطورة اسطورة والتراث- ط٣- المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، ١٩٩٩م.

أبو قيس بن الأسلت: ديوانه، جمع وتحقيق، حسن محمد باجودة، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٣م.
القيسي، نوري حمودي:

*- الطبيعة في الشعر الجاهلي- ط١- دار الإرشاد، بيروت، ١٩٧٠م.

*- تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

كريم، صموئيل نوح: أساطير العالم القديم، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

الكسائي، محمد بن عبد الله: قصص الأنبياء، طبعة ايزين بيرل، بريل، لندن، ١٩٩٤م.

كعب بن زهير: ديوانه، حققه وشرحه وقدم له، علي فاعور، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب: كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

كنعان، توفيق: **الكتابات الفولكلورية**، ترجمة موسى علوش- ط١- دار علوش للطباعة والنشر،
١٩٩٨م.

لبيد بن ربيعة: **ديوانه**، شرح الطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ -
٢٠٠٤م.

لقيط بن يعمر الأيادي: **الديوان**، تحقيق محمد التنوجي- ط١- دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
الماجدي، خزعل:

*- **أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ**- ط١- عمان، دار الشروق.

*- **إنجيل بابل**- ط١- منشورات الأهلية، عمان ١٩٩٨م.

*- **إنجيل سومر**- ط١- منشورات الأهلية، عمان ١٩٩٨م.

*- **بخور الآلهة**، (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين)- ط١- منشورات الأهلية،
عمان، ١٩٩٨م.

*- **الدين المصري**- ط١- دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، ١٩٩٩م.

*- **متون سومر** (الكتاب الأول، تاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، الطقوس) - ط١- منشورات
الأهلية، عمان، ١٩٩٨م

*-**المعتقدات الأمورية**، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ٢٠٠٢م.

*-**المعتقدات الآرامية**- ط١- دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠م.

*-**المعتقدات الكنعانية**، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان، ٢٠٠١م.

المتلمس الضبعي: **ديوانه**، شرح وتحقيق محمد التنوجي- ط١- دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

المتقّب العبدى: **شرح ديوانه**، تحقيق حسن حمد- ط١- دار صادر، بيروت، ١٩٩٦.

محمود: **عزیز کارم: أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى**، دمشق، ١٩٩٩م.

المرتضى، أمالي المرتضى، تحقيق أبي الفضل إبراهيم- ط١- دار إحياء الكتب العربية،
١٩٥٤م.

المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران: **معجم الشعراء**، تحقيق ف كرنكو - ط ١ - دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

المرزوقي، أبو علي: **كتاب الأزمنة والأمكنة** - ط دار المعارف - الهند، ١٣٣٢هـ
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي:

* - **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق يوسف أسعد داعر - ط ١ - دار الأندلس للطباعة، بيروت، ١٩٦٥.

* - **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، قدم له مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، (د.ت).

المصري، حسين مجيب: **الأسطورة بين العرب والفرس والترك** - ط ١ - المكتبة الثقافية للنشر، القاهرة.

المطليبي، عبد الجبار: **مواقف في الأدب والنقد**، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد، العراق ١٩٨٠.

المعري، أبو العلاء: **رسالة الغفران**، حققها محمد عزت نصر الله، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م.

معلوف شفيق: **عبر** - ط ٣ - منشورات العصبة الأندلسية، دار الطباعة والنشر العربية، ١٩٤٩م.
ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

ميتامورفوزس: **مسخ الكائنات**، ترجمة ثروت عكاشة - ط ٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري: **مجمع الأمثال**، تحقيق سعيد محمد اللحام - ط ١ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

النابغة الجعدي: **ديوانه**، حققه وشرحه، واضح الصمد - ط ١ - دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

النابعة الذبياني: ديوانه، شرح وتعليق حنا نصر الحتي- ط٢- دار الكتاب العربي، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

نابعة بني شيبان: ديوانه، شرح عبد الله بن مخارق بن سليم، تقديم قدري مايو- ط١- دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م.

ناصر، مصطفى: قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت).

النجار، عبد الوهاب: قصص الأنبياء- ط٣- دار إحياء التراث العربي، سوريا - بيروت، (د.ت).

ابن النديم: أبو الفرج محمد ابن اسحاق بن يعقوب: الفهرست، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت.

النص، إحسان: العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي- ط٢- دار الفكر، ١٩٧٣ م.

نعمة، حسن: موسوعة الأديان السماوية والوضعية (ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة) - ط١- دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤ .

النعمي، أحمد إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام- ط١- سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٥ م.

النوري، قيس: الأساطير وعلم الأجناس، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨١ م.

النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب- ط مصورة بالأوفست عن دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٩٨٣ م، (د.ت).

النيسابوري، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت- لبنان (د.ت).

الهدليون: الديوان، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥ م.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام،- ط٢- المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

هوراس: فن الشعر، ترجمة لويس عوض.

هوك، صموئيل هنري: **منعطف المخيلة البشرية**، (بحث في الأساطير)- ط٢- دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ١٩٩٥م.

هوميروس: **الإلياذة**، عرّبها نظماً سليمان البستاني، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٠٤م.

وادي، طه: **جماليات القصيدة المعاصرة**- ط٢- دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م.

أبو يحيى، أحمد إسماعيل: **الخيال في قصائد الجاهليين والإسلاميين**- ط١- راجعه ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

يوسف عمرو: **حقائق مثيرة عن السحر**، المركز العربي للنشر والتوزيع، مصر، د.ت.

الدوريات

الأحمد، سامي سعيد: معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور،
مجلة المؤرخ العربي، ٣٤، بغداد، ١٩٧٥ م.

الجبوري، حسين: المطر في التفكير الميثولوجي، مجلة التراث الشعبي، المركز الفولكلوري
في وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد - العراق، ع ١٩٦٠، ٤.

الحجاجي، أحمد شمس الدين: الأسطورة والشعر العربي المكونات الأولى، مجلة فصول،
١٩٨٤ م، ٤، ٢٤.

الديك، إحسان:

صدى عشتار في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، عمادة البحث العلمي،
حزيران، ٥، ٢٠٠١.

الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث الإنسانية،
١٣، ٢٤، ١٩٩٩ م.

الوعل، صدى تموز في الشعر الجاهلي: محلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات،
٢٤، ٢٠٠٣ م.

الرخاوي، نذير: جدلية الجنون والإبداع، ميراث الإلهام وإلهام الميراث، مجلة فصول، ٦،
٤٤، ١٩٨٦ م.

رواس، عبد الفتاح: رموز وأساطير في المورثات الشعبية، مجلة التراث العربي، دمشق،
السنة ١٧، ٦٨٤، ١٩٦٧ - ١٩٦٨.

ريد، هربرت: الشعر والحلم والأسطورة، ترجمة قاسم عبدو، مجلة آداب القاهرة، ١٢،
١٩٦١ م.

زكي، أحمد كمال:

التفسير الأسطوري للشعر القديم، مجلة فصول، ١، ٣٤، إبريل، ١٩٨١ م.

التشكيل الخرافي في شعرنا القديم، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، م ٥، ١٩٧٧ - ١٩٧٨ م.

الزيتوني، عبد الغني: الجن أحوالهم في الشعر الجاهلي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ع ١٩٩١، ٤٤ م.

الساعاتي، سامية حسن: السحر والمجتمع، دراسة نظرية-ط ١- بحث ميداني، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٩٨ م.

سنجلاوي، إبراهيم موسى: الغول في التراث العربي القديم، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد السادس، ع ١، ١٩٨٨ م.

السيد: عبد الحليم محمود، الثنوية في التفكير، مجلة عالم الفكر، م ٣، ع ٢، ١٩٧٢-١٩٧٣.

سيد كريم: تفسير الأحلام عند المصريين القدماء، مجلة الهلال، ع ١٠، ١٩٧٥.

عبد الرحمن، إبراهيم: التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي، مجلة فصول، م ١، ع ٣، إبريل، القاهرة، ١٩٨١ م.

كاثمان، تسيبورا: التزاوج بين الإنس والجن في الأسطورة والقصة الشعبية، ترجمة محمود عباس، مجلة الشرق، الأعداد ١-٤، السنة السادسة، حزيران - أيلول، ١٩٧٥ م ١٩٧٨ م.

المخبل السعدي، حياته وما تبقى من شعره، دراسة وتحقيق، حاتم الضامن، مجلة المورد، م ٢، ع ١، ١٩٧٣ م.

المعطاني، عبد الله سالم: قضايا الإبداع، قضية شياطين الشعراء وأثرها في النقد العربي، مجلة فصول م ٤، ع ٢، ١٩٨٤ م.

المناعي، مبروك: في صلة السحر بالشعر، مجلة فصول ع ١ + ٢، م ١، ١٩٩١ م

يوسف، شريف: السحر عند البابليين والمصريين والعرب قبل الإسلام، مجلة التراث الشعبي وزارة الثقافة والفنون في العراق السنة ٩، ١٩٧١ م.

الرسائل الجامعية

صالح، محمود سمارة محمد: الجبل في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية،
١٩٩٩م.

طه، طه غالب عبد الرحيم: صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات رسالة
ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

عودة، خليل محمد حسين: الصورة الفنية في شعر ذي الرمة، رسالة دكتوراه غير منشورة،
مصر، ١٩٨٧م.

أبو عون، أمل محمد عبد القادر: اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، شعراء المعلقات نموذجاً،
رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٣م.

القرعان، فايز عارف سليمان: الوشم والوشى في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة
اليرموك، ١٩٨٤م

قلعية، مي غالية: أسطورة التكوين البابلية دراسة مقارنة على ضوء اللغات السامية، رسالة
ماجستير غير منشورة، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣.

النوتي، أحمد موسى: التشاؤم ومظاهره في الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك،
١٩٩١م.

**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

THE JINN IN THE IGNORANTPOETRY

**Prepared by
Haleemah Khaled Rasheed Saleh**

**Supervised by
Dr. Ihsan Al-Deek**

*Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of
Master of Arts in Arabic Language, Faculty of Graduate Studies, at
An-Najah National University, Nablus, Palestine*

2005

THE JINN IN THE IGNORANT POETRY

Prepared by

Haleemah Khaled Rasheed Saleh

Supervised by

Dr. Ihsan Al-Deek

Abstract

THIS research talks about the Jinn in the ignorant poetry. The significance of studying this research is clear in revealing some sides from the thought of the ignorant human who is considered a part from the thought of the old and modern Arabic human and about the similarity of basic legends for the people of the old world and its overlap in literature. In addition, it clarifies and illustrates the origin of these legends and fables and the ability of the ignorant poet in employing his imaginations and obsessions in his poetry. The nature of the research necessitated to divide it into introduction, six chapters and a conclusion.

In the **FIRST CHAPTER**, I talked about the Jinn in the old human and Arabic tradition. I reached that the Jinn has a high position and importance for these nations because they looked to it a look full with holiness, fear and desire, they attributed to it all things they noticed from natural phenomena, and what follow them from illness and other things in the absence of the divine and scientific law. The Jinn occupied a vital position on the levels of the Christian and Jewish religions; they attributed to it the fall affair and the results resulted from it as evils and discomforts.

In the second theme, I presented the ignorant Arabs' look for the Jinn and the things which they were practicing as slogans and rituals to get its consent and acceptance to be near to it and prevent its hurt. I

proved through it the link of intellectual, cultural and human communication among the different nations.

As regards to the **SECOND CHAPTER**, I specialized it to talk about the linguistic and conventional concept. On the other hand, I illustrated what they carry from the meanings of hiding which are supported with the opinions of many historians. Then I talked about the types of the Jinn and its levels. I noticed that its world is similar to the world of the human from its class and varied construction, and I talked about its forms and shapes which reflected that primitive naive mentality which made these illusions and claims.

As regards to **CHAPTER THREE**, I began it by talking about the relation of the Jinn with the human through what has mentioned in the ignorant poetry beginning with the conflict of the Jinn with the human and passing with utilizing the Jinn for the benefit of the human and the attempt of the ignorant human to be near from it by all means. Then I displayed the possibility of coupling between the Jinn and the human and the things which resulted from these relations from compound product. Then I moved to the role of the evils in the process of poetic innovation, in the magic and clergy.

In the **FOURTH CHAPTER**, I talked about the relation of the Jinn with the animal, and its taking for some animals as means to ride on them, then the possibility of forming the Jinn and its reincarnation to the forms of some animals and what follow that from slogans and rituals such as startling and hanging the heel of the rabbit...etc.

Then I moved to talk in the **FIFTH CHAPTER** about the places in which the Jinn and ghouls are found, then I presented the desert effect in the self of the ignorant human and his mentality and the extent of reflecting this effect on his imaginations and obsessions which encouraged him to create these illusions and imagination these creatures.

I stood with its relation with dams, mountains and valleys, and the look of the Arabs for these places and what followed that from its holiness and fear from its penetrating, besides I illustrated the effect of the fables, legends, beliefs and the old religions in them.

With regards to **CHAPTER SIX**, I stood with the poetic image concept, then I moved to talk about the significance of the Jinn image in the ignorant poetry beginning with the mythology side and what follows it from religious affairs and proved the ability of the ignorant poet to get his subject from mythological, historian and religious origins. Then the social side through which I reached to the attempt of the ignorant poet to make varied and social relations with these creatures. Besides, I talked in the psychological side about the effect which the Jinn excited in the selves of the ignorant persons as fear, holiness and admiration. Then I presented in the conclusion the most important results to which the research reached.